

إعجاز القرآن بين الحقيقة و البهتان

شاكِر فضل الله النعماني

الفهرست

4.....	إهداء
5.....	مقدمة
6.....	الباب الأول
6.....	مفهوم الإعجاز
9.....	الباب الثاني
9.....	العلم في القرآن
13.....	الباب الثالث
13.....	رأي القدامى والمحدثين
21.....	الباب الرابع
21.....	الإعجاز العلمي
22.....	الموضوع الأول : الأصل الواحد للكون
23.....	الموضوع الثاني : نشأة الكون
24.....	الموضوع الثالث : السبع سموات
25.....	الموضوع الرابع : الشهب
26.....	الموضوع الخامس : تحركات الشمس والقمر والأرض
33.....	الموضوع السادس: الظل
34.....	الموضوع السابع : كروية الأرض
36.....	الموضوع الثامن: أدنى الأرض
39.....	الموضوع التاسع : الجبال
41.....	الموضوع العاشر: السبع أراضي
42.....	الموضوع الحادي عشر: الإرتفاعات ونقص الأوكسجين
43.....	الموضوع الثاني عشر: الدورة المائية
45.....	الموضوع الثالث عشر: السحب الركامية
47.....	الموضوع الرابع عشر: اهتزاز الأرض عند سقوط المطر
49.....	الموضوع الخامس عشر: عدم امتزاج المياه
51.....	الموضوع السادس عشر: التيارات البحرية
53.....	الموضوع السابع عشر : مكونات الذرة
54.....	الموضوع الثامن عشر: الزوجية في كل شيء
55.....	الموضوع التاسع عشر: التوازن الكوني لجميع العناصر
56.....	الموضوع العشرون : الحيوانات أمم أمثالنا
58.....	الموضوع الحادي والعشرون : النحل
61.....	الموضوع الثاني والعشرون : منبع السائل المنوي
62.....	الموضوع الثالث والعشرون : مصدر تكون الإنسان
63.....	الموضوع الرابع والعشرون: العلقة
65.....	الموضوع الخامس والعشرون : كيفية تكون الذكر والأنثى
66.....	موضوع السادس والعشرون: مراحل تطور الجنين
70.....	الموضوع السابع والعشرون : أغشية الجنين
71.....	الموضوع الثامن والعشرون: مدة الحمل
72.....	الموضوع التاسع والعشرون : الصفات الوراثية

- 74.....الموضوع الثلاثون : اختلاف البصمات
- 76.....الموضوع الواحد والثلاثين: الإحساس بالألم هو في الجلد
- 77.....الموضوع الثاني والثلاثين: وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبُيْتُ الْعَنْكَبُوتِ
- 78.....الموضوع الثالث والثلاثين : نزول الحديد من الفضاء الخارجي
- 80.....الموضوع الرابع والثلاثون: فلا أقسم بمواقع النجوم
- 82.....الباب السادس
- 82.....القرآن والكتاب المقدس في ضوء التاريخ والعلم
- 82.....د. وليم كامبل
- 91.....الباب السابع
- 91.....مشاكل علمية اخرى في القرآن
- 96.....الباب الثامن
- 96.....الشاطبي ورفض التفسير العلمي
- 96.....من كتاب "اعجاز القرآن" للدكتور شوقي ضيف
- 102.....الباب التاسع
- 102.....الاعجاز العددي في القرآن
- 104.....الباب التاسع
- 104.....الإعجاز التاريخي
- 113.....الباب الثاني عشر
- 113.....الإعجاز الحقيقي للقرآن

إهداء

إلى كل إنسان أمين مع نفسه .. خلع عنها أغلال القهر الفكرى و يبحث عن الحقيقة بإخلاص .. نهدي هذا البحث لمجموعة من المجتهدين .. آملين أن يكون مصباحا يلقي ضوءا .. ولو خافتا .. على الطريق الضيق الوعر المؤدى إلى الحق والحياة.

مقدمة

كثر الحديث في الآونة الأخيرة داخل الغرف الحوارية على شبكة الإنترنت , عن إعجاز القرآن وبخاصة من الناحية العلمية. وإختلف المتحاورون بين مؤيد ومعارض. كل منهم يسوق الدليل تلو الآخر على صلابة موقفه ورجاحة رأيه, ويحشد وراءه كم كثير من الأبحاث العلمية المساندة لوجهة نظره.

ويقف بين المتحاورين فريق ثالث يتبنى مبدأ أن القرآن كتاب هداية , لا يفترض فيه التطرق إلى العلم ولكن في نفس الوقت لا يجب أن يجد فيه المرء ما يتعارض مع الحقائق العلمية. ونظرا لأهمية الأمر وتعلقه بمصداقية المرجع الديني الأول والأوثق لأكثر من بليون إنسان يعيشون على هذه الأرض ويعلقون مصيرهم الأبدى على ما جاء فيه , فقد وجدت أن الضرورة ملحة لإصدار مثل هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم.

إن الساحة العربية زاخرة بكم كبير من الكتابات المؤيدة للإعجاز القرآني ابتداء بشيخ الإسلام ابن تيمية و إنتهاء بالدكتور زغلول النجار. ولكن- ولأسباب لا تخفى على القارئ الفطن- قلما نجد نقدا علميا لهذه الكتابات.

ولكن في الآونة الأخيرة إستهل الدكتور وليم كامبل الرد على زعم الإعجاز العلمي للقرآن في كتابه " القرآن و الإنجيل في ضوء التاريخ والعلم" والذي يرد فيه على كتاب للدكتور موريس بوكاي بنفس الإسم. تلى هذا الكتاب , كتاب آخر لإحد المجتهدين بعنوان "البيان في إعجاز القرآن".

السباحة ضد التيار ليست سهلة وقد أودت برقاب الكثيرين عبر تاريخ أمتنا الطويل. ولكن مجموعة من المجتهدين على شبكة الإنترنت رأت ألا تصمت عن الحق لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس. ولهذا فهناك الآن مواقع عدة زاخرة بالدراسات التحليلية لموضوع إعجاز القرآن.

إنني لا أدعى لنفسي فضلا في هذا العمل , فهذا الكتاب ليس إلا تجميع منظم لكتابات هؤلاء الإخوة المجتهدين الأفاضل.. التي تمثل في رأبي المتواضع نقدا موضوعيا للإعجاز القرآني. إننا نتوجه بالشكر لهم ونحیی فيهم روح التجرد العلمي والشجاعة الأدبية. قد يعتقد البعض أن فأر حي أفضل من أسد ميت ولكن لكل من كان الحق مبتغاه رأي آخر.

الباب الأول

مفهوم الإعجاز

تعريف معنى المعجزة
المعجزة هي ما خرق عادة البشر من خصال وهي لا تستطاع إلا بقوة إلهية تدل على ان الله تعالى قد خص صاحب الرسالة بها تصديقا على اختصاصه برسالته ، فتصير دليلا على صدق ادعائه النبوة. [راجع حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين 1/13 وكتاب الأنوار في شمائل النبي المختار 28/1-29].
وقال الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن" : أنها أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين على الآتيان بمثله .هي أمر خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعوته إياه ، شاهدا على صدقه .
وقد عرفها الإمام الماوردي في كتابه (أعلام النبوة) بقوله : إن حجج الأنبياء على أممهم هي المعجز الدال على صدقهم .

المعجزة إذن هي عبارة عن كتاب تأييد وتصديق ، كتاب اعتماد مقدم من قبل الله لسفيره (نبيه - رسوله) ليثبت أمام المرسل إليهم حقيقة بعثته وصدق رسالته .

شروط المعجزة

1- أن تكون المعجزة خارقة للعادة غير ما اعتاد عليه الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية.

2- أن تكون المعجزة مقرونة بالتحدي للمكذبين أو الشاكين.

3- أن تكون المعجزة سالمة عن المعارضة، فمتى أمكن أن يعارض هذا الأمر ويأتي بمثله، بطل أن تكون معجزة.

الإعجاز

الإعجاز: إثبات العجز، والعجز: ضد القدرة، وهو القصور عن فعل الشيء.

والمعجزة هي مصدر الأعجاز . والأعجاز وجه من أوجه المعجزة.

ولكن ماذا يقول القرآن عن المعجزة ؟

الواقع أن للقرآن موقفا سلبيا من المعجزة .

جاء في سورة الإسراء 59 : (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا لأن كذب بها الأولون).

قال الأستاذ عبد الله السمان في كتابه " محمد الرسول البشر ص 89": "وقد شق محمد لدعوته طريقا إلى القلوب والعقول غير مؤيد بالخوارق التي لم تصلح من قبل وسيلة للإقناع".

نشكر هذا العالم المسلم ونسجل له تصريحه الجريء بأن الدعوة القرآنية لم تؤيد بمعجزة . لكن نأخذ عليه وعلى أمثاله ايعاذ هذا الواقع القرآني الى إن المعجزات لم تصلح من قبل وسيلة لإقناع الناس كصدي لسورة الإسراء آية 59.

ها هو توراة اليهود شاهد عدل على ان الدعوة الموسوية لم تنجح في مصر، ولم تنجح مع بني إسرائيل إلا بفضل المعجزة وذلك بإعتراف القرآن نفسه.

وها هو إنجيل النصارى زاخر بمعجزات السيد المسيح التي تثبتت بها الدعوة المسيحية وذلك أيضاً بإعتراف القرآن نفسه.

أكثر من هذا فإن القرآن نفسه شاهد عدل على ان الدعوة السماوية تقوم اولاً على المعجزة. فإن القصص القرآني يشغل حيزاً كبيراً في القرآن، وما يقصه إلا للتمثيل لأهل زمانه المشركين. وكل قصصه يقوم على ذكر الدعوة والمعجزة التي أيدتها، ويختمه بمثل قوله: (وتلك أمثال نصربها للناس " العنكبوت 43، الحشر 21") و (يضرب الله الأمثال " الرعد 17، إبراهيم 25، النور 35") و (وضربنا لكم الأمثال " إبراهيم 45"). فجذلية القرآن مع المشركين في قصصه هي لإقامة الحجة عليهم بدعوة الرسل ومعجزاتهم.

والقرآن المكي صراع متواصل مع المشركين على تحديهم نبي الإسلام أن يأتيهم بمعجزة كالأنبياء الأولين لكي يؤمنوا به فتارة يقولون له: " لن نؤمن حتى نؤتى ما أوتي رسل الله " (الأنعام 124) وتارة يقولون: " فليأتنا بآية كما أرسل الأولون " (الأنبياء 5). بل ويذهبون إلى الأقسام المغلظة أنهم يؤمنون إذا جاءهم نبي الإسلام بمعجزة: " وأقسموا بالله (لاحظ القسم بالله من قبل المشركين!!) جهد أيمانهم لنن جاعتهم آية ليؤمن بها! قل: إنما الآيات عند الله " (الأنعام 109). إن أهل مكة كانوا يجادلون نبي الإسلام في لزوم المعجزة كوسيلة للإقناع. فالمعجزة دليل النبوة الاوحد في نظرهم وفي نظر القرآن. ولكن المعجزة لم تأت لذلك سجل نبي الإسلام عجزه عن الإتيان بمعجزة، وامتناعهم عن الإيمان " وما منع الناس أن يؤمنوا، إذ جاءهم الهدى... إلا أن تأتيهم سنة الأولين " (الكهف 55).

المعجزة " سلطان الله المبين " للبرهنة على صحة النبوة مع الأولين ومع الآخرين ومع العالمين، في كل حين.

فما من رسالة من السماء آمن بها الناس إلا عن طريق المعجزة. تلك هي الشهادة القاطعة في التوراة والإنجيل والقرآن. إنها الوسيلة الوحيدة لإقناع الناس. الواقع القرآني شاهد عدل على ذلك.

فالقول في سورة الإسراء آية 59، بأن الخوارق لم تصلح وسيلة للإقناع لانه قد كذب بها الأولين، يناقض - ليس فقط القرآن نفسه - بل والتاريخ أيضاً. القرآن واضح كل الوضوح في ضرورة المعجزة لصحة النبوة.

أكثر من هذا فإن القرآن يسمي المعجزة " سنة الأولين " التي لا تبدل ولا تحول: " فهل ينظرون إلا سنة الأولين. فلن تجد لسنة الله تبديلاً. ولن تجد لسنة الله تحويلاً " (فاطر 43). وبدون معجزة لا يوجب الله على الناس الإيمان " وما منع الناس أن يؤمنوا، إذ جئهم الهدى، ويستغفروا ربهم، إلا أن تأتيهم سنة الأولين " (الكهف 55). فقد امتنع مشركوا مكة عن الإيمان بالدعوة القرآنية، " بالحكمة والموعظة الحسنة " لأنها لم تقترن بالمعجزة المطلوبة، " سنة الأولين "؛ ورضخوا لها بالجهاد في المدينة " بالحديد الذي فيه بأس شديد ومنافع للناس " (الحديد 25). ففي فلسفة القرآن وفي عرف الناس جميعاً، إن المعجزة سنة النبوة " لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله " (الانعام 124).

والقرآن يسمي المعجزة أيضاً " السلطان المبين " من الله لتأييد رسوله. (إبراهيم 10، المؤمنون 45-46، غافر 23-34) فالمعجزة هي دليل النبوة الأوحد. فهل شهد القرآن لنبي الإسلام بمعجزة؟

عندما كان نبي الإسلام حياً يرزق على هذه الأرض عجز عن الآتيان بمعجزة، بالرغم انه لو حق معظم فترة دعوته، من معارضيه، بطلب الآتيان بمعجزة، فكان ينفي عن نفسه، هذه القدرة.

قد يقول قائل إن معجزة نبي الإسلام كانت القرآن نفسه وبه تحدى معارضيه.

وفي هذا نقول أن تحدي نبي الإسلام لمعارضيه بالقرآن , لم يكن الا تحديا بالوحي. ففي سورة الإسراء جاء التحدي الأول والأكبر بالقرآن: "قل لنن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن , لا يأتون بمثله , ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (الإسراء 88), أن التحدي في هذه الآية بالقرآن صريح , ولكن ما معناه؟؟. لنفهم ماذا تعنيه هذه الآية علينا أن نقرأ السورة بأكملها, فهذه الآية يوجد آية سبقتها, وأخريات آتين بعدها تنفيان عن نبي الإسلام المعجزات نفيا مطلقا.

"وما منعنا أن نرسل الآيات (على نبي الإسلام) الا أن كذب بها الأولون" (59). اذا هذه الآية تنفي المعجزة عنه قطعيا.

وفي نفس سورة التحدي بالقرآن (الإسراء) الآيات (90-93): "وقالوا لن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعب فتفجر الأنهر خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . قل : سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا".

هذا إقرار واقعي آخر ملموس بعجز نبي الإسلام عن الإتيان بأى معجزة. ولهذا فيمكننا أن نخلص أن سورة الإسراء تحوى إقرارين يمنعان عن اعتبار القرآن معجزة, فلا يعود يصح تفسير التحدي بالقرآن إلا انه تحد "بالهدى" كما جاء في سورة القصص 49: " قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين" إذا فالإعجاز بنص القرآن ذاته هو بالهدى, لا بالبيان.

الباب الثاني

العلم في القرآن

نحن لا ننكر أن القرآن والسنة قد أيدوا العلم وشجعوا العلماء ورفعوا من مكانتهم وجعلوهم ورثة الأنبياء! الذي يخشاهم الله بحسب الواقع القرآني "إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر 28) [إنهيك عن المحاولة البهلوانية في "إعراب مشكل القرآن" بجعل "الله" مفعولا به في الجملة.]

ولا ننكر أيضا أن الإسلام قد جعل من العلم فريضة على كل مسلم . عن أنس قال: قال رسول الله: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

قال الحسن : قال رسول الله : " إنما مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا رآها الناس اقتدوا بها , وإذا عميت عليهم تحيروا".

لكن ما هو هذا العلم الذي يقصده القرآن هنا. أنه علم الفقه أو التفقه في الدين كما جاء في الحديث الصحيح (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين). متفق عليه.

انه العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم. إنه علم النواهي والمحرمات وليس العلوم الطبيعية بمعناها المتداول اليوم.

وقد اختلف المسلمون في العلم الذي هو فرض على كل مسلم، فتفرقوا فيه إلى أكثر من عشرين فرقة، ولا نطيل بنقل التفاصيل، ولكن حاصلة الأمر أن كل فرقة عرفتة تعريفا مختلفا، فقال المتكلمون: هو علم الكلام، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله وصفاته.

وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل .

وقال المفسرون المحدثون هو علم الكتاب والسنة، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه هو ان العلم ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة.

هذا العلم ليس له أية علاقة بالبحث والتجريب والإستدلال كما هو متعارف عليه. ولهذا فإننا نقرأ للإمام الغزالي : " إن الخوض في علم لا يستفيد الخائض منه فائدة هو مذموم... والخوض فيه حرام. لهذا يجب كف الناس-أي المسلمين- عن البحث وردهم الى ما

نطق به الشرع". أحياء علوم الدين 31/1".

عن أبي هريرة: قال رسول الله: من تعلم علما مما لا يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة (رواه أبو داود).

عن ابن عمر مرفوعا (من تعلم علما لغير الله , أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار) رواه الترمذي .

وعن جابر مرفوعا (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحدثوا به في المجالس, فمن فعل ذلك فالنار النار) رواه جماعة منهم البيهقي, وانفرد به ابن ماجه عن

الكتب الستة فرواه محمد بن يحيى عن سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر .

وعن كعب بن مالك مرفوعا (من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار) رواه الترمذي.

وفي مسلم عن أبي هريرة مرفوعا حديث (الثلاثة الذين يؤمر بهم إلى النار هم المجاهد المراني ليقال إنه جريء, والمنفق المباهي ليقال إنه جواد, والرجل الذي يقول تعلمت العلم

وقرات القرآن, فيقول الله كذبت إنما أردت أن يقال فلان جريء وفلان قارئ وقد قيل, ثم يسحب على وجهه حتى يلقي في النار).

وعن زيد بن أرقم مرفوعا كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها) رواه أبو داود.

عن أبي بردة مرفوعا: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه) إسناده جيد.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه. عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: (يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء: إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، انطلقوا فقد غفرت لكم) وقال: يقول الله عز وجل: (لا تحقروا عبدا أتيت به علما فإني كم غفرت لكم) وقال: يقول الله عز وجل: (لا تحقروا عبدا أتيت به علما فإني لم أحقره حين علمته).

وفي الصحيحين عن معاوية مرفوعا: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين).

وعن عمر مرفوعا: (إن الله يرفع بهذا العلم أقواما ويضع به آخرين).

وعن أبي هريرة مرفوعا: (من سلك طريقا يبتيغي به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة) رواهما مسلم.

وعن أبي أمامة مرفوعا: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) رواه الترمذي.

وعن أبي الدرداء مرفوعا: (إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

عن ابن سيرين قال: (العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) ذكره مسلم.

وقال مالك: (لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ عمن سواهم، لا يؤخذ عن معطن بالسفه ولا عمن جرب عليه الكذب، ولا عن صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا عن شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به.) وقال مالك أيضا: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدرنا في هذا المسجد سبعين ممن يقول قال فلان قال رسول الله وإن أحدهم لو اتتمن على بيت مال لكان أمينا عليه فما أخذ منه شيئا، لم

يكونوا من أهل هذا الشأن). راجع الآداب الشرعية 2 / 146-147.

مغذرة على الإطالة وعلى القارئ الكريم الرجوع على باب "العلم" في كل كتب الحديث.

يتضح من كل ما سبق أن العلم المنسوب للقرآن هو علم الفقه أو التفقه في الدين والمحصور في القرآن والسنة كما جاء في الحديث الصحيح وليس العلم بمعناه المتعارف عليه اليوم.

ولهذا فإننا نقول: إن القرآن، كتاب دين، لا كتاب علم. فهو صريح كل الصراحة في اقتضار وحيه على الدين: (قل إنما يوح الي أنما الهكم اله واحد، فهل انتم مسلمون) الانبياء 108.

فليس من وحي في القرآن سوى التوحيد واحكام الدين والشريعة: (قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه) فصلت 6.

وهذا أيضا كان رأى قدامى العلماء، مثل الشاطبي الغرناطي (الموافقات) الذي قال: " إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم - اي العلوم الرياضية - والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأسبابها. وهذا إذا عرضناه على ما تقدم (من ان القرآن خاطب العرب بما كان واقعاً في حياته)، لم يصح. والى هذا فان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقران وبعلمومه، وما أودع فيه. ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف واحكام الآخرة .. ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدل على أصل المسألة... إلا أن ذلك لم

يكن، فدل على انه غير موجود عندهم...وذلك دليل على ان القرآن لم يقصد فيه تقرير شيء ممن زعموا. نعم، تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب، أو ما يبني على معهوده".
وحديثاً أبدى بعض العلماء رأيهم كذلك:

يقول عبد المتعال الصعيدي (النظم الفني في القرآن) في مقاصد القرآن: "مقاصد القرآن لا تخرج عن الوظيفة الدينية للقرآن، لانه نزل لتشريع العقائد والاحكام فيجب ان يقف عند حدودها. فلا يقصد منه غير هذا من بيان مسائل التاريخ أو الطب أو غيرها من العلوم، لانه لم ينزل لغرض من هذه الاغراض. وانما نزل للاغراض التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي. أما هذه الاغراض العلمية فأنها تعرف بالعقل، ولا تتوقف معرفتها على الوحي. فلا يصح ان يخلط بينها وبين الاغراض السابقة في كتاب ديني كالقرآن او غيره".

والاستاذ دروزة(القرآن المجيد) يرى ان (الكونيات) في القرآن هي من المتشابهة فيه، لا من إعجازها، واستخراج النظريات العلمية منها انما هو تمحل لا يليق بقضية القرآن. قال: لعل في تعبير الاوتاد عن الجبال، والسقف المبني عن السماء، والمصابيح المضيئة التي زينت بها السماء عن النجوم، وجريان الشمس ومنازل القمر، والسراج الوهاج للاولى، والمصباح المنير للثاني، وفي ذكر إنزال الماء من السماء، وتسيير السحاب وتصريف الرياح، وإرسال البرق والرعد والصواعق، وإثبات مختلف الزرع والأشجار، وتسخير الدواب والانعام، وتسيير البحار والأنهار والفلك، وجعل الأرض بساطاً، وتصويرها مركزاً للكون والإنسان قطباً للأرض، حيث سخر له كل ما في السماوات والأرض، وسواه الله بيده، ونفخ فيه من روحه..ما جاء متسقاً مع مشاهد ومدركات مختلف فئات الناس الذين يواجه اليهم الكلام. وان ما ورد في القرآن من مشاهد الكون ونواميسه قد استهدف العظة والتدعيم دون ان ينطوي على قصد تعزيز ماهية الكون، واطوار الخلق والتكوين ونواميس الوجود من الناحية العلمية والفنية. وهذه النقطة متصلة بالمبدأ العام الذي ما فتننا نقررره من ان القرآن خاطب الناس بما يتسق في اذهانهم إجمالاً من صور ومعارف، لما يكون من قوة أثر الخطاب فيهم بمثل هذا الاسلوب. وملاحظة ذلك جوهرية جداً، لانها تحول دون التكلف والتجوز والتخمين، ومحاولة استخراج النظريات العلمية والفنية، في حقائق الكون ونواميسه واطواره منها، والتمحل والتوفيق والتطبيق، مما يخرج بالقرآن عن نطاق قدسيته.

فإن القرآن كتاب دين لا كتاب علم. ومن انتهاك حرمة، جعله كتاب علم، والكلام فيه عن الاعجاز في العلم!

فالكونيات القرآنية هي من متشابهة القرآن. والعلم الوحيد في القرآن هو علم الكتاب ".
وقد ظل القرآن يستشهد طول العهد بمكة بمن عنده علم الكتاب: " ويقول الذين كفروا: لست برسلاً! - قل: كفى بالله شهيداً ومن عنده علم الكتاب" (الرعد 43). فهو يكتفي بالشهادة على صحة رسالته وصحة دعوته بشهادة من عنده علم الكتاب؛ لذلك يسميهم "أولى العلم فهم أهل العلم من دون العالمين. وهم "الذين أوتوا العلم من قبل" (الاسراء 107).

"فالعلم" على الاطلاق هو علمهم - لاحظ التعريف والاطلاق في تعبيره: "العلم". فهذا هو "العلم" الوحيد الذي يذكره القرآن، وبه يستشهد، وبه يتحدى: "قل: آمنوا به او لا تؤمنوا: إن الذين أوتوا العلم من قبله، اذا يتلى عليهم، يخرون للاذقان سجداً" (الاسراء 107) فيكفيه ايمانهم وتكفيه شهادتهم. وشهادتهم للإسلام من شهادة الله وملائكته، والقرآن كله يشهد بشهادتهم: " أن الدين عند الله الإسلام"; بهذه الشهادة هم "اولو العلم قائماً بالقسط" (آل عمران 18-19). وفي هذه الشهادة علم القرآن كله، وسر القرآن كله. انه علم "اولى العلم من قبله" (الحج 78) وعلم " من عنده علم الكتاب" وعلم " الراسخين في العلم" (آل عمران 7؛ النساء 162). هذا هو العلم الوحيد الذي جاء به نبي الإسلام في القرآن: " بعد الذي جاءك من العلم" (البقرة 120)، " من بعد ما جاءك من العلم" (البقرة 145، آل عمران 61). وهذا هو "العلم" النصراني الانجيلي الذي اختلف فيه اليهود مع اهل الكتاب، مع المسيح ثم مع نبي الإسلام:(وما اختلفوا إلا من بعدما جائهم العلم). وبهذا "العلم" المنزل الانجيلي النصراني"

يجادل القرآن اليهود ثم المشركين الذين يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" (لقمان 20, الحج 8).

والقرآن نفسه هو (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) العنكبوت 49. وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك) الحج 59. وكان أولي العلم يشهدون مع القرآن (ان الدين عند الله الاسلام) آل عمران 19.

" وما أوتيتم من العلم الا قليلا" (الاسراء 85). فالقران كتاب دين، لا كتاب علم. والعلم الوحيد في القران هو علم الكتاب، واهله (من عنده علم الكتاب). ومن الآثار نستدل علي ما سبق بالآتي :

قال ابن ابي مليكة رحمه الله: ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيت رأيت أحسن الناس وجهها، وإذا تكلم فأعرب الناس لساناً، وإذا أفتى فأكثر الناس علماً.

وقال ابن المبارك رحمه الله: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة؟ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة. وقال أيضاً: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك.

وقال عطاء: مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو.

وقال عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه. وقال الشافعي رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من النافلة.

وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي، فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهد فقد نقص في رأيه وعقله. والإسلام يدعو إلى طلب العلم، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وبين فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وأخبر عليه الصلاة والسلام أن طلب العلم طريق إلى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم :

(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) رواه البخاري (كتاب العلم/10) . وقال عليه الصلاة والسلام : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) متفق عليه أخرجه البخاري/69 . وفي العناية بالقرآن تعلماً وتعليماً يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) أخرجه البخاري/4639 . (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم/1631 .

يتضح وضوحاً بيننا مما سبق من آيات القرآن الصريحة والأحاديث الصحيحة لنبي الإسلام وأثار الثقافة من المسلمين الأوائل أن "العلم" في المفهوم القرآني أو الإسلامي عموماً هو علم العبادات والمعاملات كما جاء بها القرآن وليس العلم بمعناه المتداول في الجامعات ومراكز الأبحاث.

الباب الثالث

رأي القدامى والمحدثين

نشرت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض في عام 1402 هـ/1982م كتاباً من تأليف الشيخ بن باز يقول فيه : (أجمعت آراء السلف من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير وابن القيم على ثبوت الأرض). من هنا: إن القول بأن الشمس ثابتة وأن الأرض دائرة هو قولٌ شنيعٌ ومنكر ، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضل ، ويجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً ، ويكون ماله فيناً لبيت مال المسلمين"

وأضاف ابن باز بأنه كان من جملة الناس الذين شاهدوا بعيونهم وأبصارهم سير الشمس وجريانها في مطالعها ومغاريها قبل أن يذهب نور عينيه وهو دون العشرين ، وأكد أن الشمس سقفاً ليس كروياً كما يزعم كثير من علماء الهيئة الضالين ، وإنما هي قبة ذات قوائم تحملها الملائكة وهي فوق العالم مما يلي رؤوس الناس ، وأنه لو كانت الشمس ثابتة لما كان هناك فصول أربعة ولكان الزمان في كل بلد واحد لا يختلف.

وقد نص في كتابه على (أن كثيراً من مدرسي علوم الفلك ذهبوا إلى القول بثبوت الشمس ودوران الأرض وهذا كفرٌ وضلالٌ وتكذيبٌ للكتاب والسنة وأقوال السلف وقد اجتمع في هذا الأمر العظيم النقل والفطرة وشاهد العيان فكيف لا يكون مثل هذا كافراً)، وقد حجّهم ! بقوله (لو أن الأرض تتحرك لكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد ، لذلك فالقول بهذه المعلومات الطبيعية وتدريسها للتلاميذ على أنها حقائق ثابتة يؤدي إلى أن يتذرع بها أولئك التلاميذ على الإلحاد حتى أصبح كثير من المسلمين يعتقدون أن مثل هذا الأمر من المسلمات العلمية . وكذلك استدل بأنه (لو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان والأشجار والأنهار لا قرار لها ، ولشاهد الناس البلدان الغربية في المشرق والبلدان المشرقية في المغرب ، ولتغيرت القبلة على الناس لأن دوران الأرض يقتضي تغيير الجهات بالنسبة للبلدان والقارات هذا أنه لو كانت الأرض تدور فعلاً لأحسّ الناس بحركة كما يحسون بحركة الباخرة والطائرة وغيرها من المركوبات الضخمة) . ووصف المسلمين الذين يؤمنون بكروية الأرض بأنهم يتبعون كل ناعق يريد أن يفسد عقيدة المسلمين وبأنهم بعيدون عن استعمال عقولهم وأنهم أعطوا قيادهم لغيرهم فأصبحوا كبيهمة الأنعام العجماء بعد أن فقدوا ميزة العقل. وقد خلص ابن باز إلى أن (القائل بدوران الأرض ضال قد كفر وأضل كذب القرآن والسنة ، وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً ويكون ماله فيناً لبيت مال المسلمين) .

اليكم مقاطع مما ذكره ابن باز في كتابه المسمى (الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض و إمكان الصعود إلى الكواكب - من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1395 هجرية .

جاء في صفحة 23 : و كما أن هذا القول الباطل - يقصد ثبوت الشمس ودوران الأرض- مخالف للنصوص فهو مخالف للمشاهد المحسوس و مكابرة للمعقول والواقع. لم يزل الناس

بمسلمهم وكافرهم يشاهدون الشمس جارية طالعة و غاربة ويشاهدون الأرض قارة ثابتة و يشاهدون كل بلد

و كل جبل في جهته لم يتغير من ذلك شيء ، ولو كانت الشمس تدور كما يزعمون لكانت البلدان والجبال و الأشجار

و الأنهار والبحار لا قرار لها و لشاهد الناس البلدان المغربية في المشرق والمشرقية في المغرب ولتغيرت القبلة على الناس حتى لا يقر لها قرار و بالجمللة فهذا القول فاسد من وجوه كثيرة يطول تعدادها .

وجاء في صفحة 24 : ثم هذا القول مخالف للواقع المحسوس فالناس يشاهدون الجبال في محلها لم تسيّر فهذا جبل النور في مكة في محله وهذا جبل أبي قبيس في محله وهذا أحد في المدينة في محله و هكذا جبال الدنيا كلها لم تسيّر و كل من تصور هذا القول يعرف بطلانه وفساد قول صاحبه

و أنه بعيد عن استعمال عقله وفكره قد أعطى القيادة لغيره كبهيمة الأنعام فنعوذ بالله من القول عليه بغير علم

و نعوذ بالله من التقليد الأعمى الذي يردي من اعتنقه و ينقله من ميزة العقلاء إلى خلق البهيمة العجماء.

وجاء في صفحة 39 : ثم الناس كلهم يشاهدون الشمس كل يوم تأتي من المشرق ثم لا تزال في سير و صعود حتى تتوسط السماء ثم لا تزال في سير ، وانخفاض حتى تغرب في مدارات مختلفة بحسب اختلاف المنازل و يعلمون ذلك علما قطعيا بناء على مشاهدتهم و ذلك مطابق لما دل عليه هذا الحديث الصريح -حديث سجود الشمس- والآيات القرآنية ولا ينكر هذا إلا مكابر للمشاهد المحسوس و مخالف لصريح المنقول و أنا من جملة الناس الذين شاهدوا سير الشمس و جريانها في مطالعها و مغاربها قبل أن يذهب بصري و كان سني حين ذهاب بصري تسعة عشر عاما

و إنما نهت على هذا ليعلم القراء أني ممن شاهد آيات السماء والأرض بعيني رأسه دهرًا طويلا والله المستعان وبالجمللة فالأدلة النقلية والحسية على بطلان قول من قال إن الشمس ثابتة أو قال إنها جارية حول نفسها كثيرة متوافرة و قد سبق الكثير منها فراجع ان شئت .

وجاء في صفحة 23 : فمن زعم خلاف ذلك وقال إن الشمس ثابتة لا جارية فقد كذب الله و كذب كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ومن قال هذا القول فقد قال كفرا و ضلالا لأنه تكذيب لله ، و تكذيب للقرآن و تكذيب للرسول (ص) لأنه عليه الصلاة والسلام قد صرح في الأحاديث الصحيحة أن الشمس جارية وأنها إذا غربت تذهب و تسجد بين يدي ربه تحت العرش كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث أبي ذر -رضي الله عنه -وكل من كذب الله سبحانه أو كذب كتابه الكريم أو كذب رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام فهو كافر ضال مضل يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا و يكون ماله فينا لبيت مال المسلمين كما نص على مثل هذا أهل العلم .

وهكذا تم تكفير كل من قال بدوران الأرض !!

لم تقتصر هذه الدعوة على ابن باز وحده . فالشيخ عبدالكريم بن صالح الحميد ألف كتاباً في هذا الموضوع عنوانه (هداية الحيران في مسألة الدوران) يقول سماحته : العلوم العصرية عامة علومٌ عمّت بها البلوى منها علومٌ مفسدة للإعتقاد كالقول بدوران الأرض ، وغيره من علوم الملاحدة) (هداية الحيران ص 11).

على النقيض من الشيخ الباز و الشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد تقف مجموعة أخرى من المفكرين المسلمين التي وجدت أنه من الصواب أن يعترف المرء بالحقائق العلمية التي أثبتت قطعياً. ولكنهم لم يقفوا فقط عند هذا الحد ، بل تجاوزوه بزعم أن كل هذه العلوم مصدرها القرآن نفسه ، أو على الأقل قد تنبأ عنها!

يقول: أنور الجندي في كتاب (الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر): " أن ما يتداوله العالم اليوم من فلسفة وعلوم إنما هو من نتاج الفكر الإسلامي أصلاً، وأن القرآن كان بحق هو مصدر المصادر في منهاج العلوم التجريبية والاجتماعية جميعاً". (الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر- ص 250).

ويقول: يوسف مروة (في كتاب العلوم الطبيعية في القرآن ص 69) :
" هذا القرآن العظيم نجد فيه ما يؤيد ويدعم مواضع العلم الحديث: من تجزئة الذرة، وثنائية المادة، والأشعة الكونية، وطبقات الجو، والضغط الجوي، وتركيب الماء والهواء، ولغة الحشرات، وبصمات الأصابع، والكائنات المجهرية، وعدم فناء المادة، وغزو الفضاء، والذبذبات الصوتية، والنقل البعيد، والرؤية عن بعد (التلفزة) إلى غير ذلك من حقائق العلم الحديث".

ويقول أحمد سلمان في كتابه القرآن والطب: لقد تناول القرآن بالبحث كل المعارف والعلوم الممكنة تناولاً شاملاً جامعاً مانعاً. راجع (القرآن والطب 120-121).

عن أبي مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين : قال البيهقي: أراد به أصول العلم.

وعن ابن مسعود أيضاً أنه قال: انزل في هذا القرآن كل علم، وبين لنا غاية كل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن.

وقد قيل : ما من شيء الا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله حتى ان بعضهم استنبط عمر النبي ثلاثاً وستين سنة من قوله تعالى في سورة المنافقين ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها: فأنها رأس ثلاث وستين آية وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

وقال المرسى جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط به علماً حقيقة الا المتكلم به ثم رسول الله خلا ما أستأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ومثل ابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في كتاب الله. راجع المصدر السابق.

وقد قيل أيضاً ان علوم القرآن قد بلغت :خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع. راجع المصدر السابق.

عقد السيوطي، آخر المحققين القدماء، فصلاً من (الاتقان 2: 125) "في العلوم المستنبطة من القرآن"، حيث جعله موسوعة العلوم الحاضرة والماضية والمستقبلية، من لغوية وعلمية وفلسفية. ونقل عن الطبري قوله: " وأنا أقول: قد أشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء. أما أنواع العلوم، فليس منها باب، ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها. وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والارض، وما في الأفق الأعلى، وتحت الثرى، وبدء الخلق...وقد احتوى على علوم اخرى من علوم الاوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك...وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله: " ما فرطنا في الكتاب من شيء...حتى لقد قال قائل: ان علوم القرآن خمسون واربعمائة وسبعة الاف علم أو سبعون الف علم على عدد كلم القرآن مضروبة باربعة إذ لكل كلمة فيه ظهر وبطن وحد ومطلع. وقال قائل: لكل آية ستون ألف فهم.

وقد زاد بعض أهل العصر على تلك الخوارق والمخاريق فما هو عبد ربه تعالى خادم الكتاب والسنة، محمد العربي العزوزي أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية في "دليل مباحث علوم القرآن المجيد" : إن اوسع دائرة معارف تناولها البشر القرآن الكريم".

والسيد عفيف عبد الفتاح طيارة في كتابه (روح الدين الاسلامي) يعدد " معجزات القرآن العلمية" ووجد في بعض آياته النظريات العلمية الحديثة .

والسيد عبد الرزاق نوفل، في كتابه (القرآن والعلم الحديث) يرى فيه: "اسرار علم النفس، واسرار علم الفيزياء الطبيعية، واسرار نظرية اينشتين في النسبية، واسرار علم الوراثة،

واسرار علم الحياة، واسرار العالم غير المنظور إذ يقول " سبق القرآن علم الذرة وتفجيرها" ويستشهد بقول القرآن: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس، هذا عذاب اليم...وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا: سحب مركوم). فقد وضحت سورة الدخان تفجير الذرة ومفعولها قبل 1400 سنة ونيف". وقوله ايضاً: "واهم حدث في القرن العشرين، إن لم يكن في حياة الارض، هو الاقمار الصناعية التي تنبأ بها القران الكريم في سورة النمل (82): " واذا وقع القول عليهم، أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بأياتنا لا يوقنون".

آراء الاعجازيين في العلماء

بعد سرد آراء الإعجازيين المحدثين نعود لنلقى الضوء على آراء القدامى في علماء البلاد الموطونة التي فتحت وصارت جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية .

1- ابن سينا (توفي سنة 428 هـ)

هو أبو علي الحسين بن عبد الله البلخي ، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، وكان يلقب بالشيخ الرئيس، وكان من الإسماعيلية، وهي فرقة باطنية، من غلاة فرق الشيعة، ومن أخبثها، فاجتمع فيه ثلاث بلايا هذه والفلسفة والمنطق. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء [535/17]: له كتاب (الشفاء) وغيره وأشياء لا تحتمل وقد كفره الغزالي في كتاب (المنقذ من الضلال) وكفر الفارابي. وذكره الذهبي في الميزان [539/1] وقال: (فلسفي النحلة ضال) . ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان [291/2] قول الذهبي في ابن سينا: (فلسفي النحلة ضال) وزاد (لا رضي الله عنه).

ثم ساق قول ابن الحموي الشافعي: (وقد اتفق العلماء على أن ابن سينا كان يقول بقدم العالم ونفي المعاد الجسماني ولا ينكر المعاد النفساني ونقل عنه أنه قال: إن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كلي فقطع علماء زمانه ومن بعدهم من الأئمة ممن يعتبر قولهم أصولاً وفروعاً بكفره وبكفر أبي نصر الفارابي من أجل اعتقاد هذه المسائل وأنها خلاف اعتقاد المسلمين).

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية [43/12]: (قد حصر الغزالي كلامه في "مقاصد الفلاسفة" ثم رد عليه في "تهافت الفلاسفة" في عشرين مجلساً له، كفره في ثلاث منها، هي: قوله بقدم العالم وعدم المعاد الجسماني وأن الله لا يعلم الجزئيات وبدّعه في البواقي ويقال أنه تاب عند الموت والله أعلم) .

ونقل ابن العماد في شذرات الذهب [237/3] قول الشافعي في ابن سينا: (طالعت كتاب "الشفاء" وما أجدره بقلب الفاء قافاً، لاشتماله على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين والله أعلم بخاتمته وصحة توبته).

ونقل قول ابن الصلاح فيه: (لم يكن من علماء الإسلام بل كان شيطاناً من شياطين الإنس). وأشهر من رد على ابن سينا وبين ضلالاته وكفره وهتك ستره شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلفاته ومنها نقد المنطق ودرء تعارض العقل والنقل وغيرها ومما قاله فيه: (وابن سينا تكلم في أشياء من الإلاهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغت علمهم فإنه استفادها من المسلمين وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض وقد صنف المسلمون في كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتباً كباراً وصغاراً وجاهدوه باللسان واليد إذ كانوا بذلك أحق من اليهود والنصارى ولو لم يكن إلا كتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار) للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب وكتاب عبد الجبار بن أحمد وكتاب أبي حامد الغزالي وكلام أبي إسحاق وكلام ابن

فورك والقاضي أبي يعلى والشهرستاني وغير هذا مما يطول وصفه والمقصود هنا أن ابن سينا أخبر عن نفسه أن أهل بيته وأباه وأخاه كانوا من هؤلاء الملاحدة وأنه إنما اشتغل بالفلسفة بسبب ذلك).

إلى أن قال: (وابن سينا لما عرف شيئا من دين المسلمين وكان قد تلقى ما تلقاه عن الملاحدة وعمن هو خير منهم من المعتزلة والروافض أراد أن يجمع بين ما عرفه بعقله من هؤلاء وبين ما أخذ من سلفه) انتهى . من مجموع الفتاوى [235-233/9].

وقال ابن تيمية في موضع آخر [571/11]: (وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونان ومما أخذ من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية وحقيقته تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية فإن أهل بيته كانوا من الإسماعيلية أتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمنه ودينهم دين أصحاب "رسائل إخوان الصفا" وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى) .

وقال في موضع آخر [103/4]: (وكذلك ابن سينا وغيره، يذكر من التنقص بالصحابة ما ورثه من أبيه وشيعته القرامطة) .

لولا خوف الإطالة لسردت من كلام شيخ الإسلام في تكفير ابن سينا وبيان ضلالاته أكثر من هذا.

وتبعه ووافق في نقده وتكفيره ابن سينا أيضاً، الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله في كثير من كتبه منها: "إغاثة اللهفان" و "شفاء العليل" و "الكافية الشافية" وغيرها. فمن ذلك قوله رحمه الله: (وكان ابن سينا كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم فكان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ولا رب ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى). إغاثة اللهفان [195/2].

وأطلق عليه ابن القيم لقب "إمام الملحدين" في إغاثة اللهفان [196/2] ولقب شيخ الملحدين في كتابه (شفاء العليل) وغيره.

فمن كان هذا حاله فكيف يعظمه المسلمون ويفخمون من شأنه ويحتفون به ويفخرون على الأمم بعلمه وفكره؟

2- الفارابي (توفي سنة 339هـ).

قال الذهبي في السير [416/15]: (شيخ الفلسفة الحكيم، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، التركي الفارابي المنطقي أحد الأذكى له تصانيف مشهورة من ابتغى الهدى منها ضل وحاد، منها تخرج ابن سينا ويقال إنه أول من اخترع القانون) .

وقال ابن العماد في شذرات الذهب [353/2]: (أكثر العلماء على كفره وزندقته حتى قال الإمام الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" : لا شك في كفرهما أي الفارابي وابن سينا) ونقل عن الغزالي أيضاً قوله: (مجموع ما غلط فيه هؤلاء الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام، ومنهم الفارابي وابن سينا يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر).

أما المسائل الثلاث فهي:

1- قولهم إن الأجسام لا تحشر، وإن المثاب والمعاقب هي الروح.

2- وقولهم إن الله يعلم الكلبيات دون الجزئيات.

3- وقولهم يقدم العالم وأزليته.

وأما المسائل الأخرى التي يبدعون بها فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة.

(باختصار من شذرات الذهب).

3- الرازي (محمد بن زكريا) (ت 311هـ).

ترجمه الذهبي في السير [354/13] فقال: (الأستاذ الفيلسوف أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب بلغ الغاية في علوم الأوائل نسأل الله العافية) .
لم يزد كل من ترجمه كابن خلكان في الوفيات [157/5] وابن العماد في الشذرات [263/2] وابن النديم في الفهرست (504) على وصفه بالحنق في الطب والبراعة فيه وفي الفلسفة وهذا ما عناه الذهبي بقوله: (بلغ الغاية في علوم الأوائل).
وقال ابن القيم في معرض كلامه عن عقائد الثنوية والديسانية وهم من المجوس (وأصل عقد مذهبهم الذي عليه خواصهم إثبات القدماء الخمسة : الباري ، والزمان، والخلاء، والهيولي، وإبليس).

فالباري خالق الخيرات، وإبليس خالق الشرور ، وكان محمد بن زكريا الرازي على هذا المذهب لكنه لم يثبت إبليس فجعل مكانه النفس وقال بقدم الخمسة مع ما وشحه به من مذاهب الصائبة والدهرية والفلاسفة والبراهمة.

فكان قد أخذ من كل دين شر ما فيه وصنف كتاباً في إبطال النبوات ورسالة في إبطال المعاد فركب مذهباً مجموعاً من زنادقة العالم) . باختصار من إغاثة اللفهان [179/2].

4- ابن رشد الحفيد (ت 595هـ).

قال الذهبي في السير [307/21] : (العلامة فيلسوف الوقت أقبل على علوم الأوائل وبلاياهم حتى صار يضرب به المثل في ذلك لا ينبغي أن يروى عنه) وذكر أن الخليفة يعقوب الملقب بالمنصور نقم على ابن رشد لأجل الفلسفة وأمر أن يهجر في بيته فلا يدخل عليه أحد لأنه بلغه عنه أقوال ردية ونسبت إليه العلوم المهجورة فمات محبوساً بداره بمراكش . (باختصار).
(العلوم المهجورة) أي: علوم الفلاسفة القائلين بقدم العالم وغير ذلك من الأقوال المنكرة.
وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن رشد الحفيد خالف قدماء الفلاسفة في بعض مذاهبهم وأنه أقلهم كفراً وأقربهم إلى الإسلام انظر مجموع الفتاوى [289، 295، 357/17].
إذا نستطيع أن نخلص بأن قدامى علماء الدين المسلمين قد كفروا معظم مشاهير علماء الطب والفلسفة من البلاد الموطونة.

فحال هؤلاء كما رأيت ما بين زنديق منكر للمعاد كابن سينا والفارابي والرازي أو كافر مشرك عابد للأفلاك والأصنام ككتاب بن قره الصابئ وأحسنهم حالاً من هو شر من الجهمية والمعتزلة كابن رشد الحفيد.

فهل يليق بمسلم بعد ذلك تعظيمهم وتفخيم شأنهم والإشادة بهم وبعلمهم؟!

من ناحية أخرى ,إن كان الإسلام يدعو إلى العلم كما يزعم البعض فإننا نتوقع أن تؤمن الشريعة الإسلامية للمسلم مناخاً صحياً يساعده على البحث والتدقيق والتمحيص في أمور العلم المختلفة فهل حدث. هذا؟

وهل يمكن ان نتصور بحث اي بحث دون أسئلة وتساؤلات؟؟.

عن سليمان بن يسار. ان رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ قال. انا عبد الله صبيغ. فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه وقال. انا عبد الله عمر فجعل له ضرباً حتى أدمى رأسه فقال. يأمير المؤمنين! حسبك قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي.

راجع: سنن الدارمي 54-55 تاريخ ابن عساكر 384/6 سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي 109 وتفسير ابن كثير 232/4 وفتح الباري 17/8.

عن أبي العديس قال: كنا عند عمر بن الخطاب فاتاه رجل فقال: يأمر المؤمنين : ما الجور الكنس؟ وطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل فلقاها عن رأسه فقال عمر والذي نفس عمر بيده لو جردك مخلوقاً لا نحييت القمل عن رأسك. كنز العمال 229/1.

عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ان رجلاً سأل عمر عن فاكهة واباً فلما رأهم يقولون أقبل عليهم بالدرة-أراد الرجل ان يسأل عمر عن معنى (فاكهة واب) الواردة في سورة عبس 31 فضربه عمر بالدرة. راجع فتح الباري 13 والدر المنثور 317/6.

لماذا أقبل عليهم الخليفة بالدرة؟ وهل تبقى قائمة لإصول العلم والتعلم والحالة هذه؟. لعل الأمة قد حرمت ببركة تلك الدرة عن التقدم والرقي في العلم بعد ان آل أمرها إلى ان هاب مثل ابن عباس ان يسأل الخليفة العادل سؤالاً!

قال ابن عباس مكثت سنتين أريد ان أسأل عمر بن الخطاب عن حديث ما منعني منه الا هيئته راجع الغدير 6/ 292-203 وسيرة عمر لابن الجوزي 118 وسنن الدارمي 1/ 50 و جامع بيان العلم 141/2.

سلوك ابن الخطاب لم يأتي من العدم فلقد استن ابن الخطاب بسنة رسوله ، حين منع المؤمنين من السؤال أو المطالعة.

يقول خليل عبد الكريم في كتابه محمد والصحابة:ص 64-67: "قال عمر بن الخطاب- انطلقت فانتسخت كتاباً من اهل الكتاب ثم جئت به فقال لي رسول الله : ما هذا فى يدك يا عمر؟ فقلت :يا رسول الله كتاباً نسخته لنزداد علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه ثم نودى بالصلاة جامعة فقالت الانصار: اغضب نبيكم 00 السلاح السلاح). النداء للصلاة الجامعة لا يكون الا في النوازل الكبيرة والملامات الجانحة أي أن نبي الإسلام اعتبر قراءة أحد أتباعه لصحيفة من التوراة نازلة وجانحة .

وهناك رواية أخرى يرويها عز الدين بن أثير الجزري :اخبرنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله فقال يا رسول الله مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة الا اعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله قال: عبد الله بن ثابت الا ترى ما بوجه رسول الله ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً. قال فسرى عن النبي ثم قال والذي نفسي بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم أنكم حظي من الأمم وانا حظكم من النبيين.

نلاحظ في هذا الحديث ان عمر بعد ان فوجئ بغضب النبي عليه تلفظ بعبارات تفيد بأنه ما زال على إسلامه وباعترافه برسوليته ، ما يعنى انه فهم ان قراءته للتوراة اعتبرت خلعاً لرقبة عقيدة الإسلام وخروجاً عليها.

ولكن لماذا كان النبي يغضب ويثور عندما يعلم ان احد الصحابة قرأ شيئاً من كتب الديانتين السابقتين على ديانتة ؟ لانه كان حريصاً على فصم كل صلة لهم بما هو خارج عن دائرة الإسلام وبالأخص ما يدخل في دائرة الاعتقاد.

استوعب عمر بن الخطاب الدرس جيداً وحفظه تماماً ثم اخذ يدرسه بحذافيره للرعية والوقائع في ذلك كثيرة 000000

عن خالد بن عرفطة ان عمر بن الخطاب ضرب رجلاً اسمه عدي ثلاثاً لانه نسخ كتب دنيا، ثم قال له : فانطلق فامحه بالحميم والصوف الابيض ثم لا تقرأه أنت ولا تقره أحدا من الناس فلئن بلغني عنك انك قرأته او أقرأته أحدا من الناس لانتهكتك عقوبة.

اخرج نصر المقدسي عن ميمون بن مهران قال: اتى عمر بن الخطاب رجلاً وقال له يأمر المؤمنين انا لما فتحنا المدائن أصبت كتاب فيه كلام معجب، قال امن كتاب الله ؟ قلت : لا، فدعا بالدرة فجعل يضربه بها.

هنا نجد ان عمر ضرب الرجل دون ان يطلع على الكتاب الذي حدثه عنه وان فيه كلاماً معجباً 00 مجرد تصريح الرجل ان الكتاب ليس من القرآن عرضه للعقاب الرادع . راجع محمد والصحابة لخليل عبد الكريم ص 64-67.

عن سعد مرفوعا قال : أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته. وقال البيهقي في كتاب المدخل: كره السلف السؤال عن المسألة قبل كونها إذا لم يكن فيها كتاب ولا سنة , وإنما سأل بالاجتهاد لأنه إنما يباح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عندها .راجع الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي فصل في كراهة السؤال 71-69/2

هذا هو العلم في الإسلام وهذه هي حدود المسلم كما رسمها له رسول الله لا سؤال ولا بحث ولا علم خارج حدود القرآن والسنة "تلك هي حدود الله فلا تتعدوها".البقرة 922 . ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلال مبينا. !!! .راجع (الإرهاب إسلام أم تأسلم- د. رفعت السعيد ص12-13).

الباب الرابع

الإعجاز العلمي

كنت ولا زلت أنظر إلى الإعجاز أو المعجزة بصفة عامة على أنها دليل ثانوي لن يحسم أبداً الجدل حول مصدر النبوءات والكتب السماوية ؛ وذلك راجع للإعتبارات التالية :

1- لأن المعجزة ليست دائماً من مصدر إلهي فالشيطان أتاه الله قدرة يستطيع بها خلق خوارق هو الآخر ولعل ما فعله السحرة المصريون مع موسى خير دليل على ذلك . فهل نقول أن السحرة أيضاً كانوا أنبياء مرسلين من الله؟!

2- لأن هناك أنبياء كذبة كثيرون ، وهذا ما يعتقد به المسلمون أيضاً ويتفقون مع المسيحيين على أن الكثيرين سيدعون النبوة من بينهم المسيح الدجال(الكذاب) وسيصنعون أيضاً آيات وعجائب عظيمة ، فهل يمكن القول عنهم أنهم مرسلون من الله؟!

3- لأن بعض الناس يهبهم الله قدرات عالية من الذكاء والحدة والنبوغ الفكري ، فيستطيعون مثلاً الإختراع والإبتكار وإعطاء نظريات جديدة تعجز البشر تماماً ونذكر على سبيل المثال العبقري "إينشتاين" الذي أعجز المفكرين إلى عصرنا الحاضر بنظرية النسبية ..فهل يمكن اعتبار أمثاله أنهم أنبياء ورسول من عند الله؟؟

... بالطبع سيكون الجواب على كل هذه الأسئلة النفي القاطع ، ولهذا لا ينبغي أن نعول كثيراً على براهين من هذا النوع ونجعلها تعين أو تؤكد مصداقية الأمور الروحية أو نبني عليها مصيراً أخروياً خطيراً ونجعلها متعلقاً بخيوط واهية كهذه .

بالرغم من هذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهل موضوع الإعجاز العلمي كلية، بل يجب أن نعطيه حقه الواجب من البحث والتمحيص اللائق به ، خصوصاً أن البعض يرى فيه فصل الختام في مصداقية القرآن.

نقاط البحث متعددة ومتنوعة لذا سندرجها تحت عناوين مختلفة ، لكن نظراً لترابطها، بعضها ببعض، سنلجأ في بعض الأحيان إلى تكرار آيات قرآنية وأحاديث نبوية في مواضع عديدة ، وسنستشهد بشروحات مختلفة لكبار المفسرين المسلمين حتى يتضح المعنى الحقيقي للآيات والأحاديث كما فهمها هؤلاء الأئمة الأفاضل اللذين يحظون باحترام وتقدير عامة المسلمين.

منهجنا في هذا هو المنطق السليم والإستنتاج الواضح والدليل القوي بعيداً عن السفسطة والتحاميل ، ودون ارهاق ولى عنق ومسح للآيات والأحاديث أو حشوها بما لا تطبيق من معان في محاولة لإستنطاقها ما لا تمت له بأدنى صلة.

الموضوع الأول : الأصل الواحد للكون

يقول علماء العصر أن الكون من أصل واحد (أصل غازي) انقسم إلى سدائم بعد تطورات عديدة وعالمنا الشمسي هو من بين النتائج التي أسفرتها هذه الإنقسامات ، واستدلوا بوجود العديد من العناصر الكيماوية المشتركة بين النجوم والكواكب تأكيدا لنظريتهم ، لكن بعض العلماء المسلمين (من بينهم الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة في كتابه "روح الدين الإسلامي" ص49) أخرجوا تفسيراً لآية قرآنية في سورة الأنبياء يثبتون به ان القرآن قد سبق علماء العصر إلى هذه النظرية .

لكن كما نتفحص المحكمة أدلة القضية ، سنتفحص نحن أيضا هذه الآية القرآنية على ضوء تفاسير وأقوال الأئمة وآيات قرآنية أخرى لكي نخلص إلى نتيجة حتمية إما الإقرار بصحة ادعائهم أو نفيه تماما.

- تقول الآية 30 من سورة الأنبياء " أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون".

- قال ابن كثير: "كان الجميع (أي السموات والأرض) متصلا بعضه ببعض (تفسير سورة الأنبياء) "

- قال الحسن وقتادة: "كانت السموات والأرض ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء" (تفسير ابن كثير).

- قال مجاهد: "لم تكن السماء والأرض متماستين" (تفسير ابن كثير) .

- قال ابن عباس: " فتق هذه (أي السماء) بالمطر وفتق هذه (أي الأرض) بالنبات". (تفسير ابن كثير)

- قال إسماعيل بن أبي خالد: " سألت أبا صالح الحنفي عن قوله (أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) قال : كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سموات ، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين". (تفسير ابن كثير).

ملاحظات

الملاحظة الأولية هي أن هناك اختلافا بين المفسرين حول تفسير هذه الآية وآراؤهم تتلخص فيما يلي:

- 1- السموات والأرض كانتا متلاحمتين (رتقا) ثم بعد ذلك فصل الله بينهما.
 - 2- السموات والأرض لم تكونا ملتزقتين، بل المقصود هو أن السماء كانت ملتحمة ففتقها الله بإنزال المطر وكذا الأرض كانت ملتحمة ففتقها الله بإخراج النباتات.
 - 3- السماء كانت سماء ملتحمة واحدة ففتقها الله إلى سبع سموات وكذلك الأرض.
- بالنسبة للرأيين الآخرين لو كانا صحيحين لكانت إذن الآية المذكورة لا تحوي أي إعجاز تؤيده نظرية "وحدة الكون" وتجدر الإشارة هنا إلى كون ابن عباس هو حبر الأمة الإسلامية فإذا اعتمدنا تفسيره تكون الآية خالية الوفاض لا تحمل بين طياتها شيئا من الإعجاز الذي يدعيه البعض . لكن رغبة منا في استكمال البحث نفترض أن الرأي الأول هو الصحيح أي أن (السموات والأرض كانتا شيئا واحدا وبعد ذلك فصل الله بينهما بالهواء). لكن هذا الرأي يناقض العديد من الآيات القرآنية نذكر من بينها ما ورد في سورة فصلت من 9 إلى 11 حيث تقول " قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين

وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسانلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض انتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين".
ولتأييد أقوالنا نستشهد هنا بما قاله إمام المفسرين ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات من سورة فصلت :

1- يقول ابن كثير : " ذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ ، وَالْأَصْلُ أَنْ يَبْدَأَ بِالْأَسَاسِ ثُمَّ بَعْدَهُ فِي السَّقْفِ كَمَا قَالَ (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ)".

2- وقال أيضا : " ..فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ".

3- وزاد بعد ذلك قائلا : " ..فَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ ".

4- أما ابن عباس فإنه يقول : " .. وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ ". (تفسير ابن كثير) الخلاصة : من هذه الأقوال نستنتج أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء بحسب الآيات القرآنية وهذا ثابت بالنص الصريح كما يقول ابن كثير ، ويتضح أيضا أن خلق الأرض كان في أربعة أيام وخلق السماء كان في يومين، وبالتالي فإن القرآن يصرح بأن السماء والأرض لم يكونا شيئا واحدا بل كل واحد منهما خلق منفصلا عن الآخر .

إذا فالرأي الذي يعتقد بأن القرآن سبق وأشار إلى هذه الحقيقة العلمية (أي الأصل الواحد للكون) هو رأي خاطيء واستنباط غير صائب البتة لأنه يتناقض مع صريح الآيات القرآنية.

الموضوع الثاني : نشأة الكون

يرجح العلماء أن الحالة الغازية هي الحالة الأصلية التي خلقت منها كل الموجودات أي أنها أصل الكون بكل ما فيه ، وحتى علماء الإسلام يسلمون بهذا بل وأكثر من ذلك يقولون أن القرآن سبق وأشار إلى هذه الحقيقة وخصوصا الآيات المذكورة آنفا وهي من سورة فصلت إذ تقول : " قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسانلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض انتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ". فصلت 9-11

- يقول الأستاذ عفيف عبد الفتاح طيارة في كتابه "روح الدين الإسلامي" بخصوص هذا الموضوع : " ..فالقرآن يصرح بأن السماء كانت في بدء خلق الكون دخانا والعلماء اليوم لهم تفسيرات شتى في بدء تكون هذا الكون ، فالعالم سير جيمس جينز يقول: الراجح أن مادة الكون بدأت غازا منتشرا خلال الفضاء بانتظام وأن السدائم (جمع سديم : أي سحابة من النجوم) خلقت من تكاثف هذا الغاز".

- وأما ابن كثير في تفسيره لهذه الآية فإنه يقول : " المراد بالدخان بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض".

ملاحظات

1- إن العلماء اتفقوا على أن أصل الكون قد يكون غازيا ، وعندما قالوا الكون فهذا يعني " كل الموجودات"، أما القرآن فإنه يعزو كون السماء دخانا إلى ما بعد خلق الأرض وكل ما عليها ، أي أن السماء وحدها هي التي من دخان وليس الكون كله وهذا يعارض النظرية العلمية المعتمدة إضافة إلى أنه خطأ علمي واضح.

2- إن كلمة " دخان " لا تعني غازا لأن الدخان يحمل في محتوياته موادا عضوية ، وهذه هفوة أخرى لأن الحالة الغازية الأولى للكون (حسب تصريحات العلماء) لا يمكن أن تحوي موادا عضوية ، أما التفسير الذي اعتمده ابن كثير فقد جانبه الصواب لأن الكلمتين العربيتين "دخان" و"بخار" مختلفتين تماما وليس لهما نفس المعنى ولو كان المقصود هو البخار لاستعمل الكلمة نفسها دون غيرها .

3- هذا يتعارض مع الآية القائلة "وجعلنا من الماء كل شيء حي" الأنبياء 30. حيث يقول الحديث مفسرا إياها: " عن أبي هريرة أنه قال : يانبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شيء. قال: كل شيء خلق من ماء " .
 إذن فهل من ماء أم من دخان؟؟ أيهما نصدق!!
 على العموم سواء كان ماء أو دخانا فقد جانبه الصواب في كلتي الحالتين.

الموضوع الثالث : السبع سموات

يرد بالآيات القرآنية ذكر لفظة "سبع سموات" مرارا وتكرارا لكننا سنقتصر على إعطاء بعض الأمثلة رغبة في الإختصار :

جاء في سورة الملك الآية (3) " الذي خلق سبع سموات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " .

وأیضا قيل في سورة نوح الآيات 15-16 " ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا " .

ورود أيضا في سورة فصلت الآية (12) " فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم " .
 وبخصوص تفسيرات هذه الآيات نقرأ :

- عن الملك 3 : " أي خلق سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض كل سماء كالقبة للأخرى " .
 - وعن نوح 16-15 " أي ألم تشاهدوا يامعشر القوم عظمة الله وقدرته وتنظروا نظر اعتبار وتفكر وتدبر، كيف أن الله العظيم الجليل خلق سبع سموات, سماء فوق سماء ، متطابقة بعضها فوق بعض وهي في غاية الإبداع والإتقان وجعل القمر فيهن نورا " أي وجعل القمر في السماء الدنيا منورا لوجه الأرض في ظلمة الليل . قال الإمام الفخر الرازي : القمر في السماء الدنيا وليس في السموات بأسرها وهذا كما يقال : "السلطان في العراق ليس المراد أن ذاته حاصلة في كل أنحاءها ، بل إن ذاته في حيز من جملة أنحاء العراق فكذا ههنا وقال في البحر : والقمر في السماء الدنيا وصح كون السموات ظرفا للقمر لأنه لا يلزم من الظرف أن يملأ المظروف ، تقول زيد في المدينة وهو في جزء منها " .

- وعن فصلت 12 قال: " أي صنعهن وأبدع خلقهن سبع سموات في وقت مقدر بيومين فتم خلق السموات والأرض في ستة أيام ولو شاء لخلقهن بلمح البصر ولكن أراد أن يعلم عباده الحلم والأناة (وأوحى في كل سماء أمرها) أي أوحى في كل سماء ما أراد وما أمر به فيها (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) أي وزينا السماء الأولى القريبة منكم بالكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض " .

أما الإعجاز الذي يراه أصدقاؤنا في هذه الآيات هو أن القرآن قد سبق وتنبأ عن حقائق علمية في علم الفضاء وليثبتوا ذلك قالوا بأن الفضاء مقسم إلى :

- المجال الأرضي ومقداره أربعين كيلومتر فوق الأرض وهذه هي السماء الأولى .

- مجال آخر يسمى سماء ثانية وليحصلوا على هذا المجال ضربوا العدد أربعين في 10000 وهكذا دواليك حتى حصلوا على سبع سموات (سبع مجالات) .

ملاحظات

نتساءل نحن هل هذا يتوافق مع ما يقوله القرآن؟؟

- 1- لقد صرحت الآيات القرآنية وكذا المفسرون بأن كل النجوم والكواكب إنما هي في السماء الدنيا ، ولكن حسب الإعجازيون فإننا نجد ان المجال الأرضي (الذي بحسب اعتقادهم هو السماء الأولى) لا يحوي أي نجوم . وباقي المجالات (السموات الست بحسبهم) تحوي الملايين من النجوم والكواكب . إذن فالإعجاز الذي يعتقد به أصحابه ليس له أي علاقة مع الآيات القرآنية بل يناقضها تماما .
- 2- لقد قسموا الفضاء كما ترانى لهم ليحصلوا على سبعة أقسام ويثبتوا بذلك إعجاز القرآن ولكن لو أردنا تقسيم الفضاء لجعلناه قسمين مجال أرضي ومجال فوق أرضي والفاصل بينهما هو طبقة الأوزون .
- 3- نندهش أيضا على قول القرآن وكذا الأحاديث (خصوصا حديث المعراج) اللذين يذكرون السبع سموات لأن الفضاء واحد متجانس ويمكننا أن نقول عنه سماء واحدة! وليس سبعة ، وهذا ما أثبتته علماء الفضاء اللهم إذا كان المقصود سموات مجازية أو للدلالة على الوسع أو للرمز لأشياء روحية ، فإنه في هذه الحالة لا اعتراض لنا على ذلك ...

الموضوع الرابع : الشهب

فيما يلي أهم الآيات التي تتكلم عن الشهب وبعدها أقوال المفسرين عنها :

- " إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب " الصافات 6-10

- ..وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا " الجن 8-9

- " ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين " الحجر 16-18

- في تفسير الصافات 6-10 نجد : " أي زينا السماء القريبة منكم بالكواكب المنيرة المضيئة التي تبدو وكأنها جواهر تتلألأ (وحفظا من كل شيطان مارد) أي وللحفظ من كل شيطان عات متمرد خارج عن طاعة الله . قال قتادة : خلقت النجوم لثلاث : رجوما للشياطين ونورا يهتدى به وزينة للسماء الدنيا " (تفسير الطبري).

- " (لا يسمعون إلى الملاء الأعلى) أي لا يقدر أن يسمعو إلى الملائكة الذين هم في العالم العلوي ، وقيل المعنى لنلا يسمعو إلى الملاء الأعلى (ويقذفون من كل جانب) أي ويرجمون بالشهب من كل جهة يقصدون السماء منها (دحورا) أي طردا لهم عن السماع لأخبار السماء " [صفوة التفاسير] (إلا من خطف الخطفة) أي إلا من اختلس شيئا مسارقة (فاتبعه شهاب ثاقب) أي فلحقه شهاب مضيء نافذ بضوئه وشعاعه فأحرقه " [صفوة التفاسير] ، قالوا أيضا " قد يخطف الشيطان المارد خطفة سريعة مما يدور في الملاء الأعلى فيتبعه شهاب يلاحقه في هبوطه فيصيبه ويحرقه حرقا قال القرطبي : وليست الشهب التي يرجم بها من الكواكب الثوابت ، لأن الثابتة تجري ولا ترى حركاتها " .

- وفي تفسير سورة الجن 8-9 قيل : "يقول الجن : وأنا طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها ، فوجدناها قد ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونهما ، وبالشهب المحرقة التي تقذف من يحاول الإقتراب منها (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) أي: كنا قبل بعثة محمد نطرق السماء لنستمع إلى أخبارها ونلقبها إلى الكهان (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي فمن يحاول الآن استراق السمع يجد شهابا ينتظره بالمرصاد يحرقه ويهلكه " [صفوة التفاسير].

- أما في تفسير سورة الحجر 16-18 فنجد " أي حفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين مطرود من رحمة الله (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) أي إلا من اختلس شيئا من أخبار السماء فأدركه ولحقه شهاب ثاقب فأحرقه " [صفوة التفاسير] .

ملاحظات

اثبتت أقوال المفسرين أن المعتقد الإسلامي عن الشهب هو أنها خلقت بالضبط لرجم الشياطين التي كانت تقعد مقاعد للسمع في السماء قبل بعثة محمد لكنها فوجئت بالشهب ترجمها عندما ظهر محمد وبالرغم من ذلك هناك بعض الشياطين السريعين الذين يخطفون الخطفة على غرة من أهل السماء فيتبعهم الله بالشهب ليحرقهم وهناك أيضا من ينجون من ذلك الرجم فيلقون ما سمعوا إلى الكهان الذين بدورهم يخبرون أهل الأرض بما سيقع في المستقبل . ولذلك سنعلق بما يلي:

1- لقد أثبت العلماء أن الشهب تتكون من ثاني أكسيد الكربون والخليط حديد - نيكل (-Ferro nikel) ومواد أخرى .. أما "الجن" أو ما يسميه البعض الأرواح الشريرة فالإسلام كعقيدة يرى أنها كائنات روحية ليست لها أجسام مادية . فكيف تسقط إذن الأجسام المادية على كائنات غير مادية؟

2- وقعت في السنوات الأخيرة تساقطات غزيرة للشهب, فماذا يعني ذلك ؟ هل هو رجم لجيش من الشياطين؟ وبماذا نفسر المسارات المتوازية لهذه التساقطات؟ هل هي رجم لشياطين متصافاة؟ وهل يعقل أن يكون الله العظيم القدرة عاجزا عن حفظ أخبار الغيب لهذه الدرجة حتى أنه يخلق نجوما لترجم كل من اختطف السمع وهرب؟؟ إنه أمر يدعو للاستغراب أن نقول أن بعض الشياطين تخطف أسراراً من الله وترميها للكهان بينما يعجز الله عن منعهم إذ يرسل الشهب التي تصيب بعضهم ولا تصيب من ينجون !! وهل الشهب لم تكن تسقط قبل مجيء نبي الإسلام؟؟ (لأن القرآن يؤكد أن الجن كانوا يستمعون إلى أخبار السماء قبل مجيء نبي الإسلام " سورة الجن 8 ")!

الموضوع الخامس: تحركات الشمس والقمر والأرض

يستنتج بعض علماء المسلمين(عفيف عبد الفتاح طيارة – روح الدين الإسلامي ص 50) أن القرآن قد سبق أيضا وأشار إلى دوران الشمس والقمر والأرض بمنات السنين قبل أن يتوصل العلماء المعاصرون إلى هذه الحقيقة. ويستندون في قولهم هذا على الآيات التالية : "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " يس 38-40 .

- يقول سيد قطب بخصوص هذه الآيات في تفسيره (في ظلال القرآن) :

" والشمس تدور حول نفسها ، وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه ولكن عرف أخيرا أنها ليست مستقرة في مكانها إنما هي تجري فعلا في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل يسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية " .

- ويقول ابن كثير في تفسيره لقول القرآن " لمستقر لها " قولين أحدهما : " أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض في ذلك الجانب وهي أينما كانت فهي تحت العرش وجميع المخلوقات ، لأنه سقفها " ... " فالشمس - يقول ابن كثير- إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون من العرش فحينئذ تسجد (يعني الشمس) وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث : في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي (ص) في المسجد عند غروب الشمس فقال (ص) : يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم قال(ص) : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) " .

- وأورد ابن كثير حديثين آخرين بنفس المعنى حيث قال : " عن أبي ذر قال: سألت رسول الله عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال : مستقرها تحت العرش" وعن أبي ذر أيضاً قال: كنت مع رسول الله في المسجد حين غربت الشمس فقال (ص) " يا أبا ذر أتدري أين تذهب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم قال (ص): فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع إلى مطلعها وذلك مستقرها ، ثم قرأ : (والشمس تجري لمستقر لها).

والقول الثاني الذي أورده ابن كثير في سياق حديثه عن هذه الآيات هو كالتالي : " المراد بمستقرها هو منتهى سيرها يوم القيامة ، وقرأ ابن عباس وابن مسعود (والشمس تجري لا مستقر لها) أي لا قرار لها ولا سكون بل هي سائرة ليلاً ونهاراً لا تفتر ولا تقف " .

- على العموم خلاصة الأحاديث وأقوال المفسرين هي كالتالي:
أولاً: المراد بالجريان هو مدار الشمس من المشرق إلى المغرب (كما قال ابن كثير وأبو ذر نقلاً عن نبي الإسلام) وهذا خطأ علمي واصلح لأن الأرض هي التي تدور وليس الشمس .
ثانياً: عبر عن الجريان في الحديث بالذهاب ، أي أن الشمس تنتقل وتمشي من المشرق إلى المغرب!!

ثالثاً: المقصود بالمستقر هو " تحت العرش " وهذا ما اعتقده نبي الإسلام (كما رأينا في الأحاديث) إذ ظن أن الشمس حين تغرب فهي تذهب لتسجد لله فيرسلها الله كي تعود من حيث طلعت أول مرة ، وليس أنها حين تختفي فهي تضيء لأناس آخرين من نصف الكرة الأرضية .
رابعاً: المقصود بمستقرها أيضاً هو مطلعها وهو المشرق.
خامساً: المراد بمستقرها هو يوم القيامة (مستقر زمني) .

سادساً: قرأ ابن عباس وابن مسعود (لا مستقر لها) أي دائمة الجريان .
أما أحد مؤيدي الإعجاز فقد قال معلقاً على هذه الآيات : " يصرح القرآن بأن الشمس تجري باتجاه معين وهذا ما يطابق العلم فالشمس تتحرك مع مجموعتها في اتجاه كوكب نير من مجموعة كوكبة الجاثي" (عفيف عبد الفتاح طبارة- روح الدين الإسلامي).

ملاحظات

- لا أعتقد أن الأستاذ طبارة يعرف ما يعنيه القرآن أحسن من نبي الإسلام نفسه الذي فسر الجريان بالذهاب من المشرق إلى المغرب ومن ثم إلى تحت عرش الله! بالإضافة إلى أن الاتجاه المعين الذي تكلم عنه وفسره بكوكب من الجاثي هو مفسر بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، فقال إن المراد به هو تحت عرش الله فهل عرش الله يوجد في مجموعة كوكبة الجاثي؟

- وكما ذكرنا من قبل فإن الأستاذ سيد قطب يقول إن الجريان يقصد به القرآن دوران الشمس وبالتالي سيرها في الفضاء وهو يجعل الآية تنطق بما لا تحتل و لولا أنه يعلم أن الشمس تسير في الفضاء لما استنتجها بنفسه من القرآن ، إضافة إلى أن قوله يعارض حديث نبي الإسلام عن هذه الآية كل المعارضة فهو لم يتكلم عن جريانها في الفضاء بل عن ذهابها من

المشرق إلى المغرب وعودتها إلى المكان الذي تطلع منه هذا هو المستقر والجريان اللذان اعتقدهما النبي. فهل مفسرو العصر أفضل من نبيهم في تفسير القرآن وفهمه؟؟

- نعود إلى الشطر الثاني من الآية والذي يقول: " لا الشمس ينبغي لها أن تدرک القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" .

يقول الأستاذ عفيف عبد الفتاح طيارة في كتابه "روح الدين الإسلامي": "ودوران الأرض أشار إليه القرآن بقوله (ولا الليل سابق النهار) فدوران الأرض حول نفسها هو الذي يسبب الليل والنهار بانتظام".

الرد: ماذا سيفهم أعرابي في القرن السابع من الميلاد من العبارة "ولا الليل سابق النهار"؟؟ إنه سيفهم أن النهار يأتي في وقته والليل يأتي في وقته دون أن يكون الليل مكررا ودون أن يستغرق أكثر من الوقت المخصص له ، وهذا قول معقول لا يحتاج إلى فطنة أو ذكاء! فأين هو الإعجاز وأين هي الإشارة إلى الأرض ودورانها؟ إنها فقط إضافات وتأويلات نطق بها المسلمون وليس القرآن .

ثانيا: إن الجملة عند فحصها بتدقيق يظهر فيها خطأ تعبيرى فعندما يقول (ولا الليل سابق النهار) فهو يعني أن الليل لا يسبق النهار! فماذا يسبق النهار إذن؟ هل يسبقه نهار آخر؟؟.

ثالثا: إن العبارة (ولا الليل سابق النهار) أتت لتجنب التكرار فعندما قال "لا الشمس ينبغي لها أن تدرک القمر" لم يرد التكرار الذي يظهر جليا لو قال " لا الشمس ينبغي لها أن تدرک القمر ولا القمر ينبغي له أن يدرک الشمس" لذلك عوض الجملة الأخيرة بقوله (ولا الليل سابق النهار).

- رابعا: إن قول الأستاذ طيارة يناقض ما جاء بسورة الشمس التي تقول في آياتها الأولى (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) أي أن النهار يظهر الشمس ويجليها والليل يغطي الشمس ويخفيها (يغشاها) وهذا ما قاله ابن جرير في تفسيره لهذه الآيات . وليس كما قال الأستاذ عبد الفتاح طيارة بأن القرآن عنى بأن دوران الأرض يسبب إظلام الليل وإشراق النهار بسبب دورانها حول الشمس. واضح انه لكي يمكن فرضا للشمس ان تدرک القمر ينبغي منطقيا ان يكون اولا متحركين 0ى ان الشمس تتحرك) ثانيا ان يكون تحركهما على الأقل في مدارين متقاربين بحيث يمكن تصور إمكانية حدوث هذا الإدراك الذي تنفيه الآية .. اما إذا كان هذا الإدراك هو امر مستحيل حدوثه أصلا ولا ينفع حدوثه بأي حال من الأحوال فان الآية تصبح لا معنى لها وضربا من الهزيان .. لأنها في هذه الحالة الافتراضية تنفى وقوع حدث لا يمكن أصلا وقوعه .. اين هو الأعجاز إذا؟.

اثبت العلم بما لا يدع مجالاً للشك (خصوصا بعد طلوع القمر وغزو الفضاء في الستينيات) ان الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس كما ان القمر يدور حول الأرض ... فبالنسبة للمجموعة الشمسية بأكملها التي مركزها الشمس الدائرة حولها الكواكب ومنها الأرض تعتبر الشمس ثابتة .. ولو ان المجموعة الشمسية بأكملها تدور حول مركز المجرة كل 200 مليون سنة. إذن هناك استحالة مادية في ان الشمس تدرک القمر لأنها ثابتة بالنسبة للكواكب التي منها الأرض ولان القمر يدور حول الأرض... ولا يعقل ان تنزل آية تنفى حدوث واقعة في حكم المستحيل حدوثها أصلا. إن فرضية الآية خاطئة ابتداءا إذ ان الشمس والقمر لا يسبحان " يتحركان " في الفلك حركة حرة من الممكن أن تكون نتيجتها تغير المسافة بينهما وبالتالي " إدراك " احدهما للآخر.

جاء في سورة الرعد(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ {2} وإبراهيم (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ {33} والكهف (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا {86} ولقمان . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {29}

وفاطر . يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ {13} والزمر (خلق السماوات والأرض بالحق يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ {5} والرحمن (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {5} والانعام (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {96} يس (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} يس (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ {40} والبقرة) قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَامِنِ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {258}.

هذه إحدى عشرة آية كاملة تؤكد بما لا يدع مجالاً لأي ذرة من الشك ان القرآن يؤمن ايماناً كاملاً ان الشمس والقمر كانان متحركان .. وهذا ضد علم الفلك في عصر غزو الفضاء الذي يؤكد ان الأرض هي المتحركة وانها تدور حول الشمس .. لكن الشمس لا تشابه الأرض في جرياتها.

على النقيض من هذا يصور القرآن ان الشمس هي التي تطلع (راجع الكهف 90) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهَا مِنْ دُونِهَا سِتْرًا . (طه 130) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا . وايضا (سورة ق 39) .

ان القرآن في جميع الآيات السابقة يؤكد ان الشمس تجرى وتطلع وهذا ما كذبهت كاميرات رواد الفضاء وأبحاث كبار العلماء وهي أشياء ليس فيها غش فالعلم لا ديانة له وهو يبحث عن الحقيقة اينما كانت .

ايضاحات اسلامية تناقض العلم

عن ذكر القرآن (و الشمس تجري لمستقر لها) قال الشيخ السعدي في تفسيره (أخبر الله أن الشمس و القمر و النجوم تجري إلى مستقر لها) وقلت: فلم يذكر الله أن الأرض تدور حول الشمس بل ذكر أن الجبال جعلها الله رواسي للأرض . ولقد قال الشيخ ابن باز رحمه الله في رده على من يقول أن الشمس ثابتة والأرض تدور عليها ان هذا الكلام ينافي الكتاب و السنة وإن كل معتقد بذلك قد كفر .

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين حول دوران الشمس حول الأرض ؟ فقال(الأدلة الشرعية الاسلامية تثبت أن الشمس هي التي تدور على الأرض، وبدورها تحصل تعاقب الليل و النهار على سطح الأرض، وليس لنا أن نتجاوز ظاهر الأدلة إلا بدليل أقوى من ذلك يسوغ لنا تأويلها عن ظاهرها،ومن الأدلة على أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل و النهار اسلامياً مايلي:

1. قال القرآن عن إبراهيم في محاجته لمن حاجه في ربه (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) فكون الشمس يوتى بها من المشرق دليل ظاهر على أنها التي تدور على الأرض.

2- وقال أيضاً عن إبراهيم (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون) فجعل الأقول من الشمس لا عنها ولو كانت الأرض التي تدور لقال (فلما أفل عنها).

3 - قال القرآن (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و إذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فجعل الازورار و القرص من الشمس وهو دليل على أن الحركة منها ولو كانت من الأرض لقال يزاور كهفهم عنها، كما أن اضافة الطلوع و الغروب إلى الشمس يدل على انها هي التي تدور وان كانت دلالتها أقل من دلالة قوله(تزاور) (تقرضهم)

- 4 - وقال القرآن (وهو الذي خلق الليل و النهار و الشمس والقمر كل في فلك يسبحون) قال ابن عباس : يدورون في فلكة كفلكة المغزل. اشتهر ذلك عنه.
- 5 - وقال القرآن (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) فجعل الليل طالباً للنهار، و الطالب مندفع لا حق، ومن المعلوم أن الليل و النهار تابعان للشمس.
- 6 - و (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس و القمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) فقوله (يكور الليل على النهار) أي يديره عليه ككور العمامة دليل على أن الدوران من الليل و النهار على الأرض ولو كانت الأرض التي تدور عليهما لقال (يكور الأرض على الليل والنهار) وفي قوله (كل يجري لأجل مسمى) المبين لما سبقه دليل على أن الشمس و القمر يجريان جرياً حسيماً مكانياً لأن تسخير المتحرك بحركته أظهر من تسخير الثابت الذي لا يتحرك.
- 7 - و قال (و الشمس وضحاها و القمر إذا تلاها) ومعنى (تلاها) أتى بعدها وهو دليل على سيرها ودورانها على الأرض ولو كانت الأرض تدور عليهما لم يكن القمر تالياً للشمس بل كان تالياً لها أحياناً وتالية له أحياناً ، لأن الشمس أرفع منه والاستدلال بهذه الآية يحتاج إلى تأمل .
- 8 - قال (و الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) فإضافة الجريان على الشمس وجعله تقديراً من ذي عزة وعلم يدل على أنه جريان حقيقي بتقدير بالغ، بحيث يترتب عليه اختلاف الليل و النهار و الفصول ، وتقدير القمر منازل يدل على تنقله فيها ولو كانت الأرض التي تدور لكان تقدير المنازل لها من القمر، ونفى إدراك الشمس للقمر وسبق الليل للنهار يدل على حركة اندفاع من الشمس و القمر و الليل والنهار.
- 9 - و قال نبي الإسلام لأبي ذر وقد غربت الشمس : أتدري أين تذهب؟ قال : الله ورسوله اعلم. قال : فإنها تذهب فتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، فيوشك ان تستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جنت فتطلع من مغربها" أو كما قال النبي ، متفق عليه، فقوله (ارجعي من حيث جنت، فتطلع من مغربها) ظاهر جداً في أنها تدور على الأرض و يدورانها يحصل الطلوع و الغروب.
- 10- جاء في صحيح البخارى (كتاب تفسير القرآن 4428) : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَقَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
- 11- وجاء في مسند احمد(كتاب مسند الانصار 20486) :
- حَدَّثَنَا يَزِيدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ يَعْنِي ابْنَ حُسَيْنٍ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَيْهِ بَرْدَعَةٌ أَوْ قَطِيفَةٌ قَالَ فَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَقَالَ لِي يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغِيبُ هَذِهِ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَامِئَةٍ تَنْطَلِقُ حَتَّى تَخْرُجَ لِرَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ سَاجِدَةً تَحْتَ الْعَرْشِ فَإِذَا حَانَ خُرُوجُهَا أَدْنَى اللَّهِ لَهَا فَتَخْرُجُ فَتَطْلُعُ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَهَا مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ حَبَسَهَا فَتَقُولُ يَا رَبَّ إِنَّ مَسِيرِي بَعِيدٌ فَيَقُولُ لَهَا اطْلُعي مِنْ حَيْثُ غَبْتُ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا.
- هذا غيب من فيض الأحاديث كثيرة في إضافة الطلوع و الغروب و الزوال إلى الشمس على اساس ما هو ظاهر في وقوع ذلك منها لا من الأرض عليها .
- ونعود مرة أخرى للقرآن لنرى ان الأمر لم يقف فقط على سورة يس بل اضيفت إليه سورة النمل.

تقول الآيات 87-88 من سورة النمل " ..ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء".

حول هذه الآية انقسم هواة الإعجاز إلى فرقتين فبعضهم يرى أنها تذكر دوران الأرض وتحركها الذي لا نراه فنحسبها جامدة لكنها في الحقيقة تدور والفريق الآخر استنتج بأنها تتكلم عن تحركات صفائح القشرة الأرضية. لكننا سنفحص الإدعائين معا ونرى مدى صحتها.

جاء في " صفوة التفاسير " عن الآية 88 : " أي وترى أيها المخاطب الجبال وقت النفخة الأولى تظنها ثابتة في مكانها وواقفة (وهي تمر مر السحاب) أي وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب".

يقول الأستاذ زغلول النجار عن الآية 88 ما نصه :-

" هذه الآية الكريمة من سورة النمل تشير إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، لأن الجبال هي جزء من الأرض فإذا مرت مر السحاب كان ذلك إشارة ضمنية رقيقة إلى دوران الأرض حول محورها، ومن عادة القرآن الكريم أنه يشير إلى الحقائق الكونية بصياغة ضمنية يفهم منها أهل كل عصر معنا محدداً تحكمه كمية المعارف المتاحة لأهل هذا العصر، وتظل هذه المعاني للآية الواحدة تتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، وهذا من أبلغ آيات الإعجاز العلمي في كتاب الله، وقد رأى بعض المفسرين السابقين في هذه الآية إشارة إلى ما يحدث في الجبال في الآخرة، ولكننا نعلم من القرآن الكريم أن الجبال في الآخرة سوف تنسف نسفاً، وهذه الإشارة القرآنية في الآية 88 من سورة النمل تسبق كل المعارف الإنسانية في الإشارة إلى دوران الأرض".

هنا .. يخطئ الأستاذ زغلول النجار ومن انتهج نهجه خطنا فادحا، فهو يقفز على الألفاظ وعلى سياق الآيات ليصل إلى ما يبتغيه بغض النظر عن الحقيقة، وسأفترض جدلاً (وهو فرض خاطئ على ما سنتبينه لاحقاً) بأن الآيات لا تتحدث عن ذلك المشهد القيامي ولكنها تتحدث عن مشهد من مشاهد الحياة العادية، فهل تمر الجبال مر السحاب؟؟؟

لنعرف ذلك .. دعونا نرى ما هو مرور السحاب؟

إن الأرض بكل ما تحتويه على سطحها اليابس وفي أعماق بحارها ومحيطاتها وفي غلافها الجوي يخضعون جميعاً لذات التأثير الحركي، فالسحاب يخضع للأرض في حركتها حول الشمس أو حول محورها، لذا فإن حركة السحاب الظاهرة لأعيننا ما هي إلا "حركة نسبية" ناشئة عن تأثير الرياح التي تحمل السحاب، أي أن السحاب يتمتع بمركبتين للحركة، الأولى حركة الأرض ذاتها، والثانية حركة نسبية، نسبة إلى الأرض. وهي التي نلاحظها .. لأننا نحن أيضاً نتحرك بذات المركبة التي تتحرك بها الأرض.

فهل يكون التعبير القرآني آنذاك دقيقاً؟

بالعكس .. أرى أنه خطأ علمي فادح فحركة الجبال التي يشبهها الإعجازيون هنا بأنها مماثلة لحركة السحاب لا يمكن أن تكون كذلك. فالجبال لا تتحرك حركة نسبية بالنسبة إلى الأرض. ولو كانت الآية قد قالت، ترى الأرض تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب .. لكان أجدى وأدق، لكن استخدام لفظ الجبال للكناية عن الأرض لا يجوز لأن الجبال جزء من كل والجزء لا يغني عن الكل. كما أن المقارنة بين حركة الأرض (الكل) وحركة السحاب (وهي جزء أيضاً) يمكن قبولها علمياً للدلالة على الفرق بين الحركتين، أما أن أقارن بين جزئين (الجبال والسحاب) فلا بد وأن أرجعهما إلى الكل الذي يحتويهما.

قد يحتج معترض بكلمة "تحسبها" ، وأنها تفيد النسبية، إلا أن الآية تقرر أن حركة الجبال هي عين حركة السحاب " تمر مر السحاب" وهو خطأ علمي فادح. ومعلوم أن الحرف الزائد أو الناقص يؤثر في معاني القرآن، فلا يجوز أن نحول الآية إلى " تمر كمر السحاب". كما أن كلمة تحسبها تشير إلى الجمود، وهو بالنسبة للمخاطب هنا (الإنسان) يتفق مع حالته، أي أن المعنى الذي يفهم هنا إذا افترضنا أن كلمة تحسبها تفيد النسبية هو أن الجبال تتحرك حركة نسبية

نسبة إلى المخاطب، وهو ما يعني شيء آخر غير دوران الأرض ، بل يعني أن الجبال تتحرك على سطح الأرض، ولا أعرف إن كانت جبال الهماليا أو الأورال أو أطلس أو غيرها قد انتقلت من مكانها إلى أماكن أخرى أم لا !
لكن .. هل الآيات الكريمة فعلاً تتحدث عن مشاهد طبيعي أم أنها تتحدث عن مشهد غيبي سيحدث يوم القيامة؟

تفسير د. زغلول النجار واحتجابه يفيد أن هذه الآية لا تعني يوم القيامة .. لكن دعونا نسترجع الآيات من سورة النمل سوياً: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فُزْعٌ مِّنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنَ فِي الْأَرْضِ لَأَمَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَاخِرِينَ {87} وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مِّنَ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ {88} مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ {89} وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {9}

واضح أن الآيات السابقة والتالية للآية موضع البحث تشير بوضوح شديد إلى يوم القيامة ، يوم نفخ الصور ، يوم الفزع ، يوم الكرب على الوجوه في النار .

الاستدلال من القرآن على ثبات الأرض وعدم دورانها.

الدليل الأول : تثبيت الأرض بواسطة الجبال

"ألم نجعل الأرض مهاداً (والجبال أوتاداً" النبأ: 6، 7 .. الوتد هو ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع أوتاد؛ وقوله عز وجل: وفرعون ذي الأوتاد؛ جاء في التفسير: أنه كانت له جبال وأوتاد يُعَلَّبُ له بها. وقيل الجنود لأنهم يثبتون حكمه وملكه .. ووَتَدٌ الْوَتْدُ وَتَدًا وَتَدَةٌ وَوَتَدٌ كِلَاهِمَا: ثَبَتَ (لسان العرب .. بتصرف).

"الجبال أرساها " النازعات: 32 .. أرسى الشيء : أثبته وأرسى الوتد في الأرض : ضربه فيها) (المعجم الوجيز).

إذا فالجبال هي أوتاد تم إرسائها في الأرض .. لماذا؟

"وألقى في الأرض رواسي أن تُمِيدَ بِكُمْ" النحل: 15 ولقمان: 9

"وجعلنا في الأرض رواسي أن تُمِيدَ بِهِمْ " الأنبياء: 31

إذا فالجبال قد أرسيت في الأرض كالأوتاد لمنع الأرض من أن تميد .. فما هو الميّد؟ مادٌ يَمِيدُ مِيدًا وَمِيدَانًا: تَحَرَّكَ، وَزَاعَ، وَزَكَ (القاموس المحيط للفيروز آبادي)
وماد السَّرَابِ: اضْطَرَبَ: وَمَادٌ مِيدًا: تَمَائِلٌ. وَمَادٌ يَمِيدُ إِذَا تَنَتَّى وَتَبَخَّرَ. وَمَادَتِ الْأَعْصَانُ: تَمَائِلَتْ (لسان العرب)

وقد ماد، فهو ماند، من قوم مَيْدَى كرانب وروبي. أبو الهيثم: المائد الذي يركب البحر فَتَعَثَى نَفْسُهُ مِنْ نَثْنِ مَاءِ الْبَحْرِ حَتَّى يُدَارَ بِهِ، وَيَكَادُ يُعْثَى عَلَيْهِ فَيَقَالُ: مَادَ بِهِ الْبَحْرُ يَمِيدُ بِهِ مِيدًا. وقال أبو العباس في قوله: أن تُمِيدَ بِكُمْ، فقال: تَحَرَّكَ بِكُمْ وَتَزَلَّزَلَ. قال الفراء: سمعت العرب تقول: المَيْدَى الَّذِينَ أَصَابَهُمُ الْمَيْدُ مِنَ الدُّوَارِ (لسان العرب) م ي د: ماد الشيء تحرك وبابه باع و مادت الأعصان تمايلت (مختار الصحاح).

إذا فالجبال هي الأوتاد التي تثبت الأرض في مكانها فلا تتحرك ولا تتمايل ولا تدور .. باختصار لتصبح الأرض قراراً " أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي " .. النمل: 61

والقرار هو ما قر في مكانه يقر قراراً، إذا ثبت ثبوتاً جامداً

(معجم ألفاظ القرآن للأصفهاني) .

الدليل الثاني .. نفي أي فعل يدل على الحركة عن الأرض

ورد ذكر الأرض في القرآن الكريم قرابة الـ 450 مرة ولم ينسب إلى الأرض فيهم أي فعل يدل على الحركة، بما فيها السجود، الذي شمل جميع المخلوقات باستثناء الأرض والسماء، بينما

نجد مثلاً أن الشمس ذكرت أقل من ثلاثين مرة ونسبت إليها عديد من أفعال الحركة كالجريان والسباحة والسجود .. إلخ.

"ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء". الحج 18 فالآية توضح أن كل شيء يسجد لله إلا السماوات والأرض، فالذي يسجد هم من فيهم.

الدليل الثالث: الأرض قرارا .. وموضوعه وقائمة.

"جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء" غافر: 64

"والأرض وضعها للأنام" الرحمن: 10

"ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" الروم: 25

فالقرار هو الثبات والتمكن والسكون والأرض موضوعه في مكانها بقدره الله (فلا تستطيع أن تغادر موضعها) وهي قائمة مثل السماء.

الأدلة من السنة ومن السلف.

لم تجمع الأمة على شيء بفرقها الثلاثة وسبعين مثل ما أجمعت على أن الأرض هي مركز الكون وأن كل ما بينها وبين السماء يدور حولها، وأن السماء والأرض لا يتحركان. يقول ابن تيمية:

"السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء وأئمة الإسلام مثل الإمام أبو محمد بن حزم وأبو الفرج الجوزي وذكروا ذلك في كتاب الله وسنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السمعية وإن كان قد أقيم على ذلك أيضاً دلائل حسابية، ولا أعلم من علماء المسلمين المعروفين من أنكر ذلك".

ويقول ابن المناوي

"الكرة الأرضية مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة، ويدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى في جميع نواحي السماء على قدر واحد فيدل ذلك على بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، فاضطرار أن تكون في وسط السماء"

وأيضاً يقدر المسلمون المسافة بين الأرض والسماء بمسيرة خمسمائة عام

لقول القرآن الكريم " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون" السجدة: 50

الموضوع السادس: الظل

جاء بسورة الفرقان 45-46: " ألم تر إلى ربك كيف قدر الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا " وفسرها علماء الإسلام كما يلي :

" أي ألم تنظر إلى بديع صنع الله وقدرته كيف بسط تعالى الظل ومداه وقت النهار حتى يستروح الإنسان بظل الأشياء من حرارة الشمس المتوهجة؟ إذ لولا الظل لأحرقت الشمس الإنسان وكدرت حياته (ولو شاء لجعله ساكنا) أي لو أراد سبحانه وتعالى لجعله دائما ثابتا في مكان لا يزول ولا يتحول عنه ولكنه بقدرته ينقله من مكان إلى مكان ، ومن جهة إلى جهة ، فتارة يكون جهة المشرق وتارة جهة المغرب ، وأخرى من أمام أو خلف (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) أي جعلنا طلوع الشمس دليلا على وجود الظل ، فلولا وقوع ضوئها على الأجرام لما عرف أن للظل وجودا ولما ظهرت آثار هذه النعمة " (صفوة التفاسير).

(ثم قبضناه إينا قبضا يسيرا) أي أزلنا هذا الظل شيئا فشيئا و قليلا قليلا لا دفعة واحدة لنلا تختل المصالح" (صفوة التفاسير).
- وقال قتادة والسدي عن قوله (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) دليلا تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه كله" (تفسير ابن كثير) 0

ملاحظات:

- نعلم أن الله له قدرة كاملة وسلطة تامة ، إذ يعمل ما يشاء و قتما شاء و كيفما شاء ، إلا أن أعماله لا تعارض صفاته ، وبالتالي نستطيع القول بأنه يقدر على أن يجعل الظل ساكنا ، لكننا لا نعترض على هذا بل على قول القرآن (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) هل فعلا الشمس تتبع الظل وتتله؟ هل هي الدليل الذي يقوده؟ هذه كلها عبارة عن أخطاء علمية فظيعة لأن دوران الأرض هو الذي يتحكم في مد الظل وقصره و كل تحولاته، ولكن لما قالوا بأن الدليل معناه " البرهان أيضا على وجود الشمس " إذ لولا الشمس لما عرفنا أن الظل موجودا ، نجيبهم بأن هذا التفسير لا يخلو هو الآخر من أخطاء ، إذ أن الظل موجود أيضا تحت ضوء القمر والمصابيح وتحت أي نور كان بل حتى الليل المظلم هو شكل من أشكال الظل ، إذا فالشمس ليست هي الدليل على وجود الظل بل الظل ذاته دليل على وجود نفسه .

الموضوع السابع : كروية الأرض

يستدل الإعجازيون في الدلالة على أن القرآن قد دل على كروية الأرض بسورة النازعات ، وبالذات على كلمة " دحاها " (يعني الأرض) الواردة بسورة النازعات الآية 30 " والأرض بعد ذلك دحاها " .

قبل أن نبدي ملاحظتنا عن هذه الآية ، قد يكون من المناسب ان نتعرف على ما يقوله المفسرون القدامى والمحدثون عنها وعن ما شابها من آيات :

- ورد في سورة البقرة 22 " الذي جعل لكم الأرض فراشا " قال محمد علي الصابوني في تفسيره لها: " أي جعلها مهادا وقرارا تستقرون عليها وتفرشونها كالبساط المفروش مع كرويتها وإلا ما أمكنكم العيش والإستقرار عليها ، قال البيضاوي: جعلها مهياة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفرش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كروية شكلها مع عظم حجمها لا يأبى الإفتراش عليها " (صفوة التفاسير) .

- وجاء بسورة الشمس الآية 6 " والأرض وما طحاها " يقول أيضا الأستاذ محمد علي الصابوني في تفسيره " أي وأقسم بالأرض وبمن بسطها من كل جانب وجعلها ممتدة ممهدة صالحة لسكنى الإنسان والحيوان " (صفوة التفاسير) .

- ويقول ابن كثير مفسرا أيضا هذه الآية : " طحاها " أي بسطها ، وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة قال الجوهري طحوته مثل دحوته أي بسطته . (ابن كثير)

أما الآية الواردة بسورة النازعات 3 والتي تقول " والأرض بعد ذلك دحاها " فإن محمد علي الصابوني يفسرها بقوله : " أي والأرض بعد خلق السماء بسطها ومهدها لسكن أهلها " (صفوة التفاسير).

- ويفسر سورة الغاشية الآية 20 بقوله : " (وإلى الأرض كيف سطحت) أي وإلى الأرض التي يعيشون عليها كيف بسطت ومهدت حتى صارت شاسعة يستقرون عليها ويزرعون فيها أنواع المزروعات ، قال الألوسي: ولا ينافي هذا القول بأنها كرة أو قريبة من الكرة لمكان عظمها " (صفوة التفاسير) .

ويفسرها ابن كثير بقوله: " أي كيف بسطت ومدت ومهدت " .

- وجاء أيضا بسورة النبا الآية 6: " ألم نجعل الأرض مهادا " فسرها م.ع. الصابوني بقوله: "أي ألم نجعل هذه الأرض التي تسكنونها ممهدة للإستقرار عليها والتقلب في أحوالها؟ جعلناها لكم كالفرش والبساط لتستقروا على ظهرها وتستفيدوا من سهولها الواسعة بأنواع المزروعات" (صفوة التفاسير).

إذا عدنا إلى الآية 30 من سورة النازعات نجد انها فسرت كما يلي :

- تفسير ابن كثير

"وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا"

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن المثقال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " دحأها " ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والأكام فذلك قوله " والأرض بعد ذلك دحأها " وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالثورة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد وأختاره ابن جرير .

- تفسير الجلالان

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا " بسطها وكأنت مخلوقة قبل السماء من غير دحو.

- تفسير الطبري

" وقوله { والأرض بعد ذلك دحأها } اختلف أهل التأويل في معنى قوله { بعد ذلك } فقال بعضهم : دحيت الأرض من بعد خلق السماء . ذكر من قال ذلك : 28122 - حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : { والأرض بعد ذلك دحأها } .

تفسير القرطبي

أي بسطها . وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء . وقد مضى القول فيه في أول " البقرة " عند قوله تعالى : " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، ثم استوى إلى السماء " [البقرة : 29] مستوفى والعرب تقول : دحوت الشيء أدحوه دحواً : إذا بسطته . ويقال لعش النعامة أدحى : لأنه مبسوط على وجه الأرض . وقال أمية بن أبي الصلت : وبث الخلق فيها إذ دحأها فهم فطأها حتى التنادي وأنشد المبرد : دحأها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا وقيل : دحأها سواها

ملاحظات

نستخلص مما سبق أن :

- الآيات القرآنية لم تصرح ولو مرة بأن الأرض كروية الشكل .
- إن النص القرآني يجزم بأن الأرض مبسوطه (سواء أكان هذا يتعارض مع كرويتها أم لا) المهم هو أنه قال أكثر من مرة بأنها مبسوطه .
- أقوال المفسرين وعلماء اللغة جازمت بأن معنى "طحاها " و " دحاها " هو بسطها ، وليس كما يقول البعض بأن الدحية هي البيضة ، ودحاها تعني جعلها مثل البيضة! .
- ومادام القرآن لا يصرح إلا بكون الأرض مبسوطه فإننا نقول بأن هذه الحقيقة يقدر على قولها أي شخص عادي ، فأين هو الإعجاز في ذلك؟؟

- وللاشارة فإن زيد بن عمرو بن نفيل (مات قبل ظهور محمد) قال في أحد أشعاره :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالًا
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا
(من كتاب السيرة النبوية لابن هشام)

فهل تنبأ زيد بن عمرو هو الآخر عن كروية الأرض عندما قال (دحاها)؟؟
 من هنا يتضح أن هذا المصطلح كان شائعاً عند كل العرب آنذاك وما قاله القرآن هو ما كان
 بإمكان أي عربي أن ينطق به .ربما تجدر الإشارة هنا إلى ما ورد في العهد القديم وهو الكتاب
 السماوي الذي يؤمن به اليهود والمسيحيون .
 ورد بسفر إشعياء النبي (حوالي 700 ق.م) " ..ألم تفهموا من أسس الأرض؟ الجالس على كرة
 الأرض وسكانها كالجندب ، الذي ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن " **إشعياء 40: 21-22.**

- إن هذه الآيات لا تحتاج إلى أدنى تعليق عن الإعجاز الذي يظهر بكل جلاء في كلماتها ، فلا
 نرى بأنها ذكرت أن الأرض مبسوطة الشكل الشيء الذي يمكن لأي شخص التصريح به بل
 تعلن بكل جلاء ووضوح أن الأرض كروية " الجالس على كرة الأرض " ! بالرغم من أن هذا
 الأمر لم يكن معروفاً في زمن النبي إشعياء ، لكن الوحي المقدس أعلنه على فم نبيه ليؤمن به
 الناس حينذاك ولندرك نحن صحته اليوم ، وأكثر من هذا نجد في سفر أيوب حقيقة أخرى أثبت
 العلم صحتها وهي مذكورة في الآية 7 من الأصحاح 26 إذ تقول " يمد الشمال على الخلاء ،
 ويعلق الأرض على لا شيء " !! وهو ما معناه : أن الأرض ليست منبسطة فوق شيء معين بل
 معلقة كالكرة على الخلاء على لا شيء .

أتمنى أن يكون القارئ قد لاحظ قوة ووضوح التصريحات الكتابية وتميزها عن نظائرها من
 الآيات القرآنية التي كثيراً ما يؤولها المسلمون بعيداً عن معانيها الأصلية والتي أكثر ما تحويه
 هو مجرد أفكار بدو شبه الجزيرة العربية آنذاك.

الموضوع الثامن: أدنى الأرض

من الآيات الشائعة والتي يفتخر بها الكثير من المسلمين ، ما ورد في بداية سورة الروم حيث
 تقول : " غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين " .
 قال الشيخ محمد علي الصابوني في تفسيره لهذه الآية : " (غلبت الروم في أدنى الأرض) أي
 هُزم جيش الروم في أقرب أرضهم إلى فارس " .
 (صفوة التفاسير).

- وقال ابن كثير : " كانت الواقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات
 وبصرى على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد
 الحجاز، وقال مجاهد : كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس " (ابن كثير).
 - وقال ابن كثير أيضاً : "قال عطاء الخرساني حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى
 (قطمة) بجيش من الروم وبعث كسرى (شهريراز) فالتقيا بين أذرعات وبصرى وهي أدنى
 الشام إليكم " (ابن كثير).

ملاحظات

- كلمة (أدنى) هي اسم تفضيل على وزن "أفعل" وهي مشتقة من فعل "دنا" الذي معناه
 اقترب وقد وردت بالقرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة النجم الأيتين 9 و8 " ..ثم دنا فتدلى فكان
 قاب قوسين أو أدنى " في شرحها قال أحد المفسرين : " أي ثم اقترب جبريل من محمد وزاد
 في القرب منه ، فكان منه على مقدار قوسين أو أقل " (صفوة التفاسير).
 وقال الألويسي " والمراد إفادة شدة القرب فكأنه قيل : فكان قريباً منه " .
 إذن فكلمة أدنى يمكن تعويضها "بأقرب" " أي " غلبت الروم في أقرب الأرض(إلى
 فارس)" فلماذا يحاول آخرون توهيمنا بأنها تفيد غير ذلك؟؟

فمن هم إذن الذين يحرفون الكلم عن مواضعه؟؟ ومن هم الذين يلوون به كتاباتهم وليس ألسنتهم فقط؟

هل "أدنى" هي "أخفض"؟ أبدا! الكلمتان متميزتان تماما ولو أراد القرآن إعلان ما يزعمون لما غابت عنه "أخفض" حتى يستعمل بديلا عنها ويوقع العديدين في الشبهات ، ولذلك أقول إنه محض تحريف للآيات القرآنية ، وما هو بالإعجاز.

وأحيي روح الإخلاص التي تطبع قلوب بعض المفسرين للقرآن والذين أبوا إلا إبقاء الكلمة داخل سياقها وبمعناها الأصلي ولم يحرفوا الكلام ليشتروا به ثمنا قليلا ، بل أثبتوا لنا أن "أدنى" تعني "أقرب" ولا شيء غير ذلك .

- قال الشيخ عبد المجيد الزنداني التقيت مع واحد من أساتذة علوم الجيولوجيا في أمريكا اسمه البروفيسور - بالما - وهو من كبار علماء الجيولوجيا في أمريكا جاء في زيارة وجاء معه نموذج للكرة الأرضية بها تفاصيل الارتفاعات والانخفاضات وأعماق البحار وكم طول الارتفاع وكم عمقه كله مبين في التضاريس بالمتري محسوب... فلما جلس قلت له: عندنا عبارة في القرآن.. آية في القرآن تقول بأن منطقة بيت المقدس حيث دارت المعركة هي أخفض منطقة في العالم.. في أدنى الأرض.. لأن لفظ أدنى لفظ مشتق يأتي بمعنى أقرب أقول: أدنى إلى من الأخ.. أدنى بمعنى أقرب فأدنى تأتي بمعنىين بمعنى الأقرب ومعنى الأخفض. فقلت له: الله قال في (أدنى الأرض) المفسرون السابقون أخذوا المعنى الأول من أدنى: فقالوا أقرب منطقة إلى بلاد العرب منطقة الأغوار في البحر الميت فهي أدنى الأرض بالنسبة لجزيرة العرب، فقالوا: أقرب لكن الآية تشتمل على المعنى الثاني بمعنى الأخفض . وقلت له: هي أخفض وأنا أعلم بأنها أخفض.. لكن أريده هو أن يقول فقال ذلك. لكن لما عرف أنها من القرآن قال: ليست أخفض الأرض. قال: فيه منخفضات موجودة في هولندا، وتحت مستوى البحر ومنخفضات كذا وأخذ يتذكر أخفض المناطق في العالم. قلت له: أنا متأكد مما أقول.. استغرب الرجل وأنا أقول: أنا متأكد مما أقول .. هذه الكرة الأرضية التي فيها الارتفاعات والانخفاضات أدارها بسرعة فلما أدارها على منطقة بيت المقدس والمنطقة حولها وجد سهما طويلا خارجا من المنطقة ومكتوب بخط واضح أخفض منطقة في العالم! فلما رآها قال: صحيح! صحيح! الأمر كما قلت.. إنها أخفض منطقة في الأرض.. هذا القرآن الكريم نزل بعلم الذي أحاط بكل شيء - سبحانه وتعالى. (المصدر " وهذا عصر الإيمان " للشيخ عبد المجيد الزنداني.)

درج المفسرون على تفسير أدنى بمعنى الأقرب. وأيضا القرآن نفسه يستعمل أدنى بمعنى أقرب. ولكن طلع علينا السيد الزنداني بفتوى أن أدنى هي أخفض. بينما لا نجد مشكلة في القرآن لأستعمال "أخفض" ككلمة.

وحيث أن أدنى بحسبه تعني أخفض. فيجب أن تكون المعركة تمت بالقرب من القدس كي تكتمل المعجزة. من غير دليل على أن الآية تشير الى معركة الفرس والرومان سوى إشارة أخفض الأرض. والتي يجب أن تكون القدس.

الملفت للنظر بأن المسلمين لم يهتموا بدراسة تاريخ تلك الحقبة لتحديد تلك المعركة التي أنتصر فيها الفرس على الروم. ولكن صانعوا المعجزات لا يجدون غضاضة في تجاهل التاريخ وعدم البحث عن الحقيقة طالما وافقت هواهم.

حقائق تاريخية وجغرافية:

- 1- أخفض الأرض في الشرق الأوسط هي شواطئ البحر الميت على حدود فلسطين والأردن. هذه الشواطئ هي على عمق 400 متر تحت مستوى البحر.
- 2- هولندا أخفض من شواطئ البحر الميت. وأخفض منطقة على الإطلاق هي "تساللنجر" في المحيط الهادى ويبلغ إنخفاضها 11032 متر تحت سطح البحر.
- 3- مفاجأة: القدس ليست أخفض الأرض! القدس ترتفع 777 متر فوق مستوى البحر.

- 4- المعركة التي حصلت بين الفرس والروم وأنتصر فيها الفرس في القدس حدثت عام 614م أي قبل هجرة محمد الى المدينة بثمانية سنوات (622م).
- 5- الأثر يروي لنا قصة رهان أبو بكر لكفار قريش ومواعداتهم بانتصار الروم في ستة، سبعة، وتسع سنوات. خسر أبو بكر رهانه ولكن الروم أنتصروا في السنة السابعة أو التاسعة من هزيمتهم بحسب الأثر.
- 6- يقول لنا المؤرخون المسلمون بأن نصر الرومان على الفرس كان في موقعة نينوى التي حدثت 627/12/2م وهذا يعني بأن خسارة الروم للمعركة كان عام 618 وليس 614 (627 - 9 = 618) وهو أقرب ما يكون لأحتلال الفرس الأسكندرية في مصر.
- 7- أيضا يروي لنا الأثر بأن محمد تلقى خبر أنتصار الروم وقت صلح الحديبية. وهو عام 627م مما يتطابق مع التاريخ الروماني.
- 8- يقول ابن كثير في تفسيره لسورة الروم: " نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية وحاصره فيها" ولم يحدد لنا موقعة معينة.
- 9- يجمع أغلب مفسري القرآن بأن هذه المعركة حصلت في ما بين أذرعاء وبصرى.
- 10- ان نصر الروم جاء بعد 14 سنة من نزول الآية وهذا يتعارض مع كلمة "بضع" لأنها تعنى من 3-9 سنين !

هل أدنى لغويًا تعني أخفض؟

لا نجد في المعاجم العربية أي إشارة الى أن أدنى تعني أخفض.
مثال: أنظر لسان العرب ستري بأن الكلمة لا تستعمل للخفض.

في القرآن نجد بأن كلمة أدنى تستعمل كأقرب أو أخس أو أرخاء أو دنوي أو أقل.

- البقرة 16 قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَحْسَ
النساء 3 وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا أَقْرَبُ
الماندة 108 ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْههَا أَقْرَبُ
الأحزاب 51 ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ أَقْرَبُ
الأحزاب 59 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ
أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا أَرخاء المحيط ، الوسيط أقرب
النجم 9 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى أَقْرَبُ
المجادلة 7 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ أَقْلُ
المزمل 20 إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ أَقْلُ أَوْ أَقْرَبُ
البقرة 282 وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا أَقْرَبُ
الأعراف 169 فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى الْأَخْسَ
السجدة 21 وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ الدنيوي
الأنسان 14 وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا قَرِيبَةً
الحاقة 23 قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ قَرِيبَةً
الأنعام 99 وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ قَرِيبَةً
النجم 8 ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى اقترَب

والقرآن لا يجد معضلة في استعمال أخفض بمعنى الخفض. من غير أن يتشابه علينا أو يتركنا للشك.

الحجر 88 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
الإسراء 24 وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ
الشعراء 215 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
الواقعة 3 خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ

وفي الآية الأخيرة نجد بأن القرآن يستعمل خافضة بعكس رافعة. ولا نجد يقول دانية رافعة.

الموضوع التاسع : الجبال

فيما يلي أهم الآيات القرآنية التي تتكلم عن الجبال :

* "وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم ، وأنهارا وسبلا لعلمك تهتدون " النحل 15.
"وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم ، وجعلنا فيها فجاجا
سبلا لعلمهم يهتدون " الأنبياء 31.
" وألقى في الأرض رواسي ، أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة " لقمان 10.
" ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ... " النبا 6-7.
" أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف
رُفِعَتْ ، وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ " الغاشية 17-19.

لعل القارئ لاحظ التشابه الواضح بين كل هذه الآيات ، ولهذا السبب أردت تلخيصها في قولين :

1- الجبال بمثابة رواسي للأرض كي لا تميد بالناس : يقول ابن كثير في تفسيره للأنبياء 31 :
" أي جبالا أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لنلا تميد بالناس ؛ أي تضطرب وتتحرك فلا
يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع فإنه باد للهواء والشمس " (ابن
كثير).

وقال محمد علي الصابوني في تفسيره للنحل 15: " أي نصب فيها جبالا ثوابت راسيات لنلا
تضطرب بكم وتميل " (صفوة التفاسير) عود : " إن الأرض كانت بكرة خفيفة قبل أن تُخلق فيها
الجبال ، وكان من حقها أن تتحرك كالأفلاك بأدنى سبب ، فلما خلقت الجبال توجهت بثقلها نحو
المركز فصارت كالأوتاد لها " (ابو السعود).

2- الجبال هي أوتاد نُصِبَتْ : يقول ابن كثير في تفسير النبا 7 : "أي جعلها لها أوتادا أرساها)
يقصد الأرض) بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها " (ابن كثير)
(غاشية 19) قائلا : "أي جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية لنلا تميد بأهلها (ابن كثير). محمد
على الصابوني يفسر النبا 7 كالتالي "وجعلنا الجبال كالأوتاد" (وقال في التسهيل شبيهها
بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد (التسهيل لعلوم التنزيل).

ملاحظات

- يقول زيد بن عمرو بن نفيل في شعر له :
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا

(سيرة ابن هشام تحقيق محمد محيي الدين 249/1)

لقد سبق إدراج هذا البيت في ذكر كروية الأرض ، ومن المعلوم أن هذا الشاعر قد توفي قبل ظهور محمد حتى لا يقول قائل أنه استمد شعره من القرآن ، ولعل القارئ لاحظ التشابه الغريب بين هذين البيتين وبين الآيات القرآنية السابقة ، فالشاعر استعمل فعل (أرسي) كما قال القرآن بالضبط (رواسي) . وهناك أيضا تشابه بين قول الشاعر (فلما رآها استوت على الماء) وبين تفسير ابن كثير للآية القرآنية ال31 من سورة الأنبياء.

فماذا نقول؟ هل في شعر ابن عمرو هو الآخر إعجاز علمي؟؟

إننا نستخلص وبكل بساطة أن المصطلحات التي استعملها القرآن والمعاني التي تضمنها كانت شائعة عند العرب آنذاك ، والقرآن كان موجها بالأخص إلى القرشيين ، فمن الطبيعي أن يستعمل ما يفهمونه من معاني وإلا فإنهم لن يفهموا شيئا !

فأين هو الإعجاز الذي يدعون ؟

- لقد قالوا بأن الإعجاز هو تصريح القرآن بأن الجبال تمنع الأرض من أن تميد ، وعلميا - يقول المسلمون - تساهم الجبال في استقرار القشرة الأرضية ، وتمنع تحركها ، وهذا ما قاله أحد الدكاترة المسلمين أيضا . لكن قولهم مردود وخاطئ علميا بإجماع خبراء الجيولوجيا :

يخبرنا الدكتور ويليام كامبل (نقلا عن أحد أساتذة الجيولوجيا) قائلا: " إن كان حقا أن العديد من السلاسل الجبلية تكونت من ثنايا صخرية - ومن المؤكد أن هذه الثنايا يمكن أن تشمل مساحات عديدة - فليس من الحق أن نقول بأن الثنايا تجعل القشرة الأرضية مستقرة ، إذ أن وجود هذه الثنايا نفسها دليل على عدم استقرار القشرة الأرضية ، بكلمات أخرى - يقول الدكتور كامبل بأن الجبال لا تمنع الأرض من أن تتزلزل، تكوّن الجبال أدى ولا زال يؤدي إلى زلازل أرضية .(القرآن والإنجيل في ضوء التاريخ والعلم- د. وليم كامبل).

تخبرنا النظريات الجيولوجية الحديثة أن القشرة الأرضية متكونة من صفائح مختلفة ، ينزلق البعض بالنسبة للآخر بسرعة تقارب نسبة تصاعد الزاوية ، وفي بعض المرات تنفصل هذه الصفائح ، لذلك يعتقد أغلبية الجيولوجيين بأن هذا ما يفسر انفصال شمال أمريكا عن أوروبا وجنوبها عن إفريقيا ، وعند التقاء هذه الصفائح واصطدام بعضها ببعض تتكون الجبال محدثة في غالب الأحيان الزلازل والاهتزازات ، وبعض ما نراه حاليا من زلازل هو ناتج عن استمرارية تكون الجبال ، وبالنتيجة نخلص إلى القول بأن الجبال في تكونها تحدث اهتزازا للأرض بعكس ما صرح به القرآن من أنها تمنع تحرك الأرض أو تزلزلها .

يقول الجيولوجيون أن معظم الجبال قد نشأت نتيجة لحركة قشرة الأرض. أما موضوع الألواح فهو مجرد طريقة علمية لتسهيل فهم نشاط قشرة الأرض وتعتمد هذه الطريقة على نموذج علمي يسمى Plate Tectonics Model وهو يصف القشرة كما لو أنها تتكون من شرائح Vast Plates تتحرك فيما بينها بمقدار بضعة سنتيمترات سنويا وهذا يؤدي الى تصادم وتباعد مكونات الأرض الرئيسية وما يعقبه من تشكل للجبال.

هذه الحركة تدفع الشرائح الضخمة للتصادم و ينتج عنها ارتفاع في قشرة الارض ثم إلى حدوث ظاهرة علمية تسمى Faulting وهي تصدع الصخور الموجودة في باطن الأرض ويصاحب هذه الظاهرة حدثين آخرين كجزء من عملية التشكل هذه هما Arching & Folding تؤدي جميعا الى تشكل طبقات من الصخور المرصوفة على سطح الأرض .

أما الحركة التي تؤدي الى تباعد الشرائح الضخمة فإنها تؤدي ببعض أجزاء القشرة الأرضية لأن تطفو مما يساعد أجزاء أخرى لأن تصطف فوقها مكونة شكل البرج .

كما أن الانفجارات البركانية هي الأخرى تؤدي الى تكون الجبال علما أن معظم مناطق النشاط البركاني في العالم تتركز على طول الخطوط النشطة للشرائح الأرضية الضخمة .

تتكون الجبال علميا وفقا لثلاثة طرق: القذف من باطن الأرض بطريقة تسمى Uplift الانفجارات البركانية Volcanism عوامل لتعرية Erosion.

أهمية الجبال: تؤثر الجبال على الحياة بطرق عدة فإضافة الى دور الجبال كمصدر للمعادن ونشؤ الغابات والزراعة فإن لها دور كبير على الطقس والمناخ وجوانب اقتصادية وتاريخية وسياسية مهمة خصوصا تلك العالية الارتفاع منها مثل الهملايا وسييرا وغيرها . فتأثيرها على المناخ يتجلى من دورها كموانع ومصدات لحركة الرياح وتنظيم تدفق وتوزيع الهواء والرطوبة التي يحملها من المحيطات على سطح الأرض . عند عودتنا للآيات القرآنية نراه يستعمل كلمة " ألقى " أي بمعنى آخر أن الجبال ألقاها الله في الأرض وهذا يتنافى تماما مع طرق تكونها علميا.

الموضوع العاشر: السبع أراضي

رأينا فيما سبق أن القرآن يذكر سبع سموات ، وهي من الهفوات العظيمة لكن لم يقتصر على هذا بل تعداه إلى ذكر سبع أراضي أيضا ، وبالطبع تجنب العديد من علماء الإسلام ذكر هذا الموضوع ضمن ما يروونه من إعجاز ، لكن بما أن التستر على العيوب هو ضرب من الخداع ، سنقوم الآن بإطلالة موجزة على آراء المسلمين في هذا الموضوع ، وكذا ما صرح به القرآن والحديث أيضا .

جاء في الآية 12 من سورة الطلاق (الله الذي خلق سبع سموات طباقا ومن الأرض مثلهن) عن هذه الآية يقول :

- محمد علي الصابوني : "أي الله العظيم الكبير هو الذي خلق سبع أرضين بعضها فوق بعض ، بدون فتوق بخلاف السموات " (صفوة التفاسير).

- ابن كثير : "أي سبعا أيضا (من الأراضي) كما ثبت في الصحيحين " من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين " وفي صحيح البخاري " خسف به إلى سبع أرضين "... "ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزح وخالف القرآن والحديث بلا مستند" وقال أيضا " عن ابن عباس في قوله (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتكم وكفركم تكذيبكم بها "... قال رجل لابن عباس:(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية . فقال ابن عباس: ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر؟ " قال عمرو قال : في كل أرض مثل إبراهيم ونجوما على الأرض من الخلق " وروي عن ابن عباس أنه قال " (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح وإبراهيم وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى " (ابن كثير).

وفي حديث طويل أورده ابن كثير في تفسيره لقول القرآن (هو الأول والآخر) الحديد4، نقرأ أن محمدا قال " هل تدرون ما الذي تحتكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإنها الأرض ، ثم قال : هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال تحتها أرض أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلا إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر) والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم" (ابن كثير).

ملاحظات

إن هذه الآية وكذا الأحاديث وشروحات المفسرين ، لا تحتاج إلى تعليق ، لأنها تحمل الإبتعاد الكلي عن الحقائق العلمية ولا تمت للحقيقة بأي صلة ، بل إنها ضرب من الأسطورة والخرافة ، كما أنها تبين سذاجة الأفكار القرآنية والفكر المحمدي في الحديث ، إذن فما دام خطأ عظيم كهذا ثبت في القرآن والحديث فهل يطمع الباحث أن يجد إعجازات علمية بهما ، ولعل علماء الإسلام قد فطنوا لهذه المعضلة وهذه الهفوة العظيمة ، فحاولوا تأويلها بقولهم

إنما التشبيه الوارد في قوله (ومن الأرض مثلهن) هو في الخلق والإبداع ، لكن تأويلهم يعد استنتاجا واهيا لأنه يعارض التفسير والأحاديث المذكورة آنفا ، فلماذا إذن يحاول المسلمون الصاق الإعجاز بالقرآن ، وفي نفس الوقت يتسترون على أخطاء جسيمة كهاته؟؟.

الموضوع الحادي عشر: الإرتفاعات ونقص الأوكسجين

عن هذه الظاهرة التي توصل إليها العلم منذ سنين عديدة ، عندما استطاع الإنسان الطيران ، يخبرنا أحد علماء المسلمين - في إطار تعليقه على الآية 125 من سورة الأنعام والتي تقول: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " - يخبرنا قائلا: "...فمنذ ارتياد الطبقات الجوية العليا بفضل الطيران والبالونات ، استطعنا أن ندرك ظاهرة طبيعية تنتج عن نقص الأوكسجين في تلك الطبقات ، إذ يشعر الصاعد في هذا العلو ببعض الصعوبة في التنفس ويحس بالضيق : والآية القرآنية تصرح بأن من يرتفع في السماء يشعر بعوارض الضيق ، ولقد لفتت هذه الظاهرة نظر هواة التسلق حتى قبل ارتياد الطبقات الجوية العليا ، فضلا عن أن الآية لم تعبر عن لفظ الصعود في (الجبال) بل عبرت عن الصعود (في السماء) ، ونضيف أن بلاد العرب ذات سطح منبسط وجبالها قليلة الإرتفاع ، لا يأخذ الساكن فيها فكرة عن تسلق الجبال العالية وما يشعر المتسلق فيها من الضيق ، وهنا نسجل اتفاقا رائعا للآية القرآنية مع الواقع العلمي" (روح الدين الإسلامي ص 55).

- ويقول محمد علي الصابوني في تفسيره لهذه الآية: " (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) أي من شاء الله هدايته قذف في قلبه نورا فينفسح له وينشرح ، وذلك علامة الهداية للإسلام ، قال ابن عباس: معناه يوسع قلبه للتوحيد والإيمان... (فمن يرد أن يضله) أي ومن يرد شقاوته وإضلاله (يجعل صدره ضيقا حرجا) أي يجعل صدره ضيقا شديدا الضيق لا يتسع لشيء من الهدى ، ولا يخلص إليه شيء من الإيمان ، قال عطاء ليس للخير فيه منفذ (كأنما يصعد في السماء) أي كأنما يحاول الصعود إلى السماء ويزاول أمرا غير ممكن ، قال ابن جرير: وهذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأنه ليس في وسعه (الطبرى) " (صفوة التفاسير).

ملاحظات

1- يحاول مؤيدو الإعجاز أن يفهمونا بأن القرآن يذكر صعود الإنسان في السماء وضيق صدره بسبب نقص الأوكسجين ، لكن عند قراءة الآية قراءة صحيحة والإطلاع على التفاسير يظهر لها وجه آخر.

وحتى أوضح هذا التأويل الشنيع الذي يقول به هواة الإعجاز أقول بأن هناك اختلاف كبير بين فعل " يَصْعَدُ " وبين " يَصْعَدُ " (يَصْعَدُ تعني أنه يمارس الصعود ، يَصْعَدُ تعني يحاول الصعود) إذن فالقرآن لا يذكر الصعود وإنما محاولة الصعود ، وهذا التفسير يؤيده ابن جرير و عطاء . وبالتالي يكون الشطر الأول من الإدعاء قد سقط .

فما هو إذن وجه الشبه بين الضيق ومحاولة الصعود؟

الصعود في السماء هو أمر غير ممكن بالنسبة للإنسان (دون وجود الآلة) لذلك لو طلبنا مثلا من شخص أن يصعد في السماء وأن يحاول ذلك لضاق صدره عند المحاولة لأنه يعلم علم اليقين أنه لا يمكنه ذلك وهذا هو وجه الشبه بينه وبين الشخص الذي يُطلب منه دخول الإسلام أو يُطلب منه محاولة ذلك ، لأن صدره هو الآخر يضيق أيضا لعلمه بأن هذا مستحيل عليه

كصعود السماء . وهذا ما قصدته الآية في تمثيلها للإنسان الذي أضله الله (حسب الآية) ، فما علاقة هذا بالأوكسجين والإرتفاعات؟؟

2- نعود مرة أخرى إلى وجه الشبه ، فالضيق الذي يتكلم عنه القرآن هو ضيق نفسي سواء عند الشخص الذي يحاول الصعود إلى السماء بدون آلة ، أو عند الضال في موقفه من الإسلام (كما تقول الآية) .

أما الضيق الناتج عن نقص الأوكسجين فهو ضيق جسدي بسبب صعوبة التنفس ، فأى صلة للأمور الروحية بالأمور المادية؟ وأي علاقة للضيق النفسي بالضيق الجسدي؟؟ إننا وبكل احترام نقول إنها محاولة دنيئة لكل من أراد أن يجمع بين هذا وذاك ، وأن يخلط الحق بالباطل ، أو أن يوهم الصورة لبسطاء الفهم من الناس.

وبالتالي نخلص إلى القول بأن هذه الآية هي الأخرى ، ما حوت قط أي شيء من الإعجاز ولو قيد شعرة ، بل وأكثر من هذا فإنها تحمل معضلة لاهوتية تتمثل في قوله أن الله "يهدي" وفي نفس الوقت "يضل" ، يعني من أراد له الله الخير يهديه ومن أراد له الشر يضلّه ، أى إله هذا الذي يضل الناس. لم أقرأ قط أن اسمه "المُضِلُّ" ، فهو منبع الرحمة والهداية ، وأرسل أنبياءه لهداية الناس ، فكيف ننسب له إضلال الناس؟ وكيف يمكن أن أثق بالله من الممكن أن يُضِلَّنِي؟

وأتذكر هنا قول الكتاب المقدس الذي يؤمن به المسيحيون: " كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران " يعقوب 1:17 وأشير إلى أن الكتاب ينسب الضلال للشيطان حيث يقول الرسول بولس: " في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحا مُضِلَّة وتعاليم شياطين " 1 تيموثاوس 4:1. إذن فالشيطان هو منبع كل ضلال وهو المُضِلُّ أما الله جل جلاله فهو منبع كل الفضائل والنعم ، وحاشا أن يكون هو المُضِلُّ بل هو الهادي ، وإلا فلماذا سيعاقب أناسا أضلهم هو بنفسه؟؟

الموضوع الثاني عشر: الدورة المائية

يدعي العديد من المفسرين المسلمين أن القرآن سبق وتنبأ عن الدورة المائية بكل مراحلها ، وهذه الأخيرة لم يتم اكتشافها والتوصل إلى أسرارها إلا في السنوات الحديثة. لذا سنبحث حقيقة هذا الإدعاء تحت ضوء الآيات القرآنية والعلم الحديث :

- كلنا نعرف أن الدورة المائية تتكون من أربع مراحل أساسية :

1- تتبخر المياه الأرضية وتصعد إلى الأجواء العليا.

2- تتكون السحب (على إثر هذا التبخر).

3- تسقط على شكل أمطار وتلوج.

4- ثم تروي الأرض وما عليها .

فلنر إذن إن كان القرآن قد ذكر هذه المراحل كلها أم لا :

- بالنسبة للمراحل 2 و3 و4 نجد الآيات الآتية:

* " ونزلنا من السماء ماء مباركا(المرحلة3). فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا(المرحلة الرابعة). كذلك الخروج " ق 11-9 .

* " وهو الذي يرسل الرياح نشرنا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا(المرحلة2)سقتاه لبلد ميت فأنزلنا به الماء(المرحلة3)فأخرجنا به من كل الثمرات(المرحلة4)كذلك يخرج الموتى لعلكم تذكرون " الأعراف57.

بالإضافة إلى هذه الآيات توجد آيات أخرى ، لكن للإختصار سنوردها بالأرقام لمن أراد البحث(فاطر9، الروم48، الفرقان48و49، الجاثية5، المؤمنون18و19، الحجر22)وعند النظر في

كل هذه الآيات يتبين أن القرآن يشير بكل وضوح إلى المراحل (3، 2، 4) لكنه لا يتطرق إلى المرحلة الأولى وهي الأصعب لأن بقية المراحل تظهر فقط بالملاحظة لكل شخص عادي، وهذا ليس بالإعجاز.

لكي يحصل على الإعجاز قام أحد المسلمين بالإستدلال من سورة النبأ وسنورد الآيات التي اقتبسها ضمن سياقها ، تقول هذه الآيات : " ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا " النبأ 6-11. أشار الدكتور موريس بوكاي في كتابه "القرآن والكتاب المقدس في ضوء التاريخ والعلم" إلى الآيات 13 و14 والتي وضعنا تحتها خطأ، وقال بأنها تحوي ذكر المرحلة الأولى أي تبخر الماء.

ماذا تقول الآيات 13 و14؟ تقول : " وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا " قال هذا الدكتور بأن ذكر الشمس - سراجا - قبل الماء يدل على أنه أشار إلى تبخر الماء بواسطة الشمس!!

ملاحظات

هذا القول مجرد تأويل واستنتاج لم يصرح به القرآن قط ، بل هو تليف وإضافة للآيات القرآنية ، إذ لا يتقبل عاقل أن مجرد تتابع ذكر الشمس والماء هو دليل على تنبأ القرآن عن تبخر المياه بواسطة الشمس ، ولست أقبل ذلك لأسباب كثيرة منها أن ترتيب الآيات القرآنية الذي عندنا اليوم ليس هو الترتيب الأصلي لها إذ لم ترتب السور والآيات على هذا الشكل الذي عندنا اليوم إلا في عهد عثمان ، ثانيا أن ذلك ليس من مبادئ تفسير القرآن ، مثلا تقول سورة الشمس: "...والأرض وما طحاها ونفس وما سواها " الشمس 6-7، فهل تتابع ذكر الأرض والنفس في هذه الآية دليل على أن مصدر النفس هو الأرض؟؟

ولكي نعطي السبب المعقول لهذا التتابع نقول إن الآيات كانت بصدد ذكر نعم الله على العباد ، فأشارت إلى " الأرض والجبال، والأزواج والنوم، الليل والنهار، السماء والشمس، الماء والنبات " ونلاحظ هنا ذكر عشر نعم من نعم الله ، فإذا اقتضى الحال أن تكون هناك ثنائيات فسنتكون على الشكل الآتي:(الأرض والجبال)+(الأزواج والنوم)+(الليل والنهار)+(السماء والشمس)+(الماء والنبات).

وبهذا التقسيم المعقول ، تظهر العلاقة واضحة بين الشمس والسماء وبين الماء والنبات وليس كما يدعون بأنها بين الشمس والماء.

إذن فالقرآن قد أثبت عجزه تماما أمام المرحلة الأولى من مراحل الدورة المائية وتطرق فقط للمراحل التي تبدو بمجرد الملاحظة والتي عرفها جميع الناس.

على النقيض من هذا نجد ان كتاب اليهود المقدس (العهد القديم) يتناول هذه المرحلة الصعبة (مرحلة 1).

- نقرأ في كتاب النبي عاموس (حوالي 700 سنة ق.م) : " الذي صنع الثريا والجبار ويحول ظل الموت صباحا ويظلم النهار كالليل ، الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض(هنا ذكرت المرحلة 1) يهوه اسمه " عاموس 5:8.

هنا نلاحظ المرحلة الأولى من الدورة المائية واضحة وجلية ، فالله يدعو المياه من البحار (بالتبخر) ثم يصبها على وجه الأرض ، ولا يمكن صب الماء على الأرض إلا من السماء ! وأيضا توجد إشارة واضحة إلى هذه المرحلة في كتاب النبي إشعياء(حوالي 700 ق.م) " ..لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء(هنا المرحلة 3) ولا يرجعان إلى هناك (بدون فائدة) (هنا تُذكر المرحلة الأولى) بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبث وتعطي زرعاً للزراع وخبزاً

للأكل(المرحلة4) هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلي فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح بما أرسلتها به " إشعياء 11:9-55 .
ونفس المرحلة يشار إليها في كتاب النبي أيوب (حوالي 400ق م) " هوذا الله عظيم ولا نعرفه وعدد سنه لا يُفحص ، لأنه يجذب قطار الماء (المرحلة1)، تسح مطرا من ضبابها الذي تهطله السحب (المرحلة2) وتقطره على أناس كثيرين(المرحلة3)" أيوب 26:36-28.
من أين يجذب الله قطار الماء؟ إنه يجذبها من الأرض بتبخرها!!
أما في إرميا 16:51، فنجدته تعالى يقول: " يُصعد السحاب من أقاصي الأرض ".
وفي سفر الجامعة يقول رب العزة: " كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملاّن ، إلى المكان الذي جرت منه الأنهار إلى هناك تذهب راجعة " الجامعة 1:7. هنا نرى تلخيصا رائعا للدورة المائية.
وفي سفر التكوين نجد أروع الآيات التي تصف الدورة المائية حيث تقول :
" ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض " تكوين 2:6 .
إذن فالكتاب يذكر بوضوح جلي أن المياه تدور وتعود من حيث أتت وتطرق للمرحلة الأولى من الدورة المائية بكل جلاء ، الشيء الذي أثبتنا للقرآن عجزا واضحا في التطرق أو الإشارة إليه .
عاموس وإشعياء وأيوب وسليمان (كاتب سفر الجامعة) كلهم أناس عاشوا قبل الميلاد بمئات السنين ولم يدرسوا العلم قط .

الموضوع الثالث عشر: السحب الركامية

السحب الركامية هي السحب المتراكمة بعضها فوق بعض بشكل عمودي ، وهي التي تُمطرنا في غالب الأحيان ، ويبدأ تكوينها من وحدات من السحب تسوقها التيارات الهوائية الصاعدة ، والتي تحمل شحنة كهربائية موجبة تتحد بنظيرتها السالبة في الفضاء فتكوّن مجالا كهربائيا يساهم في تحويل البخار الصاعد إلى قطرات مائية ، وبازدياد هذه الأخيرة تتساقط الأمطار.
يشير العديد من المسلمين في مؤلفاتهم إلى أن الآية 43 من سورة النور تتناول هذا الموضوع .

تقول هذه الآية: " ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار " . هذه الآية في نظر السيد عبد الفتاح طبارة تحوي إعجازا من نواحي كثيرة ولذلك يقول " ...ومن مظاهر السحب الركامية أنها تنمو في الإتجاه الرأسي ، وقد تصل إلى علو كبير جدا وتظهر لمن ينظر إليها من بُعد كالجبال الشامخة ولا يعرف التشابه بين السحب والجبال إلا من يركب طائرة تعلق به فوق السحاب فيراها من فوقه كأنها الجبال وهذا ما وصفه القرآن للسحب الركامية بقوله: " وينزل من السماء من جبال فيها من برد " وإذا علمنا أن الطائرة لم تكن في عصر نزول القرآن - يقول عفيف طبارة - فإن وصف السحب الركامية بالجبال إعجاز علمي للقرآن "

(روح الدين الإسلامي ص 54).

ويستمر هذا المؤلف قائلا: "... هذا وإن القرآن الكريم ذكر أن السحب الركامية تجود بالبرد (فيها من برد) وهذه حقيقة علمية أخرى يعلنها القرآن " (روح الدين الإسلامي) . ثم أضاف قائلا: " وهناك حقيقة علمية أخرى ذكرتها الآية وهي أن السحب الركامية هي وحدها التي يمكن أن يتولد منها البرق كما البرد والمطر بمجرد تكونه ، إذ ربما يحول تيار الهواء الصاعد دون نزوله في مكان معين حتى إذا ما ضعف هذا التيار ، هوى المطر أو البرد على هيئة زخات وهذا معنى قوله (فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء)" (روح الدين الإسلامي).

- أما ما يقوله المفسرون المسلمون الآخرون عن هذه الآيات فهو كالتالي:
 *قال محمد علي الصابوني: " (ألم تر أن الله يُزجي سحابا) أي يسوق بقدرته السحاب إلى حيث يشاء(ثم يُولف بينه) أي يجمعه بعد تفرقه (ثم يجعله ركاما) أي يجعله كثيفا متراكما بعضه فوق بعض(فترى الودق يخرج من خلاله)أي فترى المطر يخرج من بين السحاب الكثيف(وينزل من السماء من جبال فيها من برد)أي وينزل من السحاب الذي هو كأمثال الجبال بردا (فيصيب به من يشاء)أي فيصيب بذلك البرد من شاء من العباد فيضره في زرعه وثمرته وماشيته(ويصرفه عن من يشاء) أي ويدفعه عن من يشاء فلا يضره .
 * قال الصاوي: كما ينزل المطر من السماء وهو نفع للعباد كذلك ينزل منها البردُ وهو ضرر للعباد (يكاد سنا برقه) أي يقرب ضوء برق السحاب(يذهب بالأبصار)أي يخطف أبصار الناظرين من شدة إضاءته وقوة لمعانه" (صفوة التفاسير- في تفسير سورة النور).
 * ابن كثير: " يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الإزجاع(مصدر يُزجي) (ثم يُولف بينه) أي يجمعه بعد تفرقه(ثم يجعله ركاما) أي متراكما ؛ أي يركب بعضه بعضا (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من خلله ، وكذا قرأها ابن عباس والضحاك، وقوله (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) ذهب بعض المفسرين إلى أن معناه ، أن في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد ، والبعض الآخر جعل الجبال كناية عن السحاب " (تفسير ابن كثير).

ملاحظات

1- قال زيد بن عمرو بن نفيل في أحد أشعاره:
 وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمَزْنُ تَحْمَلُ عَذْبًا زَلَالًا
 إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بَلْدَةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالًا
 { المزن: السحاب. سجال: ج سجل وهو الدلو من الماء واستعاره للدلالة على المطر الكثير } .
 - لقد استعمل الشاعر في هذه الأبيات كلمة "المزن" وهو السحاب المُمَطَّر أي بلغة العصر " السحب الركامية " وعبر عن تجمعها بواسطة الريح بكلمة " سَيِّقَتْ " وبالتالي بعد تجمعها تُعطي المطر الغزير .

فهل كان هذا الشاعر نبيا ياترى؟ وهل ما قاله إعجاز؟
 بالطبع لا ، لكننا نستنتج أن ما استعمله سوا الشاعر أو القرآن ما هي إلا تعابير مألوفة عند القرشيين .

2- إن ما تصفه الآية القرآنية هو شيء سهل وبسيط يمكن استخلاصه بمجرد الملاحظة ولكي نكون محقين في قولنا سنستعرض كل مرحلة على حدة حتى يدرك القارئ سبب استنتاجاتنا :
 أ - السحب تتراكم وتتجمع: أي شخص عادي يمكنه رؤية هذه العملية وبسهولة بالغة ، فمن منا لا يرى السحاب وهو يتجمع في الأعلى شيئا فشيئا إلى أن تبدأ الأمطار في التهاطل؟؟
 ب - وصف السحاب بالجبال: عندما نود وصف عظمة شيء معين لا بد وأن نستعمل أشياء عظيمة قريبة منا في تلك اللحظة ويفهمها الشخص الذي نخاطبه ، ولعل الآية في وصفها لعظمة السحب استعملت "الجبال" لأنها موجودة في شبه الجزيرة العربية و يستطيع القرشي بسهولة فهم هذا التشبيه ، إضافة إلى هذا نجد بعض المفسرين يفسرون الآية كما رأينا ، بأن هناك جبال في السماء يأتي منها البرد وهذا بالطبع لا مجال له من الصحة ، أما التعليق الذي أفادنا بأن السحب لا يمكن رؤيتها متراكمة كالجبال إلا بالطائرة وهذه الأخيرة لم تكن متوفرة لمحمد حتى يقول ما قال فإننا نرده بقولنا إن السحب يمكن رؤية عظمتها وتراكمها الأفقي فتظهر كالجبال وكم من مرة تأملت السحب وبدت لي تُشبه أشكالا كثيرة من بينها الجبال ولعل الأشخاص الذين سبق وتأملوا سحب السماء سيوافقوني الرأي ، وبالرغم من ذلك فإن القرآن لم يحدد وجه الشبه (هل هو التراكم الأفقي أم العمودي) لذا فلن نقبل هذا التأويل كدليل على إعجاز القرآن.

ج - البرق لا يتولد إلا من السحب الركامية: هذه الحقيقة هي الأخرى تظهر بمجرد الملاحظة ، فعندما كنت صغيرا ودون أن يعلمني أحد ، كنت أدرك أن البرق لا يكون إلا عندما تكون الغيوم الممطرة (السحب السوداء) وهذه الأخيرة هي السحب الركامية نفسها ، وإلى الآن يوجد فلاحون أميون لكنهم يعرفون حقائق عديدة عن الأمطار والسحب أعظم من هذه الحقائق التي تطرقنا إليها ولو وُصفَ ما يعرفونه ، بمصطلحات علمية لصار هو الآخر من الإعجاز. فكم بالأحرى أناس عاشوا في شبه الجزيرة العربية تدربوا على معرفة أسرار الطبيعة وأحوال الطقس ينتظرون الأمطار بلهفة في مواسمها ولا شغل لهم إلا الرعي والتجارة ، ولو تصفحت أشعارهم لوجدت معظمها عن الطبيعة بكل ظواهرها ، فلماذا نستغرب ذكر القرآن لجزء من ذلك ونعتبره إعجازا علميا؟

ومع ذلك نقول بأن الآية لم تقل إن البرق أنتجته السحب ، بل فقط نجده مذكورا في سياق الكلام عن المطر والسحب ، وهذا أمر طبيعي يقوله أي شخص أراد التحدث عن جو ممطر، ولا يمكن القول بأن مجرد ذكر البرق بعد ذكر السحب ، دليل على معرفة القرآن بكون السحاب هو المنتج للبرق ، فمثلا نجد في آية أخرى : " يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال " الرعد 13 ، فهل نقول هنا أيضا بأن السحب ينتجها البرق لمجرد أنها ذكرت بعده ؟؟

إن هذا أيضا تأويل واهٍ واجتهاد على النص القرآني لا نقبله لعدم كفاية الأدلة التي تؤيده. أما ما سنختم به هذا الموضوع فهو سؤال عن أمر غريب وستليه الإجابة أيضا : - إذا كان القرآن قد ذكر البرق ، وتوصل إلى أنه يتولد عن السحب الركامية نتيجة إفراغ الشحن الكهربائية وحوى كل هذه المعرفة العلمية كما يقولون ، فلماذا أخفق وأخطأ خطأ عظيما عندما ذكر الرعد؟ سيقول قائل كيف ذلك؟ وأين؟ لذلك نجيب بما يلي:

- ورد بسورة الرعد الآية 13: " يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفته " قال المفسرون : " أي يسبح الرعد له تسبيحا مقترنا بحمده والثناء عليه وتسبح له الملائكة خوفا من عذابه وتسبيح الرعد له حقيقة دل عليها القرآن فنؤمن بها وإن لم نفهم الأصوات " (صفوة التفسير في تفسير سورة الرعد)..

وفي الحديث عن ابن عباس أنه قال: " أقبلت يهود إلى النبي فقالوا : يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟؟ قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريف من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله ، قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر . قالوا صدقت " رواه الترمذي بسند حسن (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول)..

[مخاريف: جمع مخراف وهو ثوب يُلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد به هنا آلة يزرع بها الملك السحاب ، والصوت الذي يسمع من الرعد هو حركة سوقه] (غاية المأمول في شرح التاج الجامع للأصول - في تفسير سورة الرعد).

- لا أظن أن هذا هو الآخر إعجازا علميا ، فالرعد كما تعلمنا وكما يعرفه جميع العلماء ، هو نتيجة التفريغ الكهربائي بين الشحن ، فعندما يزداد البرد داخل السحب تنفصل شحن كهربائية كبيرة فتولد بذلك ضغوطا كهربائية ويزدادها تحرق الهواء الذي هو بمثابة عازل فيتم التفريغ الكهربائي وعند ذلك نرى البرق ثم نسمع الرعد يتبعه في غالب الأحيان ، فلماذا لم يفتن القرآن ولا الحديث لهذه الظاهرة إن كان فعلا قد سبق ركب العلم كما يدعون؟ هل صار التفريغ الكهربائي ملاكا له سوط يسوق به السحاب ويزجره به ؟ لماذا لم يجد محمد التفسير العلمي لهذه الظاهرة ؟ وهل الرعد هو الذي يسوق السحاب أم الريح ؟ فليخبرنا المدعون بالإعجاز أين ذهب إعجاز القرآن في وصفه للرعد ؟؟

الموضوع الرابع عشر: اهتزاز الأرض عند سقوط المطر

تقول الآية 5 من سورة الحج: " وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " علق أحدهم على هذه الآية مدعيا أنها تحمل هي الأخرى نصيبها من الإعجاز العلمي فقال.. " يصرح القرآن بأن الأرض تهتز ويزيد حجمها إذا نزل المطر عليها وهذه حقيقة علمية يؤيد بها العلم القرآن ، فقد دلت البحوث في الأرض أن لها مساماً يتخللها الهواء ، وأن نزول الماء على الأرض يدفع الهواء ويحل محله ، وعند امتلاء مسام الأرض بالماء تتحرك جزئيات الطين ، بقوة دفع الماء في المسام ، وعلوم الكيمياء أثبتت أن الطين يتمدد بالماء وينكمش بالجفاف ، فالأرض عندما ينزل عليها الماء تتحرك وتزداد في الحجم ، وقد أمكن قياس حركة الأرض إذا ما أصابها الماء كما أمكن معرفة الزيادة في حجمها " (روح الدين الإسلامي ص 57).

أقوال المفسرين :

- قال الشيخ محمد علي الصابوني : " أي وترى أيها المخاطب أو أيها المجادل الأرض يابسة ميتة لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أي فإذا أنزلنا عليها المطر تحركت بالنبات وانتفخت وزادت وحييت بعد موتها " (صفوة التفاسير في تفسير سورة الحج).
- قال ابن كثير : " (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) أي فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحييت بعد موتها وربت أي ارتفعت لما سكن فيها الثرى ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون من ثمار وزرع وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي حسن المنظر طيب الريح " (ابن كثير في تفسير سورة الحج).
- وللإضافة نقول بأن الآية 39 من سورة فصلت لها نفس المعنى أيضا إذ تقول " ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت " .

ملاحظات

- سألت انتباه القارئ إلى أمر غريب وهو أن زيد بن عمرو بن نفيل (سيرة ابن هشام في ذكره لزيد بن عمرو) الذي مات قبل أن يوجد القرآن قد قال في أحد أشعاره :

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى
أدين إليها غيرك الله
وقال أيضا :

وأنت الذي من فضل منّ ورحمة
بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهارون فادعوا
إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا آخر له :

من يُنبت الحَب في الثرى
فيصبح منه البقل يهتز رابيا

لاحظ معي أنه قال في آخر بيت "يهتز رابيا " وهذا يساوي قول القرآن " اهتزت وربت " فهل شعر زيد إعجاز أيضا؟

بالتأكيد ان هذه التعابير اعتيادية لدى العرب حينذاك وإلا فقصيدة زيد هي الأخرى وحي الهي !
- وأقوال المفسرين دلت على أن المقصود بالكلمتين (اهتزت وربت) هو تحرك القشرة الأرضية بخروج النباتات وازديادها ارتفاعا بنمو هذه البقول .

- وكذا سياق الآية يقتضي أن يكون المعنى هو ما ذكره المفسرون لأنه قال:(اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) أي أن الإهتزاز والزيادة المقصودين هو خروج النباتات وبعد ذلك ظهورها ونموها وهذا ما عناه الشاعر في أبياته أيضا.

- إضافة إلى كل هذا نجد الآيات موجهة أول الأمر إلى عرب قريش ويتخذ محمد هذه الظاهرة (أي اهتزاز الأرض) دليلاً على عظمة الله ، حيث يقول (ومن آياته) أي ومن معجزاته وعجائبه تعالى ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يفهم عربي قريشي أنذاك اهتزاز الأرض ويقتنع به كدليل على عظمة الله؟ من ثم نرى أنه من اللازم أن يكون هذا الاهتزاز شيئاً مفهوماً عند العرب آنذاك حتى يقتنعوا به كبرهان على قدرة الله ، وفعلاً فالعرب كانوا يفهمون كيف أن القشرة تهتز وتتشقق شيئاً فشيئاً لتخرج منها النباتات وتهتز وتربو على سطحها .
وبالنتيجة نقول أن الآية لا تحمل داخلها إلا أقوالاً بسيطة خالية من الحقائق العلمية الحديثة ، ولا يحق لأي أحد كان أن ينادي بالإعجاز المنسوب زوراً لها .

الموضوع الخامس عشر: عدم امتزاج المياه

تقول الآيات 19-21 من سورة الرحمن " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان "

- في تفسير هذه الآية يقول محمد علي الصابوني " أي أرسل البحر الملح والبحر (الحلو) العذب يتجاوران يلتقيان ولا يمتزجان (بينهما برزخ لا يبغيان) أي بينهما حاجز من قدرة الله تعالى لا يطغى أحدهما على الآخر بالتمازج " (صفوة التفاسير)

- ويقول ابن كثير " ... (مرج البحرين يلتقيان) قال ابن عباس : أي أرسلهما ، وقوله (يلتقيان) قال ابن زيد منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين الملح والحلو ، فالحلو هذه النهار السارحة بين الناس " ثم أضاف قائلاً : " وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض وهو مروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية ابن أبزى " (تفسير ابن كثير).

- وجاء في سورة الفرقان الآية 53: " وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً "

- يفسر أحدهم هذه الآية بقوله : " أي هو تعالى بقدرته خلى وأرسل البحرين متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان (هذا عذب فرات) أي شديد العذوبة قاطع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) أي بليغ الملوحة شديد المرارة (وجعل بينهما برزخاً) أي جعل بينهما حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على الآخر (وحجراً محجوراً) أي ومنعاً من وصول أثر أحدهما إلى الآخر وامتزاجه به " (صفوة التفاسير).

- أما ابن كثير فيقول بخصوص هذه الآية " أي خلق الله الماعين الحلو والمالح ، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار وهذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال ، قاله ابن جرير واختاره ابن جرير ، وهذا المعنى لا شك فيه فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات ... فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس ، فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم وقوله (ملح أجاج) أي مالح مرزعاق لا يستساغ وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب : البحر المحيط وبحر القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة ... " (تفسير ابن كثير)

ثم أضاف قائلاً : " (وجعل بينهما برزخاً وحجراً) أي بين العذب والمالح (برزخاً) أي حاجزاً وهو اليبس من الأرض (وحجراً محجوراً) أي مانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر " (تفسير ابن كثير).

- وقال أحدهم : " فحصدت الظاهرة في مختبر بواسطة أنابيب على شكل U " وقال ملخصاً في النهاية : " إن محمداً لم يكن له مختبر ولا معدات للبحوث لكي يكتشف هذه الأسرار ويرى هذا الحاجز المذكور بوضوح في القرآن وهذا ما يبين مرة أخرى أن هذا الكتاب (القرآن) لم

يُكتب بواسطة إنسان ما ولكنه كلمة الله الواحد " (القرآن والكتاب المقدس في ضوء التاريخ والعلم- د.موريس بوكاي).

ملاحظات

- 1- الآيات واضحة جدا في ذكر نوعين من المياه واحد مالح والآخر حلو وأنها لا يمتزجان لكن الشيء الغامض هو أي مياه؟ أمياه الأمطار أم الآبار أم الأنهار أم البحار؟ ولعل هذا ما جعل المفسرين يتخبطون تخبطا عشوائيا .
- 2- فإن كان المقصود " بالبحرين " بحرين من البحار المعروفة عندنا، فإنه خطأ وهفوة عظيمة لأنه لا يوجد بحر حلو " عذب فرات" وهذا تفسير مستبعد .
- 3- يتضح من أقوال المفسرين ثلاث آراء في هذه الآية :
 - أ - البحرين هما : البحار الحقيقية والمياه الأرضية ، فالبحار هي ماقصده القرآن في قوله (ملح أجاج) والمياه الأرضية كالأبار والعيون هي التي قال عنها (عذب فرات) والبرزخ هو اليابسة التي تفصل بينهما .
 - ب - البحرين هما بحر السماء أي المياه النازلة من السماء على شكل أمطار وتلوج وبحر الأرض أي البحار المعروفة ، وهذا ما اختاره ابن جرير.
 - ج - البحرين هما مياه الأنهار التي تصب في البحار وهي العذب الفرات ، والبحار المفتوحة هي الملح الأجاج .

إن اكتفينا بالقولين الأولين "أ" و"ب" نكون قد انتهينا إلى القول بأنه ليس في الآيات ثمة شيء يدعو إلى التعجب أو يستحق أن نطلق عليه اسم إعجاز ، لكننا سنكون قد غصبنا الرأي الأخير حقه ، لذا سنفحصه ونعطيه نصيبه من البحث أيضا ، فنقول بمشيئة الله :
لو كان المقصود هو مياه الأنهار التي تصب في البحار وتبقى محافظة على عذوبتها لمسافة معينة وسط مياه البحار المالحة ، فلماذا استعمل القرآن الكلمات التالية " لا يبيغان " " حجرا محجورا " ؟ ألا تعني أن المياه لا يمكن أن تلتقي أو تمتزج البتة؟ فالمفهوم من هذه الآيات هو أن هذه المياه التي يتكلم عنها لا تمتزج ولن تمتزج بأي حال من الأحوال . (فالبرزخ معناه الفاصل والحاجز والحجر هو المانع والفاصل أيضا) لكن من المعلوم أن المياه الحلوة أي مياه الأنهار عندما تصب في البحار لا تمتزج بها لأول وهلة بل تسير مسافة معينة على هذه الحال دون اختلاط وفي النهاية تنتهي بالإمتزاج وهكذا دواليك يصير مصير كل قطرة الإختلاط بعد قطع هذه المسافة . ففي الوقت الذي يصب فيه ماء النهر في البحر ، تكون مياه النهر تجري بسرعة معينة ، وهذه السرعة تساعد على اختراق المياه المالحة (مياه البحر) وهكذا يظل الماء الحلو (ماء النهر) محافظا على عذوبته وامتيزا عن ماء البحر ولو أنه داخل البحر ولكن بعد مدة جد قصيرة تختلط هاته المياه بمياه البحر وتصير ماء واحدا . إذن فالحاجز الوحيد هو حاجز زمني ، لأنه يلزم وقت معين لمزج كميات معينة من الماء ، وهذا مخالف للحاجز الذي يذكره القرآن (حاجز مادي).

وحتى لو سلمنا بأن مايعلنه القرآن هو بالضبط هذه الظاهرة الطبيعية (مصب الأنهار في البحار) فإنه ليس بالإعجاز وذلك لأن أي شخص خبير في الصيد وفي غوص البحار ، يمكنه معرفة ذلك بمجرد الملاحظة وليس من المستبعد أن يكون محمدا قد التقى بأحد الصيادين أو البحارة خصوصا في رحلتيه التجاريتين إلى الشام ، أو ان البحارة والناس العارفين بأسرار البحر زاروا مكة (لأن الحجاج كانوا يقدون إليها من أقطار عديدة حتى في أيام الجاهلية) فكان الحديث عن الأنهار والبحار قد ساقهم إلى إخبار القريشيين ومن بينهم محمد عن هذه الظاهرة . كل شيء ممكن الحدوث مادام أهل ذلك العصر وخصوصا البحارة يعرفون ذلك جيدا ، وما يؤيد هذا الرأي هو أن القرآن وُجّه أول الأمر إلى القريشيين خصوصا وأن سورة الرحمان مكية ويرتكز فيها الحديث على الظواهر الطبيعية (كالشمس والقمر والنجوم ...) كدليل على قدرة الله

وعظمته ، فماذا يفهم أعرابي من قوله : " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " لو لم يكن يعرف هذه الظاهرة حق المعرفة؟؟ وإلا فسئنت محمد بالجنون إن هو نطق بما لا يعلمونه متخذاً إياه كدليل على قوة الله !!

ومما يؤكد قولنا إلى حد أبعد هو ما صرح به وحيد الدين خان في كتابه "الإسلام يتحدى" حيث قال : " إن الظاهرة الطبيعية التي يذكرها القرآن في هذه الآيات معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور وهي أنه إذا ما التقى نهران في ممر مائي واحد فماء أحدهما لا يدخل (أي لا يذوب) في الآخر" (الإسلام يتحدى ص 142)

وأضاف أيضا بعد ذلك قائلا : " إن هذه الظاهرة كما قلت كانت معروفة لدى الإنسان القديم...ولكننا لم نكشف قانونها إلا منذ بضع عشرات من السنين " (نفس المرجع السابق). يقول د.وليم كامبل في كتابه "القرآن والكتاب المقدس في ضوء التاريخ والعلم - ردا على د.موريس بوكاي :

" يقتبس د. بوكاي سورة الرحمان 55 : 19 - 22 (وهي من العهد المكي الأول). (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان... يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان). فهو يذكر البرزخ أو الحاجز الذي يفصل بين نوعين من المياه. وقد جاء المعنى نفسه في سورة الفرقان 25 : 53 (وهي أيضا من العهد المكي المبكر) : (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا). ونحن نتساءل : أليست هذه الحقيقة ظاهرة طبيعية معروفة لدى كل صياد بسيط يصيد في نهر عذب يصب مائه في بحر مالح؟ ... لقد قام محمد برحلات تجارية في خدمة خديجة، وسافر حتى حلب شمالي دمشق، ولعله في رحلة من هذه ذهب إلى ساحل سوريا أو لبنان،

وسمع من بحار عن عدم امتزاج المائين المالح والعذب. وهل إذا صدق الإعجاز في النصف الأول من الآية يصدق أيضا في النصف الثاني منها ، والذي يقول إن اللؤلؤ و المرجان يخرجان منهما (أي العذب والمالح) وهو ما يخالف الحقائق العلمية؟ "

الموضوع السادس عشر: التيارات البحرية

ينادي بعض العلماء بموضوع آخر يعتقدون أن القرآن أعلنه كحقيقة علمية حول التيارات البحرية الداخلية قبل توصل العلم إليها بمئات السنين ، وبما أن محمدا لم ينشأ في بيئة علوم فضلا عن ذلك لم تكن الفكرة معروفة حينذاك إذن فالقرآن ليس من إنتاج بشري بل هو وحي إلهي (على حد تعبيرهم وأستدلّاهم).

لكن لننظر إلى هذه الآيات بمنظور الحق المجرد من الغايات ، ولنفحص ادعاءاتهم على ضوء العلم والقرآن نفسه والتفسير وأقوال المعترضين أيضا حتى نكتشف الحقيقة بأنفسنا.

- تقول الآيات التي يدعون وجود عنصر الإعجاز فيها " والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلّمت بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ". النور 40

- قال أحدهم معلقا على هذه الآيات وخصوصا الآية الأخيرة: "...ففي هذه الآية إشارة إلى الأمواج الداخلية والسطحية ، فأضخم أمواج المحيط وأشدّها رعبا هي أمواج غير منظورة تتحرك في خطوط سيرها الغامضة بعيدا في أعماق البحر...وقد كان من المعروف منذ سنين كثيرة أن سفن البعثات إلى القطب الشمالي كانت تشق طريقها بكل صعوبة فيما كان يسمى بالماء الميت ، والذي عُرف الآن أنه أمواج داخلية . وفي اوائل عام 1900 لفت الأنظار كثير

من سيحي البحار الإسكندنافية إلى وجود أمواج تحت سطح الماء ، والآن بالرغم من أن الغموض لا يزال يكتنف أسباب تكوين هذه الأمواج العظيمة التي ترتفع وتهبط بعيدا أسفل السطح فإن حدوثها على نطاق واسع في المحيط قد أصبح أمرا معروفا جدا فهي تقذف بالغواصات في المياه العميقة كما تعمل شقيقاتها السطحية على قذف السفن ويظهر أن هذه الأمواج تنكسر عند التقائها بتيار الخليج وبتيارات أخرى قوية في بحر عميق... فالآية القرآنية تقول: (يغشاه موج من فوقه موج) إشارة إلى الأمواج الداخلية والسطحية ، ويؤيد هذا ما وصفه القرآن للبحر بأنه لحي أي كثير الماء ، عميق ، وفي هذا إشارة إلى المحيطات وليس إلى الشواطئ " (روح الدين الإسلامي ص58 و 59).

- ابن كثير يفسر لنا هذه الآيات قائلا: " قال قتادة (لحي) هو العميق ، وقال... "فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب... وقال العوفي عن ابن عباس (يغشاه موج.. الآية) يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله: " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " وقال أبي ابن كعب في قوله (ظلمات بعضها فوق بعض) فهو يتقلب في خمسة من الظلم ، فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات ، إلى النار، وقال السدي والربيع بن انس نحو ذلك أيضا " (ابن كثير في تفسيره لسورة النور).

- ويقول الشيخ محمد علي الصابوني في تفسيره لهذه الآيات أيضا: " هذا المثل الثاني لضلال الكفار والمعنى : مثلهم كظلمات متكاثفة في بحر عميق لا يدرك قعره (يغشاه موج من فوقه موج) أي يغطي ذلك البحر ويعلوه موج متلاطم بعضها فوق بعض (من فوقه سحب) أي من فوق ذلك الموج الثاني سحب كثيف (ظلمات بعضها فوق بعض) أي هي ظلمات متكاثفة متراكمة بعضها فوق بعض " ... (إذا أخرج يده لم يكده يراها) هذا من تنمة التمثيل ، أي إذا أخرج ذلك الإنسان الواقع في هذه الظلمات يده لم يقارب رؤيتها فإن ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب قد تكاثفت حتى حجبت عنه رؤية أقرب شيء إليه من شدة الظلمة فكذلك الكافر يتخبط في ظلمات الكفر والضلال " (صفوة التفاسير).

ملاحظات

1- إن ما سماه الأستاذ عبد الفتاح طيارة بأمواج داخلية يسمى " تيارات داخلية " وإن أعطيناها اسم أمواج نكون قد ارتكبنا خطأ علميا ، لأن اسم موج له معنى مختلف تماما عن التيار ، وما يظهر في المحيطات تحت سطح المياه هو تيارات وليس أمواجا لأن الأمواج هو ما يظهر على السطح ، وبالتالي لو أراد مصنف القرآن الإشارة ما يحدث داخل المحيطات (تحت السطح) لقال: " يغشاه تيار من فوقه موج " وبما أنه لم يقل ذلك فهو قصد الأمواج المتلاطمة والتي تظهر للعيان وكأن بعضها يركب بعضا ، ولذلك ذكر أن البحر يغشاه موج من فوقه موج ، وذلك لأن الأمواج تبدو وكأنها الواحدة فوق الأخرى ، وما هذا بإعجاز لأنه أمر معلوم لدى كل من رأى البحر وأمواجه .

2- والمقصود بقوله " كظلمات في بحر لحي " ليس التيارات ، بل المقصود هو الظلمة عينها كما قال المفسرون ، ومن حملها على غير ذلك فهو محرف يخرج الكلام عن سياقه وإطاره الخاص به .

ولما ذكر القرآن الظلمة في أسافل البحار لم يكن ماقاله إعجازا لأن أي شخص إذا سألته عما يمكن أن يراه في أسافل البحار ودون ان يجرب ذلك يُخمن أنه لا يمكن رؤية شيء سوى الظلمات .

3- أما قوله " يغشاه " (الضمير يعود على البحر) فمعناه : يُغْطيه (كما قال محمد علي الصابوني) ، وهذه الكلمة وحدها كافية لإبعاد فكرة التيارات المائية عن الآية لأن قصده هو أن البحر تغطيه (على السطح) أمواج متراكمة بعضها فوق بعض ، ولم يقل أبدا " بداخله " ، وما نعلمه هو أن التيارات لا تغطي البحر إنما الأمواج هي التي تغطي سطح البحار ، وبالنتيجة

نقول أن القرآن قد قصد الأمواج السطحية فقط ولا يوجد أي شيء في الآية يفيد بأنه تكلم عن أسافل المحيطات ، ومنه نخلص إلى القول بأن عنصر الإعجاز لا يوجد تماما في هذه الآية .
أما في كتاب العهد القديم فنجد على الأقل نصين يتكلمان عن التيارات البحرية الموجودة في أعماق البحار، وأول هذه النصوص هو في سفر يونان النبي الذي استطاع أن يدرك بنفسه هذه التيارات عندما رُمي في البحر فوصف لنا ما يوجد هناك بوحي من الرب ، حيث يقول في الآيات 1-5 من الأصحاح الثاني "...فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت وقال دعوت من ضيقي الرب فاستجابني ، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار فأحاط بي نهر ، جازت فوق جميع تياراتك ولججك ، فقلتُ قد طردتُ من أمام عينيك ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قدسك ، قد اكتفتني مياه إلى النفس ، أحاط بي غمر ، التف عشب البحر برأسي "

- الكلمة العبرية (نَهْر) تُترجم إلى العربية بـ " نهر " أو " تيار " وهنا في الآية ترجمت إلى نهر ثم إلى تيار ، وبالطبع مادام الحديث يدور حول أسافل البحار فالمعنيين صحيحين لأن التيارات في أعماق البحار تسير مثل الأنهار ، ومامن أحد يمكنه الاعتراض على ذلك ، لأن سياق الحديث هو عما يجري تحت سطح البحر ، لأن النبي يونان كان حين ذاك في جوف الحوت تحت المياه وعاین تلك الظواهر بنفسه قبل أن يبتلعه الحوت.

أما النص الثاني فهو لداود النبي (حوالي 1000 سنة ق م) حيث يقول في المزمور 8 الآيات 4-8: " فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتنقه وتنقصه قليلا عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلمه ، تسلطه على أعمال يديك جعلت كل شيء تحت قدميه الغنم والبقر جميعا وبهائم البر أيضا وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه "

- نلاحظ أن النبي ذكر " سمك البحر " ثم قال عنه " السالك في سبل المياه " يعني بذلك " السمك الذي يسلك في سبل مياه في أسافل البحر " ، وما تلك السبل إلا تيارات بحرية تشبه إلى حد بعيد الطرق والمسالك لأن كلا منها يسير في اتجاه معين .

إذن فهناك على الأقل إشارتان في الكتاب المقدس تتحدثان عن التيارات الداخلية في المحيطات ، وكلها تعبر بشكل يفهم منه أن المقصود ليس هو الأمواج الظاهرة فوق السطح ولا تلاطمها ، بل ما يجري في الأعماق .

الموضوع السابع عشر : مكونات الذرة

نعلم أن المادة في جميع حالاتها الصلبة و السائلة والغازية إنما تتكون من أجزاء صغيرة ، اصطلاح العلماء على تسمية أصغر جزء منها " الذرة " وكان العلماء إلى عصر قريب يعتقدون أن الذرة لا تتجزأ ولكن أخيرا علمنا أن الذرة قابلة للتجزئة ، واكتشف العلماء بأن الذرة تتكون من دقائق جد صغيرة وهي " النواة " و " الإلكترونات " وبعد ذلك وجدوا أن النواة بدورها تتكون من " بروتون " و " نيوترون " ، بيد ان أصدقاؤنا المسلمين أخبرونا أنهم وجدوا ذلك في قرآنهم المكتوب منذ أكثر من أربعة عشر قرنا خلت .

ولما أردنا معرفة الآيات والسور التي تتحدث عن هذه المعطيات العلمية الحديثة دلونا على الآية 61 من سورة يونس.

- تقول الآية " وما يغرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين " يونس 61.

- علق عليها مؤيد الإعجاز قائلا " ...فكلمة (أصغر) من الذرة في الآية القرآنية تصريح جلي بإمكان تجزئتها وفي قوله (ولا في السماء) بيان بأن خواص الذرات التي في الأرض هي نفس

خواص الذرات الموجودة في الشمس والنجوم والكواكب ، أي أنها محتوية على الأجزاء التي ذكرناها "

(روح الدين الإسلامي ص 55 و 56).

ونحن لا نعارض الفكرة لو كانت توافق أقوال المفسرين وسياق الآية ، ولتأكيد ذلك نقرأ مايلي :

- يفسر محمد علي الصابوني هذه الآيات قائلا " أي ما يغيب ولا يخفى على الله (من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) أي من وزن هبابة أو نملة صغيرة في سائر الكائنات الموجودة (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) أي ولا أصغر من الذرة ولا أكبر إلا وهو معلوم لدينا ومسجل في اللوح المحفوظ . قال الطبري : " والآية خبر منه تعالى أنه لا يخفى عليه أصغر الأشياء وإن خف في الوزن ولا أكبرها وإن عظم في الوزن ، فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضي ربكم فإننا مُحصوها عليكم ومجازوكم بها (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) " (صفوة التفاسير - في تفسير سورة يونس) .

- وحتى نوضح أكثر ونجنب القارئ الوقوع في الالتباس يجب علينا أن نشرح معنى الذرة أو "مثقال ذرة" في اللغة .

الذرة : هبابة أو نملة صغيرة (كلمات القرآن ص 52) ، الذرة : هبابة (صفوة التفاسير) . وهي ترد بالآيات القرآنية كثيرا للإشارة إلى الأعمال ، كالزلزلة 7 " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ... " .

ملاحظات

أولا : الذرة ليست ذلك المصطلح العلمي الذي نعرفه اليوم ، لأن الذرة لم تُكتشف إلا حديثا بينما المصطلح كان موجودا عند العرب قبا الإسلام بمنات السنين وكان يعني (الهبابة أو النملة الصغيرة) لذلك لما اكتشفت الذرة لم يجد العلماء اسما في اللغة العربية يشير إلى الأجزاء الصغيرة أحسن من اسم " ذرة " لذلك تم الإجماع على التسمية بها ، ومنطقيا لا يمكن وجود الاسم قبل وجود المسمى ، إن كان المقصود بالذرة هو ما نعرفه اليوم في العلوم الكيميائية .

ثانيا: سياق الآية - وكذا رأي المفسرين - يشير إلى الأعمال " مثقال ذرة " من العمل ، والأعمال ليست بالأشياء المادية لذا فالمقصود ليس مادة بل هو تعبير مجازي فقط ليدل على أصغر الأعمال . وقوله (في الأرض ولا في السماء) إشارة إلى الكائنات الموجودة في السماء كالشياطين والملانكة والكائنات الموجودة على الأرض وهي البشر ، وهذا ما صرح به المفسرون أيضا .

وبالتالي أقول إن كل من أراد أن يوهم الناس بأن القرآن تنبأ عن اكتشاف الذرة مستغلا الإسم المشترك بين الذرة كمصطلح علمي حديث وبين الذرة كما كان يعرفها العرب آنذاك " أي الهبابة " ما هو إلا شخص يفتقر إلى الأمانة العلمية يجر وراءه ذوي العقول البسيطة الذين يصدقون كل شيء دون بحث أو تحري حتى عن أبسط الحقائق وأصغرها .

الموضوع الثامن عشر: الزوجية في كل شيء

لفت انتباهي ما قاله الأستاذ عبد الفتاح طيارة معلقا على الآية 49 من سورة الذاريات والتي تقول "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون " حيث قال : " لا نقول إن الكهرباء التي اكتشفت بعد مجيء القرآن بقرون كثيرة تحتوي على سالب وموجب وبتحادهما يتولد التيار الكهربائي ولكن ننتقل إلى الذرة أصغر جزء في عنصر ما ، فقد اكتشف العلماء بأنها تحوي قلبا

صغيرا يسمى "النواة الذرية" يحيط بها عدد من الجسيمات الخفيفة جدا تسمى "الإلكترونات" وهذه تحمل شحنة كهربائية سالبة أما النوى فتحمل شحنة كهربائية موجبة ولكن هناك أبعد من هذا فقد استنتج رجال الطبيعة من تجارب أجروها في معاملهم: أن النواة الذرية نفسها مؤلفة من أجزاء أصغر فوجدوا وحدتين أساسيتين من وحدات البناء في نواة الذرة إحداهما نواة ذرة الهيدروجين وقد أطلق عليها رجال الطبيعة اسما خاصا هو البروتون، يقابله وحدة البناء التي اكتشفها في عام 1932 العالم الطبيعي الإنجليزي السير جيمس تشادويك وتسمى النيوترون. " (روح الدين الإسلامي ص 56).

في الحقيقة ليس هناك شيء يعارض الحقائق العلمية فيما ذكره هذا المؤلف إلا أنني أتساءل: هل يوجد فعلا من كل شيء خلقه الله زوجين؟؟ وما نوع هذه الزوجية التي يتحدث عنها القرآن؟ نعود إلى القرآن نفسه نجده يصرح بوجود الزوجية في كل شيء، ويؤيدنا الأستاذ السابق ذكره في هذا الإستنتاج قائلا: "ولكن القرآن لا يقتصر على هذا بل يطلق اسم الزوجية على كل شيء" (المصدر السابق).

وقبل الإجابة على السؤال المطروح لنر تفسير علمائهم لهذه الآية من سورة الذاريات: - يقول الأستاذ محمد علي الصابوني: "أي ومن كل شيء خلقنا صنفين ونوعين مختلفين، ذكرا وأنثى، حلوا وحامضا ونحو ذلك" (صفوة التفاسير - تفسير سورة الزاريات). - وقال مجاهد: يعني به المتقابلات "كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والنور والظلام والخير والشر وأمثال ذلك" (صفوة التفاسير). - ويقول ابن كثير: "أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات" (ابن كثير - تفسير سورة الزاريات).

ملاحظات

إننا لا نسلم بأن الزوجية توجد في كل شيء، وحتى نثبت ذلك سنتطرق لأنواع الزوجية ونبين سبب اعتراضاتنا:

أ - الزوجية في الجنس: لا تشمل كل شيء فليست جميع المخلوقات ذكر وأنثى وخير مثال على ذلك الملائكة، فلا يوجد ملاك أنثى والمسلمون لا يختلفون في هذه النقطة، ولا يوجد شيطان أنثى ولا توجد أرض أنثى وأرض ذكر، وبعض الكائنات تكون خنثوية ليست ذكرا ولا أنثى والأمثلة عديدة على ذلك، مع العلم بأن كل ما ذكرته هو مما خلقه الله.

ب - الزوجية في النوع: لا تشمل هي الأخرى كل شيء وأعطي مثلا على ذلك في الكيمياء، فمثلا يوجد محلول حامضي وضده قاعدي لكن يوجد أيضا محلول محايد ليس بالحامضي ولا بالقاعدي، والمادة مثلا توجد في ثلاث حالات وليس حالتين: غازية سائلة وصلبة، وهناك عدد زوجي وعدد فردي وعدد زوجي وفردي في نفس الوقت وهو الصفر ونجد أيضا العدد السالب والموجب ثم العدد السالب الموجب وهو الصفر أيضا والكهرباء التي استدل بها عبد الفتاح طبارة ليست مجرد قطبين كما قال بل هي ثلاثة، سالب وموجب ومحايد.

أعتقد أن هذا كاف ليبيّن عدم وجود الزوجية النوعية في العديد من الأشياء.

الموضوع التاسع عشر: التوازن الكوني لجميع العناصر

تقول الآيات القرآنية " وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم " حجر 21.

" وكل شيء عنده بمقدار " الرعد 8 " والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون " الحجر 19.

يقول عبد الفتاح طيارة معلقا على هذه الآيات " نعم كل شيء في هذه الدنيا جعله الله بمقدار ، إن نسبة الأوكسجين تحد عادة في الهواء بنسبة 21 بالمائة فلو كان الأوكسجين مثلا بنسبة 50 بالمائة فماذا سيحدث؟؟ إن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للإشتعال لدرجة أن أول شرارة من البرق تصيب شجرة لا بد أن تلهب الغابة . وقال أيضا " فإن علماء الكون الأخصائيين في علوم الكيمياء والنبات أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة من كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين وكذلك تختلف نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات وهذه مسألة لم يكن شيء منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر " (روح الدين الإسلامي)

أقوال المفسرين المسلمين :

1- بخصوص الحجر 19 يقول محمد علي الصابوني " أي أنبتنا في الأرض من الزروع والثمار من كل شيء موزون بميزان الحكمة بدقة وإحكام وتقدير " (صفوة التفاسير - تفسير سورة الحجر) .

2- أما عن الحجر 21 فيقول " أي مامن شيء من أرزاق الخلق والعباد ومنافعهم إلا عندنا خزائنه ومستودعاته (وما ننزله إلا بقدر معلوم) أي ولكن لا ننزله إلا على حسب حاجة الخلق إليه وعلى حسب المصالح كما نشاء ونريد " (نفس المرجع).

3- ويقول عن الرعد 8 " أي كل شيء من الأشياء عند الله تعالى بقدر محدود لا يتجاوزه حسب المصلحة والمنفعة " (صفوة التفاسير - تفسير سورة الرعد).

ملاحظات

ليس لنا على هذا الموضوع أي اعتراض لأن أي مؤمن يعلم أن الله حكيم ينزل كل شيء بمقدار سواء الماء أو الثلج أو الرياح أو البرد ... إلخ فمهما صنع فإنه يظل حكيمًا ولأسباب وغايات يقوم بتوزيع نعمه.

وفي هذا الموضوع يقول نبي الله أيوب : " الله يفهم طريق الحكمة وهو عالم بمكانها ، ينظر إلى أقاصي الأرض ، تحت كل السموات يرى ، ليجعل للريح وزنا ويعاير المياه بمقياس ، لما جعل للمطر فريضة ومذهبا للصواعق " أيوب 23:26-28

لكن ما نعترضه هو أن يؤولوا قول القرآن إلى ذكر الأوكسجين أو العناصر الكيميائية المكونة للنباتات أو غيرها . فالآيات جاءت معممة ولم تحدد أي نوع من الإكتشافات الحديثة ، وهذا التعميم ليس إعجازا لأنه بإمكان أي إنسان عامي أن يقوله وما عليك إلا أن تسأل أي إنسان عن الله والأرزاق والأمطار فستجدهم يقولون لك أنه سبحانه ينزل كل شيء بمقدار ، رغم أنهم لم يدرسوا لا الكيمياء ولا الفيزياء .

إن من يسبغ على هذه الآيات ثوب الإعجاز العلمي ليس إلا من هؤلاء الذين يغالوا في دينهم ويلبسون الآيات حلة الإعجاز الواهم .

الموضوع العشرون : الحيوانات أم أمثالنا

مرة أخرى نصادف نوعا جديدا من الإعجاز الذي يعتقد به محبو القرآن ونحن لا نلومهم على محبتهم تلك بل على مبالغتهم وتجاوزهم للحقيقة مع خرق الحدود حتى في هذا التجاوز أيضا . فماذا قالوا هذه المرة؟؟ إنهم رأوا في سورة الأنعام 38 - والتي تقول " ما من دابة في الأرض

ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم " - رأوا فيها إعجازا عظيما يطلعنا عليه قول الأستاذ عبد الفتاح طبرارة الذي جاء كما يلي: "وصف الله في هذه الآية جماعة الحيوان والطيور بالأمم وأنها تشبهنا بعض الشبه أي أن لها عقلا تدبر به أمورها . هذه حقيقة علمية اعترف بها العلم حديثا فقد دل على أن جماعات الحيوان يربط أحادها رباط اجتماعي وثيق العرى ، وأن منها ما تعيش على صورة ممالك ذات نظم ثابتة كالنمل والنحل وغيرها وأن لكل جماعة منها لغة يتفاهم أحادها بها بينما كان العلماء الأقدمون لا يعترفون للحيوان وللطير بعقل ولا بذكاء فكانوا يحسبونها مجرد آلات حية تحس وتتألم ولكن لا تحمل عقلا وكل ما يشاهد منها من آثار التفكير والتدبير يعتبرونه من ثمرات الإلهام والغريزة ، بقي هذا الاعتقاد إلى عصور متأخرة ، فكان الفيلسوف ديكرت يرى أن الحيوان كالألة المعقدة المجردة من الحياة العقلية ، فهو لا يفكر كما يفهم الناس بل يعبر في سلوكه عن الغرائز وقد اشتهر عنه هذا التعريف وتناقله الباحثون ، ولم يعترف للحيوان بعقل وتفكير نسبيين إلا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، من ذلك ما أعلنه داروين : إن التفكير موجود في الحيوان ولكن بدرجة أقل من الإنسان ، إن هذه الحقيقة التي أعلنها القرآن هي ولا شك إحدى معجزاته ، فقد قرر حقيقة أقر بها العلم بعد ان استبحرت الدراسات في الحيوان والطيور وقضى العلماء أعمارهم في ملاحظتها ودراستها " (روح الدين الإسلامي ص 59).

ملاحظات

1- من الواضح أن القرآن لم يحدد أوجه الشبه بين الإنسان والحيوان ، فإن كان يقصد الشبه في كل شيء فهذا مستحيل وغير ممكن لأنه ظاهر للعيان أن الحيوان مختلف عن الإنسان ، أما إذا كان المقصود هو بعض أوجه الشبه فردنا سيكون بحسب هذه الأوجه :

أ - في العلاقات : نختلف تماما عن الحيوان في نوعية العلاقة ، فالعديد من الحيوانات تعيش فوضى دون ضوابط معينة ، فالإبن يظأ أمه والأب يظأ ابنته وغير ذلك مما نعرفه جميعا ، وهذا دليل على انعدام الضابط الأخلاقي ، وتحكم الغريزة في الحيوان ، وهناك أيضا علاقات سلطوية تضبطنا جميعا كالرئيس والمرؤوس ، أما أكثرية الحيوانات إن لم نقل كلها فإنها تعيش دون نظام معين (الأقوى هو الذي يربح ويتسلط على الآخرين دائما) ...إذن لا يمكنني بل أترفع أيضا عن أن أصف الإنسان بأنه شبيه بالحيوان في علاقاته .

ب - أما الشبه في العقل فإننا لم نتأكد بعد أن الحيوان يستخدم عقله في تصرفاته بل ظاهريا يبدو العكس بحيث نرى أن الحيوان يسير بحسب غرائزه ، ودليلي الأقوى في هذا الباب هو أن الحيوان منذ تواجده على الأرض لم يحقق أي تقدم أو رقي ونحن نعلم أن من يستخدم عقله لا بد وأن يتطور مع مرور الزمن وهذا ماحدث مع الإنسان الذي استطاع في وقت جد وجيز أن يحقق تقدما مدهشاً وهائلاً ، وبالتالي نخلص إلى القول بأن الحيوان لا يشبه الإنسان أبدا في عقله .

ج - الشبه في الغرائز الطبيعية : قد يبدو لأول وهلة أن الإنسان يشبه الحيوان في وظائف الأكل والشرب والشم والسمع والكلام (على نحو ما) والسير...إلخ لكن هذا أيضا ليس مطلقا بل ينحصر في أشياء جد قليلة ، فمثلا طريقة التوالد تختلف عن الإنسان عند الطيور التي تبيض ، والحيوانات العمياء التي تعتمد في طبيعتها على الإحساس وأخرى تطير وغيرها يقفز ، إلى غير ذلك مما يعلمه العامة من الناس حتى إن كان الشبه موجودا من هذه الناحية فإنه ليس بالإعجاز لأنه ظاهر بمجرد الملاحظة !!

ولو درسنا بتفصيل كل وجه على حدة لوجدنا أن هذه الحيوانات لا تشبهنا إلا في القليل والقليل جدا ، فكيف يمكنني أن أصفها بالأمم أمثالنا؟؟ هل الحيوان مثلي؟ ومثلك أيها القارئ؟ هل له أخلاق وقوانين؟؟ (نسنتني من هذا النحل ، الذي هو حالة شاذة والحالة الشاذة لا يقاس عليها) هل الحيوانات تتطور مثل الإنسان؟ هل تعمل مثلنا؟ هل تفكر مثلنا؟ هل لها ضمير؟؟ هل تفكر وتبدع كالإنسان؟ وهل... هل... إلخ .

إني أتعجب من الذي يجعل الإنسان مثله مثل الحيوان ويعتبر ذلك إعجازا علميا !!

الموضوع الحادي والعشرون : النحل

تقول الآية القرآنية ال69 من سورة النحل " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون " .
في هذه الآية يرى أحد الكتاب " الدكتور بنيوسف إدريس " أن هناك إعجازا عظيما في كل شطر بل في كل كلمة من كلماتها ، فلنبحث جميعا عن هذا الإعجاز وموقعه من الآية على ضوء أقوال هذا الدكتور وأقوال المفسرين والآيات القرآنية والأحاديث :

1- أقوال مؤيدو الإعجاز :

أ - وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون : " يتخذ النحل كبيت له كل تجويف طبيعي أو ما يعرش له الإنسان من بيوت مجهزة وهي التي أشار القرآن إليها في الآية (ومما يعرشون) " (من كتاب الشفاء الصحة القوة من بطون النحل)
ب - " ثم كلي من كل الثمرات " إن هذا الشطر من الآية الكريمة - يقول د. بنيوسف - يكون وحده آية من آيات الله وإعجازا لقوم يتفكرون ... ولربما تساءل الأعرابي لما قرأت عليه هذه الآية : " كيف تأكل النحلة من الثمرات ؟ أو ماذا تأكل منها ؟ ... إن الأعرابي لربما يعرف كيف تأكل الدودة أوراق الشجر ، لكن هذا الأثر لا تخلفه النحلة في النباتات " (المرجع السابق) " وها نحن اليوم وصلنا بفضل تقدمنا العلمي ووسائلنا العلمية أن نثبت أن النحلة تأكل فعلا من الثمرات ... تماما كما جاء في القرآن قبل زمننا بعدة قرون ، تأكل حبوب اللقاح ورحيق الأزهار " (المرجع السابق).

ج - فاسلكي سبل ربك ذللا " كيف تتمكن النحلة من العودة بسهولة إلى البيت بعد أن قطعت عدة كيلومترات في الخلاء وبين الأشجار والنباتات المتشابهة وبعد التوقفات العديدة المتعددة عند كل زهرة والتنقل بين النباتات يمينا وشمالا وخلفا وأماما ؟ كيف بعد قطع عشرات الكيلومترات في اتجاهات مختلفة لا يشغلها سوى البحث عن مصدر الغذاء تتمكن النحلة من معرفة طريقها والعودة إلى الخلية في وقت وجيز ... إنها تسلك سبل ربها ذللا " (المرجع السابق).

د - يخرج من بطونها " يقول القرآن " يخرج من بطونها شراب ، ولم يقل يخرج من بطنها ... أو يخرج من بطن النحل ... أو يخرج من بطن النحلة شراب ... إنه قال : " بطونها " (المرجع السابق) ... " يُقَدَّمُ إلى نحلة عاملة معينة غذاء سكري يحتوي على مادة إشعاعية بعد ذلك لاحظ الباحثون وجود تلك المادة الإشعاعية في بطن عدد من العاملات في الخلية ، هذا يبرهن أن الرحيق لا يعامل في بطن نحلة واحدة ، بل إن إنضاجه يتطلب المرور من عدة بطون! فالله الله عباد الله لقد جاء في القرآن قبل عصرنا ب14 قرنا : " يخرج من بطونها شراب " وجاء هذا على فم النبي الأمي محمد ... فمن أخبره أن الشراب لا يخرج إلا من بطون متعددة ؟! أيمن أن يكون قد قام بالتجربة العلمية وقدم لنحلة رحيقا فيه مادة إشعاعية ثم صنع آلة (التقاط الأشعة) واكتشف تنقل المادة الإشعاعية تدريجيا من بطن الأولى إلى الأخريات ؟! (المصدر السابق) .

هـ - شراب مختلف ألوانه : " إن الشراب المختلف ألوانه يمكن أن يكون العسل والعسل يختلف لونه نتيجة مكونات من أصل نباتي ذائبة في الرحيق ويتوقف وجود هذه المكونات على نوع النباتات . ويمكن أن يكون الشراب المختلف ألوانه إشارة إلى المواد المختلفة التي يصنعها النحل وتخرج منه وهي مختلفة في لونها وشكلها وتركيبها . وهذه المواد هي : العسل ،

الغذاء الملكي ، البروبوليس وأخيرا سم النحل وكل منها شراب وكل منها لون خاص به مختلف عن الآخر " (المصدر السابق)
 و- فيه شفاء للناس " فيما يخرج من بطونها شفاء للناس وفي البروبوليس شفاء للناس وحتى في سم النحل شفاء للناس فتعالى الله أحكم الحاكمين " (المصدر السابق) .
 وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود قال : قال محمد (ص) : العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور ، فعليكم بالشفانين القرآن والعسل " رواه ابن ماجة .
 2: أقوال المفسرين :

- المراد من الوحي : الإلهام والهداية أي ألهمها مصالحها وأرشدنا إلى بناء بيوتها المسدسة العجيبة تأوي إليها في ثلاثة أمكنة : الجبال والشجر والأكوار التي يبنيتها الناس (ثم كلي من كل الثمرات) أي كلي من كل الأزهار والثمار التي تشتهينها من الحلو والمر والحامض ، فإن الله بقدرته يحيلها إلى عسل (فاسلكي سبل ربك دللا) أي ادخلي الطرق في طلب المرعى حالا كونها مسخرة لك لا تضلين في الذهاب أو الإياب (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) أي يخرج من بطون النحل عسل متنوع منه أحمر وأبيض وأصفر ، فيه شفاء للناس من كثير من الأمراض قال الرازي : " فإن قالوا : كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء ؟ فالجواب أنه لم يقل : إنه شفاء لكل الناس ، ولكل داء ، وفي كل حال بل لما كان شفاء للبعض ومن بعض الأدوية صلح بأن يوصف بأن فيه شفاء " (صفة التفاسير - تفسير سورة النحل)

- وجاء بحاشية الصاوي على الجلالين " (قوله من الجبال بيوتا) أي أماكن و"من" بمعنى "في" أي : اتخذني في الجبال أماكن تأوين إليها (قوله ومما يعرشون) أي وفيما يبنون لك فالنحل تارة تبني بيوتها التي هي من الشمع والماء تارة في الجبال وتارة في الأشجار وذلك في النحل الوحشي وتارة تبنيه في الخلايا وهذا في النحل الأهلي " (قوله من كل الثمرات) أي حلوها ومرها طبيها وردينها " (قوله شراب مختلف ألوانه) أي ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل واختلف في سبب اختلاف ألوانه فقليل بسبب اختلاف المرعى وقيل بسبب اختلاف سن النحل فالأبيض لصغيرها والأصفر لكبرها والأحمر لمسنها ، ورد هذا بأنه لا دليل عليه "

(حاشية الصاوي على الجلالين في تفسيره لسورة النحل) وأيضا قال " (فيه شفاء للناس) قيل لبعضها أو كلها" (المصدر السابق) " وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي فقال إن أخي استطلق بطنه فقال النبي اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال إنني سقيته عسلا فلم يزد إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال : اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزد إلا استطلاقا فقال النبي صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ " (المصدر السابق) .

ملاحظات

أ - " وأوحى ربك إلى النحل " نحن لا نعترض على هذا الشطر من الآية لأن كل من يؤمن بالله إلا ويسلم بأن الله له سلطة كاملة على خلقه ويوحى حتى للحيوانات بأن يلهمها مواقع أرزاقها ومكان سكنها ، لأنه ظاهر من تصرفات الحيوانات أن الغريزة التي أعطيت منه عز وجل لها تهديها دائما إلى حيث أراد هو .

فهذا إذن شيء مسلم به لدى كل المؤمنين بالله ، ومن المعروف أيضا منذ القديم أن النحل يتخذ إما الجبال أو الأشجار أو أماكن اصطناعية مما عبر عنه القرآن بقوله "ومما يعرشون " كمكان لسكنها ، فهل هذا إعجاز أم أشياء عادية تبدو بمجرد الملاحظة؟؟

ب - " ثم كلي من كل الثمرات " يرى الدكتور بنيوسف أن في هذا الشطر قمة الإعجاز لأن الأعرابي لم يكن يعلم كيف تأكل النحلة !! إننا نتفق معه في استنتاجه بأن الأعرابي لم يكن يعلم الكيفية التي يأكل بها النحل لكن هذا لا ينفي كونه يعلم أن النحلة تأكل ، فكل منا أتاحت له فرصة بأن يرى نحلة تنتقل من زهرة إلى أخرى ، فماذا يدور بذهن الإنسان عندما يرى ذلك ؟

إنه بلا شك يستنتج أن النحلة تنتقل لتأكل من كل زهرة وهذا ما يمكن للأعرابي هو الآخر أن يستنتجه ، خصوصا وأنهم عرفوا أسرارها كثيرة في تربية النحل . وكثيرون هم اليوم الذين لا يعرفون كيف يأكل النحل - خصوصا القرويون - لكنهم يعلمون أن النحل يأكل من الأزهار والأعشاب فهل ذكر القرآن لما هو عادي يعد إعجازا؟؟

ج - "فاسلكي سبل ربك ذللا " هذا أيضا مما يمكن رؤيته دوما بأن النحلة تدور وتنتقل دون تيهان أو ضلال عن الطريق بل ترجع إلى خليتها دون أدنى صعوبة وما هذه البديهية بالإعجاز !!

د - " يخرج من بطونها " في نظر الدكتور بنيوسف أن هذا الشطر من الآية يحوي هو الآخر أروع إعجاز فهو يرى بأن قول القرآن " بطونها " يعني أن النحلة تأخذ الرحيق وتحوله إلى سائل آخر ثم تأخذه نحلة أخرى وهكذا دواليك إلى أن يصير عسلا ، أي أنه يمر من بطون متعددة قاطعا مراحل شتى ليخلص إلى نتيجته النهائية وهي العسل ، فهل فعلا هذا ما عناه القرآن؟؟

إن الأمر الوارد في أول السورة جاء بصيغة المؤنث " اتخذني " ، والنحل أيضا هو جمع لنحلات وكل نحلة لها بطن (بطن+بطن+بطن....+بطن = بطون) ، وهذه البطون تنتج عسلا أي أن كل بطن تنتج عسلا لذلك قال بطونها (أي بطون النحل) ويعتبر خطأ إن قال بطن النحل لأن النحل هو مجموع والمجموع ليس له بطن واحد !! ولنا مثال صريح يؤيد استنتاجنا تأييدا تاما وواضحا :

ورد بنفس السورة سورة النحل الآية 66 قوله " وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين " فهل كلمة " بطون " الواردة هنا تعني هي الأخرى أن اللبن يمر في عدة بطون أي من بطن بقرة لأخرى حتى يصير على هيئته النهائية؟؟ فإن كان الجواب " لا " وهو لا محالة كذلك ، فإننا نقول إن كلمة " بطونها " تعني نفس الشيء الذي قصده بقوله " بطونه" وبالتالي تكون الآية حاوية على عروشها من أي إعجاز يُذكر لكون كل الناس يعلمون أن النحل يُخرج عسلا من بطنه .

هـ - (شراب مختلف ألوانه) يحاول صديقنا أن يؤول معنى هذا الشطر أيضا فيقول ربما المقصود ليس هو العسل فحسب بل يمكن أن يكون هو البروبوليس أو الغذاء الملكي أو سم النحل ونحن نتساءل هل سم النحل يخرج من البطون؟ لأن الآية تقول (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) ونحن لا ننكر أن يكون المعنى قد حوى البروبوليس والغذاء الملكي لأنها أشياء تخرج مباشرة من البطون ، لكن بإجماع المفسرين كما رأينا فإن المقصود هو العسل ، ثانيا أن الشراب هو (ما يشربه الإنسان ، في حين أن البروبوليس كان يستعمل للتحنيط وضد التسوس وأيضا كدواء للجروح والالتهابات ، فهل هو إذن شراب؟؟

ثالثا أن القرآن قال ذلك معمما ولم يذكر ولو بإشارة لا بربوليس ولا سم النحل ولا غيره ونحن نعلم أن الإعجاز ينبغي أن يتوفر فيه عنصر الوضوح حتى نستطيع تسميته إعجازا ، وبالتالي فالمقصود بكل وضوح هو العسل بحيث نجد أن الحديث لم يذكر أي شراب آخر غير العسل ، وذكر القرآن للعسل واختلاف ألوانه ما هو بالإعجاز لأن ذلك بين وواضح لكل إنسان . و- (فيه شفاء للناس) لقد علمنا أن في العسل شفاء لبعض الأمراض (كالسعال والتشنج وديدان الأمعاء...إلخ) لكن هل هو شفاء لكل الأمراض كما قال الحديث؟؟

هل يشفي البرص ، العمى ، السرطان ، الشلل...إلخ؟؟ يذكرنا الرازي بأن العسل يضرب بالصفراء فهل هو شفاء لكل داء؟؟ أم سيقولون كما قال صاحبهم : " كذبت بطن أخيك "؟؟ هل سنكذب الأمراض ونصدق هذا الإدعاء ؟ لا أظن أن هذا بالمنطق السليم .

وفي ختام هذا الموضوع نرى بأن القرآن لم يذكر أي جديد ولم يتطرق لأي موضوع علمي يمت للنحل بصلة بل تكلم بأي كتاب وكأي أعرابي بكلام جد عادي ، رغم أن الكثيرين يحاولون دفع القرآن ليلحق بالعلم ويحاولون أن يخلقوا من كل كلمة عادية شيئا معجزيا ، لكن آيات القرآن

ستظل مخلصه لبرساتها ومحافظة على سداجتها العلمية لذلك فإنها تفضح كل من حاول تغيير صبغتها .

الموضوع الثاني والعشرون : منبع السائل المنوي

تقول الآية 172 من سورة الأعراف " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا " في هذه الآية يرى أحدهم إعجازا علميا أيضا لذلك يقول " ..هذه الآية تنص على أن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم والمعروف أن الخصية موضوعة في الجزء الأسفل من الجذع لا في الظهر ولكن الله تعالى يتكلم عن خلق الإنسان وذريته ونشأته ولذا هو يتكلم عن علم (Embryology) أو علم الأجنة ويتكلم عن الجزء الذي يخصه للنطفة في جسم الجنين هذا الجزء في الظهر عند أسفل الظهر تحت الكليتين حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين في بطن أمه ثم تنحدر إلى أسفل ، وعند الولادة تكون في مركزها الطبيعي فالآية الكريمة تشير والحالة هذه إلى النقطة الأصلية في جسم الجنين التي تؤخذ منها النطفة وهذه هي الظهر بلا شك ولما كان علم التشريح لم يتقدم إلا في المائة سنة الأخيرة فإن هذه الآية تعد في حكم المعجزات " (روح الدين الإسلامي ص 62 – الإسلام والطب الحديث ص 81) .

- أما تفسير الآية فقد ورد كالتالي : " قال الطبري : أي وأذكر يامحمد إذا استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض بذلك ، قال ابن عباس مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم " (صفوة التفاسير في تفسير سورة الأعراف) . وقال محمد علي الصابوني قولان أحدهما أن الله لما خلق آدم صلبه وهم مثل الذر وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم فأقروا وشهدوا بذلك ، وقد روي هذا المعنى عن رسول الله من

طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة ، والثاني : أن هذا من باب التمثيل والتخييل والمعنى أنه سبحانه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم. وقال لهم ألست بربكم فقالوا بلى وهذا الرأي اختاره الزمخشري وأبو حيان وأبو السعود والأول أصح " (صفوة التفاسير في تفسير سورة الأعراف)

ملاحظات

- 1- لا احد من المفسرين المسلمين ذكر لنا أن الآية قد تطرقت إلى علم الأجنة أو أنها قد ذكرت منبع السائل المنوي ، وظهر من أقوالهم أن الآية تتحدث عن معجزة قام بها الله في البدء عندما خلق آدم حتى أنه استخرج كل الناس من ظهره وأخذ عليهم عهدا وشهادة بأنه هو ربهم ، ويؤكد قولنا حبر الأمة الإسلامية عبد الله بن عباس ، ومن كعبد الله في تفسير القرآن ؟ إذن لماذا يحاول العديدون تأويل الآيات وإبعادها عن سياقها الذي تتحدث عنه وكأني أرى القرآن قد عناهم بقوله " أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يوفكون " .
- 2- نجد ان هذا التعبير كان شائعا عند العرب آنذاك وكثيرا ما كانوا يقولون " أبناء ظهورهم " أو " من صلبهم "

وليس فقط عند العرب وحدهم بل كل الشرقيين ولذلك نجد نفس الإصطلاح مستخدماً في العهد القديم وبالضبط في سفر التكوين 11:35 " عندما خاطب الله يعقوب قائلاً " وملوك سيخرجون من صلبك " فالكلمة العبرية الأصلية هي (خلاصيم) وهي مرادفة للكلمة العربية " صلب " وتعني أيضاً " من ظهره " ولكننا لم نجد أحداً من علماء الكتاب المقدس يذكرنا بأن هذه الآية تحمل إعجازاً لو وزناها بميزان هواة الإعجاز .
لذلك فإني أكرر بأن هذا التعبير كان مألوفاً في ذلك الحين وقبله ولازال إلى يومنا هذا ، دون أن يربط أحد بينه وبين علم الأجنة.

الموضوع الثالث والعشرون : مصدر تكون الإنسان

رأينا سلامة التعبير (ابن صلبه) أو التعبير المماثل (من ظهره) ، وبعدهما معا عما نسب إليهما من الحقائق العلمية المزعومة وهنا أردت إضافة هذا الموضوع كتكملة لسابقه ، حتى أوضح افتقاد البديل الذي حوته الآيات القرآنية في محاولة إثبات إشارة القرآن واهتدائه إلى منبع السائل المنوي للرجل وأقصد بالذات ما ورد بسورة الطارق الآيات 5-7 والتي نجدها تقول فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب " - يفسرها ابن كثير بقوله : " (خلق من ماء دافق) يعني المنى يخرج دفقا من الرجل والمرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يديه على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس : تربية المرأة موضع القلادة وكذا عكرمة وسعيد ابن جبير ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الترائب بين ثدييها ، وعن مجاهد : الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي ، وقال سفيان الثوري : فوق الثديين . وعن سعيد بن جبير : الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل ، وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي جبة المدني أنه بلغه في قوله (يخرج من بين الصلب والترائب) فقال هو عصاراة القلب من هناك يكون الولد ، وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره " (ابن كثير في تفسير سورة الطارق) .

- ويقول الأستاذ محمد علي الصابوني في شرحه للصلب : " فقار الظهر ، ويسمى سلسلة الظهر ، والترائب عظام الصدر " (صفوة التفاسير في تفسير سورة الطارق) .
ويفسر الآية بقوله : " أي خلق (الإنسان) من المنى المتدفق الذي ينصب بقوة وشدة يتدفق من الرجل والمرأة فيتكون منه الولد بإذن الله (يخرج من بين الصلب والترائب) أي يخرج من الماء من بين الصلب وعظم الصدر من الرجل والمرأة " (المصدر السابق) .

ملاحظات

تذكر الآية أن المنى (الماء الدافق) يخرج عند كل من المرأة والرجل من بين الصلب والترائب ، ويظهر من أقوال المفسرين رغم كثرتها أن الصلب يعني الظهر والترائب تعني

الصدر ، فأذن المنى بحسب القرآن يأتي من بين الصدر والظهر ، فهل هذا يتوافق مع العلم؟؟ إن مصنف القرآن اعتقد بكل وضوح أن المنى يأتي من مكان بين الظهر والصدر (كما قال أحد المفسرين : عصارة القلب!) بينما العلم يخبرنا أن المنى يأتي من الخصيتين ومن الأجهزة التناسلية . ومن هنا يظهر جليا معنى (ظهورهم) التي ناقشناها في الموضوع السابق ، وفي هذا الموضوع نجد الفهم الخاطئ الذي سقطت فيه الآية القرآنية ولا يمكن لله عز وجل أن يقع فيه بأي وجه كان ، فلماذا يتستر الإعجازيون إذن عن هذه الآية في سورة الطارق ولم يتركوها تتحدث عن علم الأجنة وعلم التشريح؟؟ لماذا يحبون استغلال غموض بعض المصطلحات أو ندرة استعمالها عند العرب الأوائل أو عند العامة من الناس الحاليين ليثيروا ضجة عن إعجاز لا وجود له؟؟

اضف إلى هذا أنهم لا يتسترون فحسب، بل يظهر الأخطاء العلمية الفظيعة في حلة إعجاز رائع عظيم بتأويلات بهلوانية لم يفطن لها حتى ولا حبرهم (ابن عباس) ولا مفسروهم المعتمدين .

الموضوع الرابع والعشرون: العلققة

جاء بسورة القيامة (37-39) " أبحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يكن نطفة من منى يمى ثم كان علققة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى " وأيضا ورد بسورة العلق الآيات 1 و2 " إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق خلق الإنسان من علق " .

وفي سورة المؤمنون 12-14 " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علققة ، فخلقنا العلققة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين " ومثل ذلك ماجاء في سورة غافر 67 " هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علققة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا " .

وكذلك تقول سورة الحج الآية 5 " فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علققة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم " .

فهذه الآيات كلها المذكورة على سبيل المثال لا الحصر ، تتطرق جميعها إلى مرحلة يكون فيها الجنين على شكل معين محدود أشارت إليه الآيات القرآنية بكلمة " العلققة " أو " العلق " وفي هذه الكلمة ما فيها من الإلتباس ، لكن العديد من علماء الإسلام يرون أن هذه الكلمة إعجاز في حد ذاته ، ومما قالوه نذكر تصريحاً لأحدهم حيث قال : " أثبت الطب أن منى الإنسان هو سائل يحوي حيوانات صغيرة لا ترى بالعين المجردة ، وترى بالمكروسكوب ، وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها فيقول (خلق الإنسان من علق) أي أنه خلقه من هذه الحيوانات التي تشبه العلق شكلا وليقربها إلى عقول البشر بهذا التشبيه ، وهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن لم تظهر وقت نزولها ولا بعده بمنات السنين إلى أن اكتشف المكروسكوب وعرف كيف يتكون الإنسان من هذه الحيوانات " (روح الدين الإسلامي ص 63)

وفي موضع آخر يقول عن العلققة (هي مجموعة الخلايا التي تنقسم إليها البويضة بعد تلقيحها وقد نتأت على سطحها نتوءات تصلها بحائط الرحم وقد سميت علققة لأنها تعلق بالرحم " (روح الدين الإسلامي ص 61).

- (بالرغم من تناقض أقواله عن العلققة وبالرغم من اختلاف المسلمين حول نوعية هذا الإعجاز إذ كل واحد يراه في صورة ما أراد ، لن نرد قبل أن نتفحص أقوال مفسري القرآن حتى نتعرف على المعنى الأدق لهذه الكلمة " علققة " وماذا قصد بها القرآن في الأصل) .

- يقول الأستاذ محمد علي الصابوني : " علق: جمع علقه وهي الدم الجامد ، سميت علقه لأنها تعلق بالرحم" (صفوة التفاسير – فى تفسير سورة العلق) " علقه هي الدم الغليظ " (صفوة التفاسير – فى تفسير سورة المؤمنون) .
- قال القرطبي : " العلقه قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه " (القرطبي (1199)
- يقول ابن كثير " إذا استقرت النطفة فى رحم المرأة مكثت أربعين يوما ، كذلك يضاف إليه ما يجتمع إليها ثم تنقلب علقه حمراء " (ابن كثير – فى تفسير سورة المؤمنون) .
- يقول الحديث : " إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ، فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح " (ابن كثير – فى تفسير سورة المؤمنون) .

ملاحظات

- 1- ليس المقصود بالعلقه هو الحيوان المنوي لأن المفسرين قالوا بأنها قطعة دم حمراء ، بخلاف الحيوانات المنوية ، إذ انها ليست دما متجمدا ولا بالحمراء ، ثانيا لأن الحديث وكذا الآيات صرحت بأن العلقه تكون فى مرحلة ثانية بعد استقرار الحيوان المنوي فى رحم المرأة ، وبالتالي نخلص إلى القول بأن العلقه يقصد بها القرآن شيئا آخر ، غير ما يذكره العلم ، وبالنتيجة يسقط الإعجاز الذي يتوهمه البعض (عن كون الحيوانات المنوية تشبه العلقه) .
- 2- يقول أحد الأطباء الدكتور ويليام كامبل : " أي قارئ تأقلم مع الأسئلة المتعلقة بالتوالد الإنساني يعلم أنه لا توجد أي مرحلة يكون فيها الجنين عبارة عن علقه أثناء تطوره " (القرآن والكتاب المقدس فى ضوء التاريخ والعلم) .
- 3- أما عن الحديث الذي أوردهنا سابقا فإنه يتضمن أخطاء عديدة يحدثنا عنها الدكتور ويليام كامبل قائلا: " الحديث يقول بأن نقطة المنى تبقى أربعين ليلة وفي نهايتها تصير علقه ثم تلبث أربعين يوما ، المجموع ثمانين يوما تكملها الأربعين يوما لمرحلة المضغة ، إذن مائة وعشرون يوما ! دراسات علم الأجنة العصرية أظهرت أن مدة حياة الحيوان المنوي فى رحم المرأة لا تتجاوز أسبوعا ، وابتداء من اليوم السابع يظهر اختلاف الأعضاء باستثناء الدماغ والعظام ، إذن تصريح الحديث الذي بحسبه لا يصير الجنين (مضغة) إلا بعد ثمانين يوما لا محالة خطأ علمي " (المصدر السابق)
- 4- ليست العلقه هي مجموعة الخلايا التي تنقسم إليها البويضة بعد تلقيحها لأن البويضة تنقسم إلى خلايا بعد أسبوع أما العلقه فإنها لا تكون إلا بعد مضي أربعين يوما بحسب الحديث وأقوال المفسرين .
- 5- لم تُسم العلقه بالعلقه لأنها تعلق بالرحم (كما يقولون) ، وذلك لأن الجنين يظل طيلة التسعة أشهر حتى الوضع ، معلقا بالرحم لكن العلقه لم يطلقها لا الحديث ولا القرآن على الجنين فى جميع مراحل بل على المرحلة الثانية من تطوره .
- 6- ولتأييد أقوالنا بأن العلقه تعني الدم الجامد يلزم ان نبحث فى النصوص العربية القديمة حتى نعرف معناها عند العرب آنذاك ، خصوصا فى أيام محمد ، وأثناء البحث وجدت بعض الأبيات الشعرية التي تؤكد أقوالنا لحد بعيد ، ومما شجعتنى على الإستشهاد بهذه الأبيات الشعرية قول ابن عباس : " الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه " (مفهوم النص - د.نصر حامد ابو زيد) . وقال أيضا " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب" . فإذا منفعلة هو عين العقل عندما نلتمس معنى الكلمة فى الأشعار العربية القديمة ، وما وجدته كان كالتالي فى سيرة النبي لإبن هشام :

- قال ضرار بن الخطاب الفهري في يوم معركة أحد :
 أكرهت مُهْرِي حتى خاض غمرتهم
 (العلق : اسم من أسماء الدم ، العانك : الأحمر ، نجيع : الدم)
 وبله من نجيع عانك علق
 - وقال قائل من هوازن في غزوة حنين :
 وفاتنا عمر الفاروق إذ هُزموا بطعنة بل منها سرجه العلق
 - وقال عبد الله بن وهب في شعره ليوم حنين ردا على أبي ثواب :
 وكنا يا هوازن حين تلقى نبل الهام من علق عبيط
 (الهام : رؤوس ، العلق : الدم ، العبيط : الطري)
 إذن من سياق هذه الأشعار والتي كلها تتحدث عن الحرب التي لا بد من أن تتطير أثناءها
 الدماء وكل هؤلاء الشعراء ذكروا العلق في سياق واضح يظهر منه أن معنى العلق بكل تأكيد
 هو الدم ! بل حتى تلك الشروحات التي اوردتها عن العلق هي موجودة في كتب السيرة . وبإلها
 من فضيحة لأولئك الذين حرفوا معناها ، وادعوا ان العلقة أو العلق هو ذلك الحيوان المنوي
 الذي يشبه دودة العلق ! إن المعنى العربي الأصلي والذي عناه مصنف القرآن وفهمه
 السامعون العرب آنذاك هو ان العلقة تعني الدم .
 وهنا يظهر عجز القرآن لا إعجازه ، لأن الطب يؤكد لنا أن الجنين لا يشبه قطعة الدم الجامد
 في أي مرحلة من مراحلها . فهل فعلا خلق الله الإنسان من علق ؟ هل خلقت أنا وأنت من قطعة
 دم ؟؟
 هل هذا هو القرآن الذي حوى كل العلوم ؟؟ ها هو يعلمنا أخطاء علمية جسيمة ، مفادها أن
 الإنسان خلق من دم جامد ! هل ندرس هذه النظرية الجديدة لطلبتنا في كليات الطب ؟؟ إنني
 أتعجب لأولئك الذين يُظهرون زلات القرآن في شكل آيات إعجازية يكاد أي كتاب لا يخلو من
 ذكرها والتباهي بها .
 أخيرا نترك الحكم لأرباب اللغة العربية والذين أثبتوا لنا جميعا أن العلق معناه الدم ولو كره
 الكارهون !!

الموضوع الخامس والعشرون : كيفية تكون الذكر والأنثى

يستشهد عفيف طيارة بالآيات 37-39 من سورة القيامة والتي تقول :
 " أيعسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يكن نطفة من مني يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
 فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى " فيقول عن هذه الآيات
 " يقرر القرآن بأن جنس المولود سواء أكان ذكرا أم أنثى ، مصدره من ماء الرجل وحده
 وهذه حقيقة علمية يؤيد بها العلم القرآن ... وهكذا تظهر حكمة القرآن عندما قال (فجعل منه
 الزوجين الذكر والأنثى) والضمير في لفظ "منه" راجع إلى السائل المنوي الذي يصدر من
 الرجل والذي عبر عنه القرآن بقوله (ألم يك نطفة من مني يُمنى) " (روح الدين الإسلامي
 ص 62) .

لم أشأ التّطويل على القارئ بخصوص هذا الموضوع لذلك لن أعود إلى تفاسير الآية التي
 استشهد بها هذا الكاتب ولكن سأدرج ما هو أقوى من التفاسير ، سأدرج حديثين يتعلقان
 بالموضوع كي نرى موقع الإعجاز من الصحة ، ونحن نعلم أن السنة تفسر القرآن :
 - قال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال :
 سمعت الرسول يقول : " يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول
 يارب ماذا؟ شقي أم سعيد ذكر أم أنثى ؟ ... الخ الحديث " (ابن كثير في تفسيره لسورة القيامة)

- والحديث الآخر مروى عن ثوبان مولى محمد يذكر فيه يهوديا جاء يسأل محمدا فقال " جنت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال ينفعك إذا حدثتك ، قال أسمع بأذني ، قال جنت أسألك عن الولد ، قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرها بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله " رواه مسلم في الغسل في كتاب الطهارة (التاج الجامع للإصول في أحاديث الرسول 420 \5) .

ملاحظات

والآن سنوضح اعتراضاتنا بالرغم من أن الأحاديث تبطل بشكل قاطع الإعجاز الذي ادعاه عفيف طيارة وغيره :

1- ذكرت الأحاديث أن الله لا يقرر خلق الأنثى أو الذكر إلا بعد مضي أربعين يوما عن تخصيب البويضة في حين أن الحيوان المنوي يحمل منذ البدء إما صبغات أنثوية أو ذكورية ، فإن كان يحمل صبغات أنثوية كان الجنين أنثى وإن كان يحمل صبغات ذكورية كان الجنين ذكرا .
وإذا على مني المرأة مني الرجل كان العكس ، في حين انه لا هذا ولا ذاك بل الحيوان المنوي للرجل هو الذي يتوقف عليه جنس الجنين ، فلو كان القرآن يحوي إعجازا أطلع الله محمدا عليه ، فلماذا هذه الأخطاء في الحديث !؟

2 - نعود مرة أخرى للآية الواردة سابقا (ألم يك نطفة من مني يمى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) نلاحظ أولا أنه لم يعين لا مني الرجل ولا مني المرأة ، والآية تتكلم بصفة عامة لا بصفة التخصيص ففي أولها تقول (أحيى الإنسان أن يترك سدى) وبالتالي فالمقصود هو الإنسان سواء أكان ذكرا أم أنثى ، فلما تقول الآية (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) فإن الضمير "منه" يعود على الإنسان ككل لا على الرجل وحده ، إذن فالمعنى الصحيح هو أن الآية تخاطب الإنسان (الذكر والأنثى) وتخبرهم جميعا بأن أصلهم ما هو إلا مني تطور ونما عبر مراحل بفضل قوة الله ولذلك لن يتركه الله يوم القيامة بل هو قادر على إعادته وتكوينه من جديد كما فعل أول مرة ...
هذا هو المعنى المقصود ، وهو معنى بعيد كل البعد عن الإعجاز العلمي المزعوم .

موضوع السادس والعشرون: مراحل تطور الجنين

ورد بسورة (المؤمنون) 12-14 القائلة: " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين " وعن الإعجاز الذي يعتقده جل المسلمين في هذه الآيات والذي ملأوا به الصحف والمجلات والأشرطة ، يلخصه لنا مرة أخرى الأستاذ عفيف طيارة قائلا : " إذا أمعنا النظر في هذه الآيات وجدنا أنها دلت بوضوح على ما دل العلم عليه بعد ذلك من ان الإنسان خلق من طين ، فإن النطفة في كل من الذكر والأنثى التي يتكون منها الجنين هي وليدة عملية التغذية التي يتغذى بها الإنسان وأصل هذه التغذية ومنشؤها التراب .. ثم يضيف " ..ثم يخبرنا تعالى بأنه يصير

علقة... على ان الجنين يصير بعد ذلك مستديرا بغير انتظام ومكورا ويبقى كذلك بعد بضعة أسابيع وقد سماه الله (مضغة) لكثرة الشبه بينه وبين قطعة اللحم الممضوغة ، وهي في الإصطلاح الطبي عبارة عن نمو العلقه وتنوع خلاياها وتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر ، وهنا يبدأ طور التكوين وتظهر آثار العظام في المضغة . وبعد أن تتكون العظام يبدأ اللحم في التكون بظهور العضلات وذلك بتنوع الخلايا التي تحيط بالعظام ، وبينما تظهر العظام والعضلات تتكون بقية أعضاء الجسم ، وفي قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) معجزة دقيقة من معجزات القرآن ، فقد ثبت أن الجنين في بداية الشهر الثاني بعيد الشبه بالإنسان فهو أقرب في شكله إلى الضفدعة في دور التكوين ، وفي خلال الشهر الثاني تطرأ على الجنين تغيرات تشريحية تنقله من طبقة الحيوانات المانية إلى الصورة الإنسانية ، فهذا التحول هو إنشأؤه خلقا آخر . ومن هذا كله يتبين لنا بوضوح أن أطوار الجنين المذكورة في القرآن هي نفس الحقائق التي نعب عنها العلم الحديث حتى اكتشفها ، أيكون ذلك في مقدور أمي في جزيرة العرب منذ أربعة عشر قرنا أن يأتي بها من عنده ؟ إلا أن تكون وحيا أوحاه الله إليه " (روح الدين الإسلامي ص 61) .

- يفسر ابن كثير الآيات المذكورة أنفا بما يلي : " (سلالة من طين) وهو آدم خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون... (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) يعني الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة) أي ثم صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السرة فصارت علقة حمراء على شكل علقة مستطيلة (فخلقنا العلقة

مضغة) وهي قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط (فخلقنا المضغة عظاما) يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبتها وعروقها ، وقرأ آخرون (فخلقنا المضغة عظما) قال ابن عباس وهو عظم الصلب (فكسونا العظام لحما) أي جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب " (ابن كثير في تفسير سورة المؤمنون) .
- عن علي ابن أبي طالب قال : " إذا أتت على النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكا فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث فذلك قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) يعني نفخنا فيه الروح ، وروي عن أبي سعيد الخدري أنه نفخ الروح ، قال ابن عباس (ثم أنشأناه خلقا آخر) يعني نفخنا فيه الروح ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والربيع بن أنس والسدي... وغيرهم " (تفسير ابن كثير) .

- وعن عبد الله قال : " مر يهودي برسول الله وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي ، فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي قال فجاءه حتى جلس فقال : يا محمد مم يخلق الإنسان؟ فقال: يا يهودي من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم ، فقال : هكذا كان يقول من قبلك " (تفسير ابن كثير) .

- عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله " إن أحدمك ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد " (تفسير ابن كثير) .

- قال الرازي في تفسيره لقول الآية (ثم أنشأناه خلقا آخر) : "أي جعلناه مخالفا للخلق الأول حيث صار إنسانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكما ، وسميعا وكان أصما وبصيرا وكان أكهما وأودع كل عضو من أعضائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف الواصفين " (الفخر الرازي 85/23) .

ملاحظات

- المرحلة الأولى : (أصل الإنسان من طين) : هذه الحقيقة معروفة عند الناس والعديد من العلماء وقد سبق أن نبه إليها العهد القديم قبل القرآن بمئات السنين (تكوين 2:7) وبالتالي كانت شائعة حتى في شبه الجزيرة العربية بتواجد أهل الكتاب الذين يعرفون ذلك من كتابهم حق المعرفة ، وبالتالي ذكر القرآن لهذه الحقيقة ليس إعجازا بل إعادة لما سبقته معرفته.

- المرحلة الثانية : (نطفة مني) هذه الظاهرة معروفة ويمكن التوصل إليها بمجرد الملاحظة ، وذكر القرآن لها ليس بالغريب العجيب ولا بالشيء المعجزي ، وأكثر من ذلك نجد خطأ علميا ارتكبه الحديث حيث لا يحدد هذه المرحلة حتى اليوم الأربعين في حين أن النطفة لا تمكث - حسب علم الأجنة - أكثر من أسبوع !!

- المرحلة الثالثة : (العلقه) درسناها فيما سبق دراسة وافية وأثبتنا - بتصريح من أحد الأطباء - أنه لا وجود لأي مرحلة يكون فيها الجنين عبارة عن قطعة دم متجمد ، وهذا خطأ علمي فادح ، فكيف يكون إعجازا؟؟؟

- المرحلة الرابعة : (المضغة) في هذه المرحلة هناك العديد من الصعوبات التي تواجهنا أثناء دراستها لذلك سنتتبعها بالترتيب لمزيد من الفهم :

أ - مرحلة المضغة يذكرنا الحديث بأنها تكون ما بين اليوم الثمانين واليوم المائة والعشرين ، والنفاسير تذكر بأنه لا شكل فيها ولا تخطيط والآية تصرح بأن مرحلة المضغة لا تحوي عظاما ولا لحما لأن هذه المراحل تأتي في ما بعد المضغة وهذا كله مخالف للحقائق العلمية تماما ، إذ ان الأطباء أثبتوا أن الجنين في نهاية الأسبوع الثامن أي (بعد 56 يوما من تلقيح البويضة) يكون قد أصبح متوفرا على عضلات ، وتبدأ العظام في التكون ويكون الجنين في هذه المرحلة قد أصبح قادرا على القيام ببعض الحركات العضلية وهذه المرحلة التي يتكلم عنها الطب تبدأ ابتداء من اليوم السادس والخمسون وهي في نظر القرآن والحديث ليست سوى مرحلة العلقه (الدم الجامد) !!

ب - المرحلة التي يحددها الحديث للمضغة هي ما بين اليوم الثمانين واليوم المائة والعشرين وهي في الطب مرحلة تكون معظم الأعضاء قد ظهرت فيها وأصبحت متميزة ، وتكونت العديد من العظام أيضا ، في حين أن المضغة في نظر القرآن والمفسرين والحديث لا تحوي لا عظاما ولا عضلات ولا شيء من هذا القبيل إذ لا تخطيط ولا شكل فيها (كما قالوا) ، ومادامت هذه المرحلة تخالف الحقائق العلمية فسنجاوزها هي الأخرى ونعتبرها من باب الهفوات والأخطاء التي وقع فيها " إعجاز القرآن " وبالتالي فإن هذه المرحلة بدورها تخلو من عنصر الإعجاز .

- المرحلة الخامسة : (مرحلة العظام) (فخلقنا المضغة عظاما) من هذه الآية والتفاسير نستنتج أن الهيكل العظمي يوجد أولا لوحده لا لحم له ولا أي شيء آخر يكسوه ، في حين نجد الطب قد أثبت أن ظهور العظام يكون مرفوقا بتكون العضلات في نفس الوقت ، بل قبل أن تتكون العظام يكون الجنين قادرا على القيام ببعض الحركات بفضل توفره على العضلات ، وبالتالي نثبت خطأ علميا آخر في التصوير القرآني لتطورات الجنين ، وبالنظر إلى الحديث نرى أن هذه المرحلة تقع ما بين اليوم المائة والعشرين واليوم المائة والستين بينما في المعطيات الطبية نجد أن العظام تبدأ في التكون ابتداء من نهاية الأسبوع الثامن أي بعد 56 يوما من تلقيح البويضة (على الأكثر) وهذا خطأ آخر نضيفه إلى ما سبق إثباته من عجز الآية القرآنية والحديث .

- المرحلة السادسة : مرحلة تكون اللحم (فكسونا العظام لحما) لقد أثبتنا أن اللحم وبالضبط العضلات تبدأ في الظهور مع ظهور العظام ، وفي نفس الوقت ، وبالتالي هناك خطأ كرونولوجي يرتكبه الحديث والآية ، حيث يقولان أن العظام تظهر أولا منفصلة ثم بعد ذلك

يكسوها اللحم ، والخطأ الأعظم هو تصريح الحديث بأن هذه المرحلة توجد بين اليوم المانة والستين واليوم المانتين ، بعكس ما أثبت الطب تماما إذ من المسلم به طبيبا أن اللحم والعضلات تظهر ابتداء من الأسبوع الثامن على الأكثر ، وهذا فرق زمني شاسع لا يمكننا تجاوزه على أساس الأخطاء البسيطة وقطعا لا يمكننا اعتباره ضربا من الإعجاز.

- المرحلة السابعة والأخيرة : نفخ الروح (ثم أنشأناه خلقا آخر) في تعليق الأستاذ عفيف طيارة على هذا الشطر من الآية يقول أن هذا يعني أن الجنين يتحول من صورة حيوان ماني (ضفدعة) إلى صورة إنسان لكننا نرفض استنتاجه لثلاث أسباب :

أ - لأنه ولا واحد من المفسرين يوافق هذا التفسير لأنه بإجماعهم ذكروا أن الآية تعني نفخ الروح ومن بينهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس حبر الأمة الإسلامية كما سماه محمد .

ب - لأن الحديث هو الآخر لا يوافق تفسير هذا الأستاذ لأنه يذكر نفخ الروح كآخر مرحلة وبالتالي فإنه يوافق الآية ويجعل مرحلة إنشاء الجنين خلقا آخر ، هي نفخ الروح ، والحديث أحق بالأسبقية من الإجتهد كما علمتنا التشريعات الإسلامية .

ج - لأن المرحلة التي يتكلم عنها الأستاذ عبد الفتاح طيارة تبدأ من بداية الشهر الثاني أي بعد 30 يوما أما ما ذكره القرآن والحديث فهو يبدأ من اليوم المانتين !!

- أما عن الأخطاء التي في هذه المرحلة فهي كبيرة جدا فهو يذكر نفخ الروح (أي الحياة) بعد جميع أطوار التكوين للجنين لكننا نعلم ان الجنين هو حي ابتداء من تلقيح البويضة بل إن حياته هي في الحيوان المنوي حتى قبل التلقيح . فهل كان الجنين ميتا طيلة أطوار تكونه ثم أصبح حيا بعد مضي مانتين يوم؟؟ إنني أكاد لا أعرف حتى أدنى سبب يجعلنا نخفي الحقائق ونظهرها في حلة الإعجاز!! فهل بعد كل هذه الأخطاء يمكن اعتبار ما ذكره القرآن إعجازا؟ إنني أقول بعد هذه النظرة الملقاة على وصف القرآن لمراحل تطور الجنين ، أن القرآن لا يذكر إلا مجرد اعتقادات كانت سائدة في ذلك العصر عند العامة من الناس حول مراحل نمو الجنين وهي بعيدة كل البعد عن كونها حقائق علمية حديثة .

قد يتساءل أحد عن الحديث المروي عن عبد الله وسبب تواجده في هذا الموضوع لكنني هدفت بتواجده أن أظهر مدى بعد فكر محمد عن الاكتشافات العلمية المعاصرة وكيفيني عن التعليق أن أتساءل هل حقا إن مني الرجل غليظ تتكون منه العظام والأعصاب وبويضة المرأة رقيقة يتكون منها اللحم والدم؟

هل أخطاء بمثل هذه الجسامة تصدر عن نبي من أنبياء الله؟؟ هل الله لا يعلم مراحل نمو أحد خلقه حتى يُخطئ في وصفه؟؟ إن هذه الأسئلة هي في حد ذاتها إجابة واضحة وجلية لمن أراد الحق وحكم بكل موضوعية بعيدا عن التعصب والتحيز . هذا من ناحية .

_ ومن ناحية أخرى ، علم الأجنة كان قد تطور إلى درجة عالية على يد خبراء التحنيط في مصر القديمة، فيما نشر أبيقور كتابان، أحدهما بعنوان (طفل السبعة أشهر) والآخر بعنوان (طفل التسعة أشهر) بل وأكثر من ذلك فإنه نشر دليلاً للجراحين عن (تفكيك الجنين في الرحم) وقد شاعت هذه الأعمال بين أطباء الشرق القديم .

_ أما مكتبة الإسكندرية العظيمة فقد كانت تحتوي على فرع خاص بعلم الأجنة وأمراض الحمل والولادة .

_ والواقع أن النص القرآني (الذي حملته الفقهاء أكثر مما أراد الله نفسه) لم يورد أية معلومة جديدة، بل خاطب الناس بالمعلومات المتوافرة في عصرهم، ليبين لهم قدرة الله، وليس ليمنحهم معلومات في علم الأجنة، فمعلومة أن الجنين يوجد كاملاً في نطفة الرجل، معلومة معروفة منذ زمن التوراة، وقد وردت في سفر أيوب على النحو التالي: (ألم تصبني كاللبن، وخرتني كالجبين، كسوتني جلدًا ولجما، فنسجتني بعظام وعصب، سفر أيوب 12/10).

_ من ناحية ثالثة كتب الدكتور كيث موور عدة كتب في علم الأجنة آخرها سنة 1976 .

الكتاب نشر بعد مؤتمرات الإعجاز وبعد أسلامه المدعى ليس به أي ذكر للتطور القرآني للجنين :

المراحل التي يذكرها ليست نطفة وعلقة ولا ما يحزنون ، يقسم موور بكتابه مراحل تطور الجنين الى ما يلي:

الأسبوع الأول

المرحلة الأولى زيغوت

المرحلة الثانية تويطة

المرحلة الثالثة بالستوسيت

الأسبوع الثاني

لم يعطيه أسم وبه التعشيش ، تشكل الطبقات الثلاثة . وبهذه المرحلة يشبه الأعجازيين الجنين والذي لا يزيد حجمه عن 1 ملم الى الدودة ونرى الرسمة التي يتناقلها الأعجازيين . طبعاً موور لا يذكر أي شئ عن وجه الشبه هذا .

الأسبوع الثالث

الحبل الأولي ، السوميت ، تطور الجهاز العصبي، بداية الدوران الدموي. لا يوجد أي تشبه بالعلقة الممضوغة . و الحنين يقيس أقل من 4 ملم بنهاية هذا الأسبوع.

الأسبوع الرابع الى الثامن

أنحاء القرص الجنيني و ظهور المركبات الأساسية للجنين حتى يأخذ الجنين بالتدرج الشكل الأنساني ، و تنتهي مرحلة أمبريون.

الأسبوع التاسع الى الأسبوع الثامن و الثلاثين

تبدأ مرحلة فيوتوس وهي مرحلة النمو. ويقسمها الى تحت مراحل أول واحدة منها تمتد من الأسبوع التاسع الى الأسبوع الثاني عشر

يقول موور بالخط العريض أن أولى نقاط التعظم تظهر بنهاية الأسبوع الثاني عشر. أي بعد أن يأخذ الجنين الشكل الأنساني و علماً أنه يمكن رؤية الحركات الجنينية أعتباراً من الأسبوع السابع الى الثامن . "يمكن سؤال أي طبيب أشعة و أيكو عن الحركات هذه" . فمن تشكل قبل العظم أم اللحم ؟

المراحل المتوالية بعد ذلك : الأسبوع 13-16 ، 17 - 20 ، 21-25 ، 25-29 ، 30-34 ، 35 - 38

و يقول موور بكتابه بكل صراحة أنه لا يوجد أي حدود واضحة تميز هذه المراحل بعد الأسبوع الرابع حيث يظهر رأس الجنين و براعم أطرافه ... المراحل المتوالية بعد ذلك هي تطور متدرج .

السؤال المطروح : لماذا عاد موور إلى صوابه العلمي وغير رأيه السابق ؟ و لماذا تتناقض طبعة كتبه المخصصة للدول الإسلامية عن الطبعة الكندية !؟

الموضوع السابع والعشرون : أغشية الجنين

عن الآية السادسة من سورة الزمر التي تقول " يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم ربكم له الملك " يعلق الأستاذ عبد الفتاح طبارة ، بما يلي : " في هذه الآية معجزة علمية للقرآن ، فقد أخبر أن الجنين له ثلاثة أغشية سماها ظلمات وهي الآن يطلق عليها : الغشاء المنباري ، والخوربون ، والغشاء اللفانفي ، والجدير بالذكر أن هذه الأغشية لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق وتظهر كأنها غشاء واحد بالعين المجردة " (روح الدين الإسلامي ص 62) .

تفسيرات علماء المسلمين :

- " (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) أي يخلقكم في بطون أمهاتكم أطوارا فإن الإنسان يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يتم خلقه ، ثم ينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر (في ظلمات ثلاث) هي البطن الرحم المشيمة وهو الكيس الذي يغلف الجنين " هذا التفسير هو لمحمد علي الصابوني (صفوة التفاسير - تفسير سورة الزمر) .
- وفي الظلال لسيد قطب نجد " (في ظلمات ثلاث) هي ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين وظلمة الرحم الذي يستقر فيه الجنين ، وظلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم " (في ظلال القرآن - سيد قطب) .
- وكذلك يقول ابن كثير : " (في ظلمات ثلاث) يعني ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن ، كذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة و السدي وابن زيد " (ابن كثير - تفسير سورة الزمر).

ملاحظات

1- إن الأغشية التي يتكلم عنها عبد الفتاح طبارة توجد كلها ضمن المشيمة ولا تظهر إلا بالتشريح أما ما يتكلم عنه القرآن فهو شيء آخر باجماع كل المفسرين منهم ابن عباس ، فهل نأخذ رأي ابن عباس الذي عاصر محمدا وعرف ماذا يقصد بالظلمات ، أم بمفسر من القرن العشرين عرف حقائق جديدة عن علم الأجنة ؟؟
2- إن الظلمات الثلاث هي غشاء الجنين والرحم والبطن وهذه كلها تعرف عند العامة من الناس منذ القدم وتظهر بمجرد الملاحظة والتجربة وذكرها ليس بالإعجاز إنما هو من المسلمات .
3- إن أخذنا بقول عبد الفتاح طبارة نكون مضطرين إلى التسليم بوجود خمس ظلمات وهي (الغشاء المنبري ، الخوريون ، الغشاء اللفافي ، الرحم ، ثم البطن) في حين أن القرآن لم يذكر سوى ثلاث ظلمات وبالتالي إما أن نجزم بأن القرآن قد أخطأ إذ لم يذكر إلا ثلاثا وإما أنه جمع (الغشاء المنبري والخوريون والغشاء اللفافي في ذكر المشيمة و عدم ظلمة واحدة) وفي هذه الحالة يكون ما ذكره القرآن شيئا عاديا تعرفه العامة من الناس .
وفي النهاية نجد أن ما يدعيه العلماء عن إعجاز هذه الآية ما هو إلا محاولة للتأويل والتحريف بعيدة كل البعد عن معنى الآية المقصود أصلا .

الموضوع الثامن والعشرون: مدة الحمل

تقول الآية 233 من سورة البقرة " والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة " - وفي التفسير " أي على الأمهات أن يرضعن أولادهن لمدة سنتين كاملتين " (صفوة التفاسير - تفسير سورة البقرة) .
- أما الآية 15 من سورة الأحقاف فتقول " ووصينا الإنسان بوالديه إحسان حملته أمه كرها ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين " وفي تفسير هذه الآية نقرأ " (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أي ومدة حمله ورضاعه عامان ونصف " (تفسير ابن كثير لسورة الأحقاف) وأيضا قال ابن كثير : " (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) قد استدل عليّ بهذه الآية مع التي في لقمان (وفصاله في عامين) وقوله (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم

الرضاعة) على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوي صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهني قال تزوج رجل من امرأة جهنية فولدت له لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان فذكر ذلك له فبعث إليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها ، فقالت وما يبكيك ؟ فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط ، فيقضي الله سبحانه وتعالى في ما شاء فلما أتى بها عثمان ، أمر برجمها ، فبلغ ذلك عليا فأتاه فقال له : ما تصنع ؟ ولدت تماما لستة أشهر وهل يكون ذلك؟ فقال له علي أما تقرأ القرآن ؟ قال بلى ! قال أما سمعت (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال (حولين كاملين) فلم نجده بقي إلا ستة أشهر قال فقال عثمان والله ما فطنت لهذا ...إلخ الحديث " رواه ابن أبي حاتم (صفة التفاسير - سورة الأحقاف) .

ملاحظات

بالنسبة للرضاعة طيلة سنتين فهذا قول ليس لنا اعتراض عليه مادامت المرأة قادرة على ذلك ، وهذا أحسن وأكمل للمولود كي ينمو نموا طبيعيا وهذه من بين العادات التي كانت معروفة منذ القديم عند العامة من الناس ، ولم تكن شيئا جديدا أتى به القرآن ، بل هي حقيقة شائعة ما كان على القرآن إلا أن يقر بها ويوافق عليها ، أما الإعتراض فهو على قوله (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فإذا طرحنا أشهر الرضاعة وهي أربعة وعشرون بقي فقط ستة أشهر ، وقد فطن لهذه الفكرة علي بن أبي طالب ، لذلك اقترح تفسيراً للآية حيث قال أن هذه المدة (ستة أشهر) هي أقل مدة ممكنة لأيام الحبل ونحن نتفق معه على استنتاجه القوي لو لم تكن هناك المشكلتين الاتيتين :

أ - الستة أشهر هي حالة خاصة ، والحالات الخاصة لا يقاس عليها في إطار الحديث عن العام خصوصا وأن الآية كانت في إطار الكلام عن الإنسان بصفة عامة .
ب - تكلمت الآية أيضا عن الإنسان عندما يصير رجلا سنه أربعين سنة حيث قال (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك ...إلخ الآية) الأحقاف 15 .
وسن الأربعين هو سن متوسط وعادي ، إذن فالآية لم تضع أي اعتبار للحالات الخاصة عندما تكلمت عن الراشد الذي يصير رجلا إذ لم تذكر الذين يموتون وسنهم سنتين أو أقل أو أكثر وبالتالي من اللازم أن نقول بأن مدة الحمل يجب أن تكون المدة العادية دون اعتبار للحالات الخاصة ، وفي هذه الحالة يمكن الاختيار بين ثلاث أمور :
- إما أن القرآن أخطأ في حساباته ، حيث أنه أراد أن يقول ثلاثا وثلاثين شهرا فذكر فقط الثلاثين .

- وإما أنه وقع في خطأ علمي وهو ان مدة الحمل ليست تسعة أشهر بل ستة .
- أو أن في آيات القرآن تناقضا بحيث أن مدة الرضاعة هي عامين في آية لقمان ، وفي الأحقاف نجدها 21 شهرا إذا طرحنا مدة الحمل (تسعة أشهر) من الثلاثين شهرا .
ونترك الاختيار بينها لأولئك الذين يرجون الإعجاز من قرآنهم !!!

الموضوع التاسع والعشرون : الصفات الوراثية

في العديد من الثقافات يعتقد الناس أن ما تراه المرأة في أشهرها الأولى للحمل يؤثر على الجنين ويورثه بعض صفات ما رآته هذه الحبلى ونجد حتى في هذه الأيام بين العامة من الناس في العديد من البلدان نفس الإعتقادات ما تزال راسخة في الأذهان .

وإلى جانب هذا نجد البعض يعتقدون أن مجرد الحليب الذي يرضعه الطفل من امرأة أخرى يقيم علاقة أمومة وبنوة بينه وبينها ، بل إن القرآن نفسه يحمل مركز هذه الإعتقادات حيث جاء بسورة النساء الآية 23

" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتِ نِسَائِكُمْ وَرِبَابِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَانِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا "

وفي التفسير نجد : " نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى تُسمى المرضعة أما للرضيع ، أي كما يحرم عليك أمك التي ولدتك كذلك يحرم عليك التي أرضعتك ، وكذلك أختك من الرضاع ، ولم تذكر الآية المحرمات بالرضاع سوى (الأمهات والأخوات) وقد وضحت السنة النبوية أن المحرمات بالرضاع سبع كما هو الحال في النسب لقوله (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) أخرجه البخاري ومسلم (صفوة التفاسير- سورة النساء) .

ملاحظات

كلنا يعلم أن الإخوة والأخوات والآباء والأمهات... إلخ إنما حُرِّموا في اليهودية والمسيحية (أي في الكتاب المقدس) لاعتبارات وجيهة من بينها ، الصفات الوراثية فبين الأم وابنها مثلا خصائص وراثية مشتركة أي هناك علاقة تمنع زواجهم ، وأيضا لسبب آخر وهو سبب أخلاقي

فلماذا يُحرم القرآن الزواج بأم مرضعة ؟ أو بأخت من الرضاعة (أن جازت تسميتها بالأخت) ؟

أ - إن كان يعتقد بأن الحليب يؤثر في العلاقة بين الطفل والمرأة أو بين الإنسان وأخيه من الرضاعة فهذا خطأ علمي فظيع ، لأنه لا علاقة للأكل بالخصائص الوراثية ، فهل أصير أختا لطفل آخر بمجرد تناولنا نفس الحليب ؟؟ إن كان كذلك ، فلربما حرم على الكثيرين التزاوج بينهم لأنهم لطالما تقاسموا الحليب بينهم !! فهل هناك أي علاقة بين الرضاعة والصفات الوراثية ؟ يجيبنا الطب الحديث بالنفي تماما إذ لا سبيل لأي نوع من الخصائص الوراثية إلينا إلا من الأب والأم .

ب - أما إن كان هذا لأسباب أخلاقية واجتماعية فإننا نسأل لماذا لم يحترم القرآن نفس المقاييس الاجتماعية عندما أحل الزواج بأزواج الأديعاء (أي يحل للمرأة أن يتزوج بزوجة ابنه بالتبني إن هو طلقها) ؟؟ ونقرأ هذا واضحا في سورة الأحزاب 37 " ...لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا " وقد تزوج محمد بزينب بنت جحش زوجة ابنه بالتبني زيد ابن حارثة ، رغم أن كل العرب عيبوا عليه لأنه خالف التقاليد الاجتماعية والضوابط الأخلاقية وللمزيد من المعرفة يمكن لأي شخص الإطلاع على السيرة النبوية أو تفسير سورة الأحزاب .

فلماذا إذن قرن الرضاعة بالنسب كما في الحديث السابق ؟؟ فهل الرضاعة هي بمثابة نسب ؟ إنني متأكد بأن علم الوراثة لا يؤيد هذا على الإطلاق .

نظرة سريعة للكتاب المقدس حول الصفات الوراثية :

نقرأ في سفر التكوين من الأصحاح 30 الآيات 31-42 " ...فقال يعقوب لا تعطيني شيئا إن صنعت لي هذا الأمر أعود أرعى غنمك وأحفظها ، أجتاز بين غنمك كلها اليوم ، واعزل أنت منها كل شاة رقطاع وبلقاء وكل شاة سوداء بين الخرفان وبلقاء ورقطاء بين المعزى ، فيكون مثل ذلك أجرتي ، ويشهد في بري يوم غد إذا جنت من أجل أجرتي قدامك ، كل ماليس أرقط أو

أبلى بين المعزى وأسود بين الخرفان فهو مسروق عندي ، فقال لابان هوذا ليكن بحسب كلامك ، فززل في ذلك اليوم التيوس المخططة والبلقاء وكل العزاز الرقطاء والبلقاء ، كل ما فيه بياض وكل أسود بين الخرفان ، ودفعتها إلى أيدي بنييه وجعل مسيرة ثلاثة أيام بينه وبين يعقوب ، وكان يعقوب يرعى غنم لابان الباقية ، فأخذ يعقوب لنفسه قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضا كاشطاً عن البياض الذي على القضبان ، وأوقف القضبان التي قشرها في الأجران في مساقى الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب تجاه الغنم . لتتوحم عند مجيئها لتشرب ، فتوحمت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطاً وبلقاء ، وأفرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط وكل كل أسود بين غنم لابان . وجعل له قطعاناً وحده ولم يجعلها مع غنم لابان ، وحدث كلما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم في الأجران لتتوحم بين القضبان ، وحين استضعفت الغنم لم يضعها ، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب ، فاتسع الرجل كثيراً جداً وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير " .

كان يعقوب يعمل بمثابة أجير عند حميه لابان ، واقتراح أن يأخذ أجرته كل الغنم والمعز المرقط من بين ما تلده الغنم لكن لابان أخذ كل الذكور والإناث المخططة ولم يترك ليعقوب سوى التي لها لون واحد ، ولما كان يعقوب كغيره من الناس له خلفية ثقافية خاطئة ، أراد أن يؤثر على الغنم بوضع قضبان مرقطة أمامها حتى تتوحم عندها وبالتالي تلده غنماً مرقطة ، لكن هذا التصرف لا محل له من الصواب علمياً ، لأنه لا تأثير لما تراه العين على الصفات الوراثية .

وما دامت الفكرة خاطئة فإن الله أراد أن يصحح اعتقاد يعقوب ويوضح له ولنا حقيقة علمية لم يتوصل العلم لها إلا حديثاً فأراه حلماً يوجه انتباهه إلى السبب الحقيقي الذي كان وراء ولادة الخرفان المرقطة والمخططة ، نقرأ في تكوين 10:31-13 قول يعقوب لزوجتيه " ..وحدث في وقت توحم الغنم أني رفعت عيني ونظرت في حلم وإذا الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة وقال لي ملاك الله في الحلم يايعقوب فقلت هأنذا فقال ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة لأنني قد رأيت كل ما يصنع بك لابان ، أنا إله بيت إيل حيث مسحت عموداً حيث ندرت لي ندرًا . الآن قم اخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك " .

إنها حقيقة رائعة ومدهشة عندما نرى الله يصحح فكرة خاطئة لأحد رجاله ودون أن يوضح له السبب إنما لم يتركه في ضلاله ، لقد جعل الله له فحولاً مرقطة تصعد على الإناث لتلد له غنماً مرقطة ، ولم يكن للقضبان أدنى تأثير على هذه الصفات الوراثية لعلمه تعالى بأن الوراثة حتى للألوان هي من الأب والأم وليس من أي تأثير خارجي .

ونلفت انتباه القارئ أن هذا النص قد دون حوالي 1700 سنة قبل الميلاد ليعلن لنا بفضل الوحي الإلهي الأعتقادات الخاطئة عن خصائص الوراثة ويعطينا اعتقاداً بديلاً يؤيده العلم الحديث كل التأييد دون أدنى خطأ أو التباس . فالمجد وكل المجد لله تعالى الذي يرينا عجائبه في آياته وفي خلقه.

الموضوع الثالثون : اختلاف البصمات

ظل علماء القرآن يسرحون بخيالاتهم ، حتى أرادوا أن يدخلوا فيه كل صغيرة وكبيرة مما توصل إليه العلم ، وحملوا القرآن ما لا طاقة له على حمله ، وفي هذا الإطار أراهم يقولون أنه تنبه إلى اختلاف بصمات الإنسان ، قلت أين ؟ قالوا في سورة القيامة !! قلت سبحان الله .

فماذا تقول الآية التي يعولون عليها؟ وبماذا يشرحها المفسرون؟ ثم ماذا يقول عنها هواة الإعجاز؟

هذه الأسئلة تجاوب عنها السطور الآتية :

- تقول الآيات الخمس الأولى من سورة القيامة : " لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ، أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه " .
- علق الأستاذ طيارة عنها بقوله : " أیظن الإنسان أننا لن نجمع عظامه بل نحن قادرون على أن نرتب أصابعه يوم القيامة ونرجعها إلى ماكانت عليه في الدنيا ، هنا المعجزة وبيت القصيد ، فلماذا اختار الله سبحانه بنان الإنسان ، ولم يختار عضواً آخر من أعضاء الجسم الكثيرة ؟ والسبب أن أعضاء الجسم كالعين والأنف والأذن وغيرها تتشابه بين إنسان وآخر ، ولكن الأصابع لها ميزات خاصة فهي لا تتشابه ولا تتقارب ، وهذه المميزات لم تعرف لأول مرة إلا في القرن الماضي ، أي بعد نزول القرآن باثني عشر قرناً ونصف القرن تقريباً " (روح الدين الإسلامي ص64) .

- وقال سعيد بن جبیر والعوفي عن ابن عباس في تفسيره للشطر القائل (قادرين على أن نسوي بنانه): "أن نجعله خفاً أو حافراً " (ابن كثير - سورة القيامة) .
- وقال ابن كثير : " أي أیظن الإنسان أننا لا نجمع عظامه ؟ بل سنجمعها (قادرين على أن نسوي بنانه) أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان عليه فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية " (ابن كثير - سورة القيامة) .
- ويقول الأستاذ محمد علي الصابوني : " أي بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نعید أطراف أصابعه التي هي أصغر أعضائه وأدقها أجزاء وألطفها التمام فكيف بكبار العظام ؟ " (صفوة التفاسير - سورة القيامة) .

ملاحظات

1 - بنانه : من البنان : وهي أطراف الأصابع أو الأصابع نفسها (جمع بنانة) (صفوة التفاسير - سورة القيامة) .
لماذا ذكرت هذا الشرح؟ لأنبه القارئ إلى كون القرآن لم يذكر لا بصمات ولا جلد ولا أي شيء آخر غير العظام التي تتكون منها أطراف الأصابع والأصابع نفسها .
ربما يقول قائل كلا إن الآية تطرقت إلى الأصابع معمة . لكن كي نتفادى مثل هذه الاعتراضات نأتي إلى سبب كتابة هذه الآيات بالضبط من سورة القيامة مما قاله علماءهم في أسباب النزول : قالوا : " نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة جاء إلى محمد فقال يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون ؟ وكيف يكون أمره؟ فأخبره محمد ، فقال(عدي) : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن بك ، كيف يجمع الله العظام ؟ فنزلت الآية " (صفوة التفاسير - سورة القيامة أو تفسير الخازن 4\182) إذن أين ذكر البصمات واختلافها؟؟ إن السائل أتى ليستنكر يوم البعث وكان تعجبه ملخصاً في السؤال الآتي ، كيف يجمع الله العظام؟ وبالتالي لزم على محمد أن يجيب على تساؤله والجواب جاء في سورة القيامة ، إذن فالأمر يتعلق بالعظام لاغير.

2- معنى نسوي : قال ابن عباس كما رأينا " نجعلها خفاً أو حافراً " أي قادرين على جعل الإنسان يوم بعثه قصير الأصابع مثل الحافر (كحافر الحمار) . وأنا ابن عباس حبر الأمة أكثر الناس دراية بالقرآن بعد محمد لأنه كان من المعاصرين له آنذاك ونال إعجاب محمد بتفسيره للقرآن ، فإذا تبيننا قوله نجد الآية بعيدة كل البعد عما نسبوه لها من إعجاز.

3- لماذا اختار الأصابع؟ أولاً لأنها تلائم السجع القرآني ، فالكلمات المتواليّة (القيامة ، اللوامة ، عظامه ، بنانه) متناسقة في السجع ، ولو قال أذنه أو أنفه أو رجله مكان بنانه لما حصلنا على تلك الرنة في اللحن والتي هي لب القرآن بحيث إذا ذهبت الرنة ذهب القرآن !! ثانياً لأنه كان بصدد الحديث عن العظام حيث قال " أحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه " ثم أردفها بقوله " بلى قادرين على أن نسوي بنانه " أي أصغر العظام (كأطراف الأصابع) يستطيع الله جمعها ، ولم يعط صنفاً آخر من العظام لأن أطراف الأصابع كان الجميع يعتقد أنّها أصغر العظام .

إذن نستنتج أن الآية المذكورة كدليل على علم القرآن السابق للمعطيات العلمية هي بريئة تماماً مما نسبوه لها من الإعجاز بل إنها مجرد آية بسيطة تحمل كلاماً عادياً يمكن لأي بشر أن يقوله وأن يميزه بمجرد الملاحظة ، لأننا كلنا نعلم أن الله قادر على جمع حتى أصغر العظام عندما يقيمنا من الموت .

الموضوع الواحد والثلاثين: الإحساس بالألم هو في الجلد

يقول الإعجازيون أن القرآن أخبرنا قبل ألف وأربعمئة سنة بأن الإحساس بالألم هو في الجلد فقط لأنه قال أن جلود الكفار سوف تبدل بجلود أخرى بعد أن تحترق وهذا أعجاز علمي يدل على "صدق القرآن" كما يدعى الإعجازيون ولكن لنا الحق في مناقشة هذا الإدعاء من جميع جوانبه .

ملاحظات

أولاً ماذا يقول العلم الحديث؟ هل فعلاً الجلد نفسه مصدر الإحساس بالألم؟
الجواب:الجلد نفسه ليس مصدر الإحساس بالألم ولكن هناك جهاز عصبي وخلايا عصبية مزروعة ومنتشرة في الجلد وهي المسؤولة عن الإحساس بالألم والجلد نفسه لا يشعر بالألم. وقد اكتشف الصينيون ذلك السر! وهو أنه ليس كل الجلد يحس بالألم بل هناك أجزاء معينة ومنتشرة في الجلد هي المسؤولة عن الإحساس بالألم (وهذه هي فكرة الإبر الصينية حيث تغرس الإبر في الأماكن التي ليس به خلايا الجهاز العصبي وبالتالي لا يشعر المريض بالألم) ولو كان هناك إعجاز علمي لاستحقة الصينيون بجدارة. ولنترك الصينيون جانباً ولنعود إلى الجزيرة حيث كان يعيش محمد .

العرب كانوا يعرفون دواء جبار وحاسم في العلاج .. ألا وهو الكوي بالنار حيث يقومون بحرق الجلد حتى يفقد الإحساس بالألم ... واكتشاف أن إحراق الجلد يؤدي إلى فقدان الإحساس بالألم ليس جديداً على العرب (كما أن العرب كانوا يوشمون انعامهم بالنار حتى يميزونها عن أنعام غيرهم فلا بد أنهم سيلاحظوا أن إحراق الجلد يؤدي إلى فقدان الإحساس بالألم) كما أن محمد نفسه كان يتكوى بالنار و بالتاكيد فهو كان يعرف أن كوى الجلد يؤدي إلى فقدان الإحساس بالألم ولو كان هناك حكمة من تغيير الجلد "في جهنم" حتى يستمر العذاب لكان من الأفضل حرق الجهاز العصبي بدلاً من الجلد نفسه أو خلق جهاز عصبي مقاوم للتلف بحيث يبقوا معذبين الى الأبد.ولو قال محمد أن "هناك جهاز عصبي مسؤول عن الألم وهذا الجهاز العصبي يتكون من خلايا عصبية منتشرة في الجلد" لقلنا ربما هناك إعجاز وأما ما قاله فليس بجديد ولا يستحق ان يسميه الإسلاميون إعجازاً ولكن للأسف ما أسهل أن يضحك على العوام إذا كانوا يجهلون أبسط العلوم .. ومع ذلك فلنترك كل ما هو مكتوب في الأعلى ولنسأل هل جاء محمد بجديد ؟

دعونا نقرأ ما قيل في عصر محمد عن الجلد

يقول ابن كثير في تفسيره :.. عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : تَلَا رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ هَذِهِ الْآيَةَ " كُلَّمَا نُضِجَتْ جُلُودُهُمْ ... " الْآيَةَ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ : أَعِدْهَا عَلَيَّ وَتَمَّ كَعْبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا عِنْدِي تَفْسِيرٌ هَذِهِ الْآيَةَ قَرَأْتَهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَالَ فَقَالَ : هَاتِيهَا يَا كَعْبُ فَإِنِ جِئْتِ بِهَا كَمَا سَمِعْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقْنَاكَ وَإِلَّا لَمْ نُنْظَرْ إِلَيْهَا فَقَالَ : إِنِّي قَرَأْتُهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ كُلَّمَا نُضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرِينَ وَمِائَةَ مَرَّةٍ . فَقَالَ عُمَرُ : هَكَذَا سَمِعْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ : مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ؟! أَنْ جِلْدَ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَسِتَّةَ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَطْنَهُ لَوْ وُضِعَ فِيهِ جَبَلٌ لَوَسِعَهُ فَإِذَا أَكَلَتِ النَّارُ جُلُودَهُمْ بَدَلُوا جُلُودًا غَيْرَهَا .إنتهى

إذ كان مكتوب في الكتاب الاول أن الجلود تبدل بغيرها فهل جاء محمد بجديد أم ان هذه الاشياء كانت معروفة عن العرب حتى قبل الإسلام ؟ .

الموضوع الثانى والثلاثين: وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ

يقول الاعجازيون ان هناك اعجازا علميا في اية: **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** (العنكبوت:41)

ملاحظات:

هل تعلم ان العلماء صنعوا خيطا من الحديد الصلب في مثل سمك خيط بيت العنكبوت ، وجربوه في شئون الهندسة بما يسمى (قوة تحمل الشد) فوجدوا انه ليس هناك مقارنة بين قوة خيط بيت العنكبوت وخيط الحديد الصلب (بنفس السماكة) بل على العكس، وجدوا ان خيط بيت العنكبوت يتحمل قوة الشد اضعاف المرات ما يتحملة خيط الحديد الصلب بمعنى ان خيط الحديد الصلب انقطع في مراحل مبكرة قبل خيط العنكبوت (في هذا الاختبار العلمي . اين الان الاعجاز العلمي ، وقد اثبت العلم ان بيت العنكبوت اقوى من بيت الحديد الصلب؟؟

- نجحت شركة كندية في استنساخ الطبيعة من خلال إنتاج خيوط العنكبوت الحريرية، وهي مادة تبلغ قوتها ومتانتها خمسة أضعاف متانة وقوة الفولاذ، إذا ما قورنت وزنا بوزن. ويقول رئيس شركة نكسيا للتكنولوجيا الحيوية الدكتور جفري تيرنر، في تصريح لـ بي بي سي أونلاين، إن المادة المنتجة لها ملمس الحرير الذي تنتجه دودة القز، ولها مرونة وقوة مذهلة. يشار إلى أن العناكب تنتج خيوطها الحريرية بشكل طبيعي من بروتين ممزوج بالماء تخرجها من فتحة صغيرة جدا من أبدانها لتشرع في نسجها كما هو حال الخيط العادي. وقد استنتج علماء الشركة الكندية مورثات العنكبوت في خلايا حيوان ثديي بهدف الحصول على نسختهم الخاصة بخيط العنكبوت، حتى أصبحت الشركة تمتلك ماعزا معدلا وراثيا ينتج البروتين نفسه في حليبها.

اهتمام عسكري

يعرف عن خيط العنكبوت أن له مواصفات ممتازة في تصنيع مواد مهمة مثل الدروع التي تحمي الأجسام، والخيوط الجراحية، وحتى خيوط شباك صيد السمك وخيط الصنارة. لكن المشكلة التي تواجه القطاع الصناعي تتمثل في إيجاد طريقة لإنتاج هذه المادة بكميات صناعية مجدية.

وقد سبق للجيش الأمريكي أن أعرب عن اهتمامه بالموضوع منذ الستينيات، بعد أن تعرض آلاف الجنود الأمريكيين إلى الموت بفعل الطلقات النارية ذات الفعالية النافذة القادرة على تحقيق اختراق شديد في الجسم، والتي تعرف في بعض الجيوش العربية بالرصاص الحارق الخارق.

ولم يكن بالإمكان حماية جسد الجندي منها إلا بارتداء دروع ثقيلة الوزن معيقة للحركة، وقد وجد الجيش الأمريكي أن خيوط العنكبوت هي المادة المثالية لانتاج درع واق خفيف الوزن وفعال جدا.

اخفاقات سابقة

وقد تحقق هذا النجاح في مشروع خيوط العنكبوت بتعاون الشركة مع الجيش الأمريكي ودائرة الدفاع الوطني الكندية.

يذكر أن العلماء حاولوا منذ أعوام عدة جمع مورثات، أو جينات، العنكبوت مع مكونات حيوية مناسبة لحفزها على إنتاج تلك الخيوط الثمينة.

لكن الدكتور تيرنر يقول إن الشركات عجزت عن تحقيق أي نجاحات تذكر بعد مزج المورثات بالخمائر تارة والبكتيريا تارة أخرى، وانتهت إلى إنتاج خيوط لا يمكن نسجها وليست قوية بما فيه الكفاية.

لكن العلماء في شركة نكسيا تمكنوا أخيرا، وبمساعدة خلايا مختبرية مأخوذة من أبقار وفئران، من إنتاج الخيوط المطلوبة، وهو ما علق عليه الدكتور تيرنر بالقول إن التجربة أثبتت أن بالإمكان تقليد الطبيعة وإنتاج مواد مصنعة بيولوجيا.

ويقول الدكتور تيرنر إن الناس بدعوا يتساءلون عن إمكانية إنتاج المادة البروتينية تماما كما يتم مع دودة القز لإنتاج الحرير "لكن المشكلة هي أن العناكب من الحشرات التي يصعب السيطرة عليها وأقلمتها على الاستزراع، وهي حشرات فردية وعدوانية".

ويضيف هذا الاخصائي أنه "عندما تضع عشرة آلاف منها في حجرة واحدة، ستجد بعد فترة أن واحدا قبيحا قويا منها هو الذي يبقى ويموت الكل من شدة المنافسة والصراع فيما بينها".

الموضوع الثالث والثلاثين : نزول الحديد من الفضاء الخارجي

فيما يلي قول احد الاعجازيين :

قال أشهر علماء العالم في مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم .. الدكتور استروخ وهو من أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء .. قال : لقد أجرينا أبحاثا كثيرة على معادن الأرض وأبحاثا معملية .. ولكن المعدن الوحيد الذي يحير العلماء هو الحديد .. قدرات الحديد لها تكوين مميز .. إن الالكترونات والنيوترونات في ذرة الحديد لكي تتحد فهي محتاجة إلى طاقة هائلة تبلغ أربع مرات مجموع الطاقة الموجودة في مجموعتنا الشمسية .. ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكون على الأرض .. ولا بد أنه عنصر غريب وقد إلى الأرض ولم يتكون فيها قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) سورة الحديد : 25

المصدر " الأدلة المادية على وجود الله " لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.
يتصور المسلمون بأن قرآنهم يحوي معجزات علمية حديثة. وهم في محاولتهم تلك يلوون عنق اللغة العربية ويجعلون القرآن ينطق بما لم يخطر على بال كاتبه.

في مثالنا هذا حول المعجزة المزعومة في القرآن بأن الحديد أتى الينا من الفضاء الخارجي نجد المحاولة الخائبة من المسلمين مفضوحة تماما بلا ستر أو أستتار، لأن القرآن نفسه ينقضها نقضاً واضحاً.

تقول سورة الحديد: 25 " وأنزلنا الحديد". ويحاول مسلمي هذا العصر أن يقولوا لنا بأن مقصد القرآن بأن الحديد أنزل من السماء ولم يتكون على الأرض والدليل قول القرآن " أنزلنا".

حسناً، أنا مستعد للتسليم بأن الحديد نزل من السماء، بل حتى من الفضاء الخارجي. وهو ما يطابق بصورة مذهلة البحوث العلمية المعاصرة التي تجعلني أقف بذهول أمام المعجزة الصريحة في القرآن.

كباحث عن الحق أسلم للقرآن بتفوقه العلمي. بل أصل الى الحد الذي أصرح فيه بأنني مستعد للأيمان الكامل والشامل به، لأنه خارق للطبيعة، منزل من أصل كل المعارف، الله الخالق.

ولكني يجب أن أتوقف عند أية مشابهة وأفحصها هي الأخرى. قيل أن أنطق بالشهادتين وأقر للإسلام والقرآن بالمصادقية.

تقول سورة الزمر الآية 6: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج.

يبدو أن الله لم ينزل لنا فقط الحديد من الفضاء الخارجي بل أنزل شئ آخر اسمه الأنعام! ومع أنني متأكد من أغلب المسلمين يعلمون ما هي الأنعام، إلا أنني سأتظاهر بعدم المعرفة وأستشير ثقات التفاسير القرآنية.

يقول ابن كثير في تفسير الآية: وقوله تعالى " وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج" أي وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين.

يقول تفسير الجلالين في تفسير الآية: " وأنزل لكم من الأنعام" الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز "ثمانية أزواج" من كل زوجان ذكر وأنثى.

يقول الطبري في تفسيره للآية: وقوله: { وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} يقول تعالى ذكره: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كما قال جل ثناؤه: {ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين} 6 143، 23131 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال، ثنا عيسى، وحدثني

الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: {من الأنعام ثمانية أزواج} قال: من الإبل والبقر والضأن والمعز. 23132 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: { وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، من كل واحد زوج.

23133 - عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: { وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} يعني من المعز اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين.

أذاً من الواضح لنا تماماً بأن هذه الأنعام ليست الا حيوانات: أبل، بقر، ضأن، معز.

أذا وجب علي الأيمان بأن " أنزلنا الحديد" تعني نزوله من الفضاء الخارجي الى الأرض (مخالفاً كل تفاسير ثقات المفسرين للآية) يجب علي أن أومن بأن الأبل، البقر، الضأن، المعز كلهم قد هبطوا الى أرضنا من الفضاء الخارجي أيضاً. لأن القرآن يقول: وأنزل لكم. تخيل معي بقرة طائرة سابحة في الفضاء تهبط على أرضنا؟! أو إذا قلت بأن معنى " وأنزل لكم من الأنعام"، هو خلق لكم من الأنعام. إذا يجب أن أسلم بأن " أنزلنا الحديد" تعني أيضاً خلقنا الحديد.

وأذا لم تعجبك هذه المقارنة، قارن أنت بنفسك آية الحديد بالأعراف 25 " يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً" لا تقل لي بأن اللباس (وهو الملابس) قد هبطت علينا من السماء أيضاً؟! إذا لم يعجبك كلامي راجع تفاسير القرآن بنفسك.

79

ذكرت مجلة ديسكفري لعام 96 خبر عن إحدى النيازك الذي سقط في صحراء الربع الخالي في الجزيرة العربية وأكتشفت به نسبة من الحديد والعرب كانت تعلم بسقوط النيازك ولم يكن يصعب عليهم الذهاب إلى بقايا أي نيزك بعد سقوطه ويكتشفوا وجود حديد فيه كما أنهم كانوا يبحثون عن الحديد لصناعة أدوات الحرب .. ففيه بأس شديد وقوة..
وأيضا قدماء المصريين كانوا يعلمون بقدم الحديد من السماء ويسمونه معدن السماء .

قدماء المصريين.. أول من عرف معدن الحديد.. وأطلقوا عليه: معدن السماء وكانوا يطلقون عليه اسم بيا أن بيت والتي تعني معدن السماء ذلك لأن المصريين اكتشفوه في صورة نقية في بقايا النيازك التي تخترق الغلاف الجوي, حيث تؤكد الحقائق الثابتة أن كمية النيازك التي تسقط على الأرض وأحجامها كبيرة جدا بما يصل في بعض الأحيان الي نحو ألف طن يوميا, وهي مادة علي صورة غبار كوني دقيق يعرف في المراجع علي أنه غبار نيزكي, وغالبا ما يكون دقيقا بحيث لا يكاد تتم رؤيته بالعين المجردة ويكون متوسط هذه الكمية من الحديد يمثل 28% في صورة نقية تماما أو علي هيئة معادن السليكات وأن ما تستقبله الأرض من الحديد يبلغ يوميا ما بين 28 و 280 طنا يوميا.

الدكتور علي عبدالله بركات عضو جمعية علم النيازك العالمية يؤكد أن هذه النيازك لعبت دورا مهما في ثقافة المصري القديم واعتبرها رسائل من الآلهة لها مدلولات مقدسة فكانوا لا يهتمون الا بحديد النيازك كوسيلة لصناعة استخداماتهم المختلفة. وقد أسهمت النيازك بصورة كبيرة في تطور الفكر العلمي وأسهمت في تطور الفكر العلمي فان تركيبها من ثلاثة أقسام رئيسية ومنها: الحديد والأحجار وكشفت فرضية أن باطن الأرض من نفس تركيبها وأنه يتكون من سبيكة الحديد والنيكل بعد أن كان يسود الاعتقاد بأن الأرض كرة هائلة من صخور الجرانيت من باطنها الي سطحها. وبذلك أسهمت الفكرة الجديدة في اختراع سبيكة الحديد والنيكل الصناعية بعد أن كان النيكل مادة مهمة ودخوله لصناعة هذا المعدن المزدوج غير القابل للصدأ.

من الواضح لنا أن اجدادنا القدماء قد إعتقدوا أن مصدر الحديد "الوحيد" أو على الأقل "المفيد" هو السماء وذلك من حديد النيازك ولكن هل يمنع ذلك وجود حديد في باطن الأرض؟

الموضوع الرابع والثلاثون: فلا أقسم بمواقع النجوم

نشرت جريدة الاهرام الغراء مقالة تحت عنوان " فلا أقسم بمواقع النجوم وانه قسم لو تعلمون عظيم " بتاريخ 16 / 7 / 2001 وعلى الصفحة الثانية عشر لي عدة ملحوظات أولا: العرض العلمي للموضوع رائع ومثير ولكنه ليس اكتشافاً دينياً. إنما اكتشاف علمي أي أن المنهج للأسف لم يستخدم العالم فيه أي نوع من النبوغ العلمي أو الديني أو كلاهما معاً للوصول إلى أي حقائق جديدة. بل استخدم الاكتشافات الفلكية والعلمية التي قام بها علماء وتكنولوجيا العصر للإيحاء للبسطاء وغير المتعلمين وأنصاف المتعلمين ومدعي العلم بأن هذه الاكتشافات موجودة أصلاً في القرآن.

ثانياً : الآية القرآنية الوحيدة التي يستند عليها في بحثه العلمي المسهب هي في سورة الواقعة 75-76 فلا أقسم بمواقع النجوم

وفي معناها الواضح البسيط الخالي من كل محاولات التفسير والتأويل البعيد عن الواقع أن الله لا يقسم بمواقع النجوم (أماكنها) بل يقسم بالقرآن.

ومعروف أن الشمس والقمر والنجوم كانت تمثل مكانة رفيعة لدى عرب الجاهلية حتى أنهم كانوا يعبدونها. وكان الأجدد به أن يقول أن الله أراد للعرب أن يتحولوا من النظر إلى النجوم إلى القرآن وما في هذا التحول من مغزى من التحول من العبادات الوثنية إلى الديانة الجديدة . أما هذه المحاولات الساذجة من إلباس الموضوع الثوب العلمي فهي محاولة غير علمية بالمرّة ثالثاً: امتلات كتابات ما قبل الإسلام وخاصة في الجاهلية بمثل هذا الأسلوب وإذا تجاوزناها إلى كتب الوحي الإلهي في التوراة والإنجيل لوجدنا نفس الأسلوب في الاستشهاد بحركات النجوم وغيرها لوجدنا أن الأمر خالي من أي إعجاز أو سر في القرآن.

رابعاً: مازلت أقول أنه لا غبار على البحث العلمي الجغرافي في علم الفلك ولا غبار على التفسير الديني للقرآن الكريم ولكن الإشكالية تأتي عندما يحاول أستاذنا الجليل إضفاء نوع من الشرعية على رواج بحثه العلمي مع قراءته الدينية والتي هي ليست بحثه هو.. حيث أنه بالطبع استقاها من كتب علماء حقيقيين في الفلك والعلوم الحديثة والتي لا علاقة لها بالدين بالمرّة وقراءته القرآنية التي تشكل أزمة بحق حيث أنه حمل الأمر أكثر مما يحتمل وجعل من أسلوبه التلفيقي التحميلي ما لا طاقة لأحد به . فلا النص القرآني تحدث عن مواقع أصلية وأخرى ظاهرة ولا كل ما جاء في بحثه العلمي . إذن البحث سليم وعلمي وجليل والآيات من الواقع الديني لا غبار عليها ولكن محاولة استنباط حقائق علمية من هذه الآية باطل وغير شرعي وليس له أي سند أو دليل. وأنا أنصحه وأنصح غيره ممن اعتادوا على البحث والتقيب في سلة الاكتشافات العلمية الحديثة ومن ثم التقيب في أحد الآيات القرآنية لإيجاد شبهة أو قرينة لها في القرآن ثم الخروج علينا من كهوفهم بالتهليل والصياح وإدعاء اكتشاف المعجزات في القرآن .. أقول له ولهم ولكل أصحاب مثل هذا المنهج عليهم أن يكتشفوا الحقائق العلمية في القرآن والتي دلت عليها منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام حتى إذا توصل العلماء لحقيقة منها أن يقولوا صادقين قد سبقهم إليها القرآن .

وإن كان الحال كذلك فلماذا لم تتعرف أنت وغيرك من علماء الإسلام على هذه الحقائق المذهلة في الطبيعة والفلك و... غيرها من منات السنين؟ ويقوم هؤلاء العلماء بمهمة الخياط الذي يستخدم الآيات في تفصيلها على مقياس الحقيقة العلمية الحديثة التي تم التوصل إليها دون التقيد بالأمانة العلمية أو الموضوعية في الحديث أو ترابط الأمرين معاً .

فهو متحرر من كل أشكال المنطق والموضوعية في سبيل الوصول لمثل هذه النتائج والتي يمكن أن تقبلها الجماهير بحماس على أنها حقائق لأنها تدغدغ مشاعرهم وتثبت موروثاتها وما تريد سماعه.

فالناس في بلادنا يحبون سماع ما يروقهم وليس سماع الحقيقة إن هذا الأسلوب يدل على الفقر الفكري وهو بمثابة شهادة إفلاس ومحاولات رخيصة للتمسح في الاكتشافات العلمية والعلوم الطبيعية بمحاولات واهية لربطها بطرق واهية بمقولات دينية ليس لها بها أي علاقة وليس لها من دليل أو سند. إنما هي محض تخيلات أصحابها ومحاولة لإغراق شعوب هذه المنطقة في المزيد من الجهل والضلال بافتعال مثل هذه التصورات بتحريف الآيات عن مواضعها ومعناها الأصلي والغرض الأساسي التي قيلت فيه . وأفتونا بالآيات إن كنتم صادقين وإن كان لكم من العلم الحديث حقاً ، فأما أن تواكبوا الشعوب المتقدمة في نبوغها العلمي وتضاهوها فيما وصلت إليه وإما تعلنوا لنا عن معاني وحقائق عميقة في القرآن لم يتوصل إليها العلم حتى الآن لتتركوا للحقيقة أن تعلن عن نفسها. أما هذا الأسلوب في التمحل بالاكتشافات العلمية وهذا المنهج الذي يتبعه أمثال هذا الدكتور فهو أشبه باللص الذي يسرق مخترعات الآخرين ويسرع بها ويكتب عليه اسمه ويثبت براءة اختراعه وإن استطاع أن يخدع الكل يستطيع أن يخدع نفسه وإن استطاع خداع نفسه لتورطه في الكذب لفترات طويلة فهل يستطيع خداع ربه ؟

الباب السادس

القرآن والكتاب المقدس فى ضوء التاريخ والعلم

د. وليم كامبل

هل تنبأ القرآن بالعلم الحديث

(مأخوذ باختصار من كتاب الدكتور كامبل السابق ذكره : القرآن و الكتاب المقدس فى ضوء التاريخ و العلم).
لا ينفرد د. موريس بوكاي بالحديث عن العلاقة بين القرآن والعلم ، فإن علماء مسلمين كثيرين قاموا بذلك . فلنبحث أفكارهم ، خصوصا د. بشير تركى ، التونسى ، صاحب الدكتوراه فى العلوم الذرية ، ومؤسس ومحرر مجلة (العلم و الإيمان) ومؤلف كتاب (الإسلام دين العلم) .

1- دورة الماء والبحار:

يقول د. بوكاي (ص 198 - 203) ود. تركى (ص 2) إن القرآن ، سبق وذكر دورة الماء ، فالماء :

(1) يتبخر من البحار والأرض ، و (2) يصبح سحبا تنزل (3) مطرا ، يسبب (4 أ) إنبات الأرض ، و (4 ب) وجود آبار وينابيع سفلى.
وكمثال لنتأمل سورة الأعراف 7 : 57 (وهى من العهد المكى المتأخر) ، وتقول :
(وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلمكم تذكرون) .
كل إنسان (حتى من سكان المدن) يمكن أن يصف خطوات 2 و 3 و 4 أ ، وكل من يتعامل مع الفلاحين أثناء الجفاف يسمعهم يتحدثون عن جفاف الآبار والينابيع ، مما يبرهن معرفتهم بخطوة 4 ب وهى أن المطر مصدر المياه الجوفية.
أما أن البحر هو مصدر السحب المطيرة (خطوة 1) فهو مالا تقدر الملاحظة وحدها أن تدركه.
وهذه الخطوة هى التى لم يورد القرآن لها ذكرا.

ولكن إذا قرأنا العهد القديم وجدنا ثلاث آيات تحوى الخطوة 1
فى سفر أيوب 36 : 26 - 28 (هو ذا الله عظيم ولا نعرفه وعدد سنيه لا يحصى . لأنه (1) يجذب قطرات الماء . تسح (2) مطرا من ضبابها الذى (3) تهطله السحب وتقطره على أناس كثيرين) .

وقد أوردت هذه الآيات كل الخطوات ما عدا 4 ب . وفى سفر هوشع 13 : 15 (قبل الهجرة بنحو 1400 سنة) تتضح خطوة 4 ب (تاتى ریح شرقية . ریح الرب طالعة من القفر فتجف عينه ويبيس ينبوعه) . فالريح الشرقية لا تحمل مطرا ، فتجف الآبار والعيون والينابيع ، ويمتنع الزرع والخير . وهكذا ترى أن العهد القديم ذكر كل الخطوات الأربع ، بما فيها الخطوة الصعبة الإدراك ، وهى الخطوة 1 .

2 - التيارات البحرية :

اقتبس د. بشير تركي من سورة النور آيتي 39 و 40 (وترجع لعام 5 أو 6 هجرية). (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

ويقترح د. تركي أن قول القرآن (بحر لجي يغشاه موج من فوقه) يظهر معرفة سابقة بعلوم البحار، من أمثال تيارات الخليج وتيار اليابان. لو صدق زعم د. تركي في أن هذا إنباء قرآني بالعلم الحديث ، لقلت إن هذه النبوءة جاءت في سفر يونان النبي وفي مزامير داود. فقد تنبأ يونان عام 750 ق م عندما ابتلعه الحوت (فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت وقال: دعوت من ضيقى الرب ، فاستجابني . صرخت من جوف الهاوية ، فسمعت صوتي . لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار. فأحاط بي نهر. جازت فوقى جميع تياراتك ولججك. فقلت : قد طردت من أمام عينيك. ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قدسك. قد اكتنفتني مياه إلى النفس. أحاط بي غمر. التف عشب البحر برأسى. نزلت إلى أسافل الجبال. مغاليق الأرض على إلى الأبد. ثم أصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي) (يونان 2 : 1 - 6).

3 - حاجز بين المياه المالحة والمياه الحلوة:

يقتبس د. بوكاي سورة الرحمان 55 : 19 - 22 (وهى من العهد المكي الأول). (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان ... يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان لايبغيان... يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان). فهو يذكر البرزخ أو الحاجز الذى يفصل بين نوعين من المياه. وقد جاء المعنى نفسه فى سورة الفرقان 25 : 53 (وهى أيضا من العهد المكي المبكر) : (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا).

ونحن نتساءل : أليست هذه الحقيقة ظاهرة طبيعية معروفة لدى كل صياد بسيط يصيد فى نهر عذب يصب مائه فى بحر مالح؟ ... لقد قام محمد برحلات تجارية فى خدمة خديجة، وسافر حتى حلب شمالى دمشق، ولعله فى رحلة من هذه ذهب إلى ساحل سوريا أو لبنان، وسمع من بحار عن عدم امتزاج الماعين الملح والعذب. وهل إذا صدق الإعجاز فى النصف الأول من الآية يصدق أيضا فى النصف الثانى منها ، والذى يقول إن اللؤلؤ و المرجان يخرجان (منهما) (أى العذب والمالح) وهو ما يخالف الحقائق العلمية؟

4

- أمثلة أخرى عن محاولات إثبات الإعجاز العلمي للقرآن

(مأخوذ من كتاب " إسلام ضد الإسلام " للدكتور الصادق النهوم)
يسترشد المؤمنون بالإعجاز العلمي للقرآن بعدة آيات أخرى. دعونا الآن نناقش البعض منها :

فمثلا: قول القرآن على لسان النبي يوسف: (ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) , يفسره أحد (الباحثين) بقوله:
القرآن يحدد أحد عشر كوكبا. ونحن نعرف تسعة كواكب فقط. إذا، فهناك كوكبان لم نكتشفهما بعد. ألا نجد فى هذا حثا على اكتشاف كوكب لم نعرفها بعد؟ وأليس هناك تحديد لما سوف نتوصل إليه لو بحثنا؟.. هل يلاحظ القارئ مدى الاستفادة التى يجنيها العلم والبشرية من الاهتداء بقول القرآن؟]

والواقع أن التوراة أيضا تقول في سفر التكوين على لسان يوسف:
[إني حلمت حلما . وإذا الشمس والقمر و أحد عشر كوكبا ساجدة لى] .
(تكوين 10) . وهى جملة يوردها القرآن بنصها، ولو عاد إليها (الباحث) لوفر على نفسه.
وعلى الجنس البشرى. متاعب البحث عن الكواكب الضائعة. فالرقم يشير إلى أخوة يوسف،
وعددهم أحد عشر ، بناء على قول الإصحاح الثانى والأربعين: [فنزل عشرة من أخوة يوسف
ليشترؤا قمحا من مصر. وأما بنيامين فلم يرسله يعقوب مع أخوته] (تكوين 42 : 3-4) .
ومثلا : قوله تعالى: [هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا] ، يصبح سرا علميا مثيرا
بالنسبة إلى (الباحث الإسلامى) الذى يعلن عن دهشته صارخا: [إن الأمم التى تملك زمام
العلم فى هذا القرن العشرين ، أعدمتم منذ بضع مئات من السنين علماء وفلكيين قالوا بأن نور
القمر هو نور الشمس بعد انعكاسه، وأن ذلك نتيجة أن القمر والأرض و الشمس ما هى إلا
أجرام كروية الشكل لها دوراتها حول نفسها ، ولها دوراتها حول بعضها.. أليس ذلك أمر
محزن].

والمحزن فعلا، أن المرء لايعرف من هم العلماء والفلكيون الذين جرى إعدامهم ، كما يزعم (الباحث) .
فالتاريخ لا يسجل إعدام عالم أو فلكى واحد بسبب ما قاله عن الشمس أو لم يقله.
وإذا كان الباحث يشير إلى كوبرنيق، فقد مات هذا السيد على فراشه، وهو يحتضن أول طبعة
من كتابه عن [حركة الأجرام السماوية] الذى كان قد أهدها للبابا بول الثالث شخصيا. أما
جاليليو فإن أفسى حكم صدر ضده هو (حبسه) فى بيت صديقه أسقف سيانا. والواقع أن
انعكاس ضوء الشمس على القمر لم يكن سرا علميا، بل كان حقيقة شائعة جدا قبل نزول
القرآن بألف سنة على الأقل. فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد، كان أناكساغورس قد أعلن:
[أن القمر ليس جسما وهاجا بل كوكب يستمد نوره من الشمس].

ومثلا: يقول تعالى: (والأرض بعد ذلك دحاهما). وهى آية يتعمد كل (باحث إسلامى) أن
يوردها فى معرض التدليل على أن القرآن قد سبق زمانه بتحديد شكل الأرض شبه الكروي.
فكلمة [دحاها] فى قاموس هؤولاء (الباحثين) تعنى جعلها كالدحية [وهى بيضة النعامة] .
هذا التفسير، ليس له وجه فى اللغة. فكلمة دحاها تعنى فقط بسطها ومدّها. وقد أطلق العرب
اسم [الأدحية] على المكان الذى تبيض فيه النعامة، وليس بيضها. لأن هذا الطائر لا يبنى
عشا، بل [يدحو الأرض برجله، حتى يبسط التراب ويوسعه ثم يبيض فيه]. والدحية بكسر
الدال هو رئيس الجند. والدحية بفتح الدال هى أنثى القرد. ولا أحد يعرف من أين استمد (الباحث الإسلامى)
كلمة الدحية بمعنى البيضة.
أكثر من ذلك ، فإن كروية الأرض فى عصر القرآن، لم تكن نظرية معروفة فحسب ، بل كانت
حقيقة علمية لا جدال فيها، وكان الفلكيون فى أثينا والإسكندرية، قد قاسوا محيطها بفارق قدره
مانتى ميل فقط عن القياس المعتمد الآن.

هل توجد مشاكل علمية فى القرآن؟

(مأخوذ من كتاب " القرآن والكتاب المقدس فى ضوء التاريخ والعلم للدكتور وليم كامبل) .

1 - الجبال

خصص د. بوكاي صفحات 206 - 208 من كتابه ليتحدث عن (تضاريس الأرض) وناقش
الآيات القرآنية التى تحدثت عن الجبال ، وقال: (يصف علماء الجيولوجيا الحديثون تعرجات
الأرض بأنها تثبت الأجزاء البارزة التى تتراوح أبعادها من الكيلومتر إلى عشرة كيلومترات،
ومن ظاهرة التعرج هذه ينتج ثبات القشرة الأرضية). ويقتبس من سورة الأنبياء 21 : 31

(وهى من العهد المكي الوسيط) (وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم) ومن سورة النحل 16 : 15 (من العهد المكي المتأخر) (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) ومن سورة لقمان 31 : 10 (من العهد المكي المتأخر) (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) ومن سورة النبأ 78 : 6 و 7 (من العهد المكي المبكر) (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) ويقول :

(والأوتاد المشار إليها هنا هى تلك التى تستخدم فى تثبيت الخيام فى الأرض) (ص 208).
ويقتبس من سورة الغاشية 88 : 19 و 20
(.. وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت).
وتقول هذه الآيات إن الله أرسى الجبال فى الأرض كأوتاد خيمة ليحفظها من أن تميد (أى تميل وتضطرب).

ويعلق د. دافيد يونج على ما اقتبسناه من د. بوكاى فى مطلع كلامنا هنا بالقول:
(صحيح أن سلاسل جبال كثيرة تكونت من صخور متعرجة ، ولكن ليس صحيحا أن هذه التعرجات تثبت الأجزاء البارزة. بل إن وجود هذه التعرجات دليل على عدم ثبات أديم الأرض).
وهذا يعنى أن الجبال لا تحفظ الأرض من أن تميل ، بل إنها تجعل سطح الأرض يهتز! وتقترح النظريات الجيولوجية الحديثة أن أديم الأرض الصلد مكون من أجزاء أو طبقات تتحرك مع بعضها ببطء ، بسرعة تعادل سرعة نمو الأظافر. وتنفصل الطبقات أحيانا. ويعتقد معظم الجيولوجيين أن هذا يوضح انفصال أمريكا الشمالية والجنوبية عن قارتي أوروبا وأفريقيا. وفى بعض أنحاء الكرة الأرضية تتصادم هذه الطبقات و تنبعج وتتغضن وتنزلق فوق بعضها. وتجد هذا فى الشرق الأوسط حيث كان تحرك شبه الجزيرة العربية نحو إيران سببا فى ظهور سلسلة جبال زاغروس ، وجبال أطلس فى المغرب، وجبال الألب التى تكونت بسبب تحرك الطبقات الأرضية.

2 - سبع سماوات

تحدث القرآن فى بضع آيات عن سبع سماوات. وقد اقتبس د. تركى هذه الآيات وتحدث عنها:
سورة نوح 71 : 15 و 16 (من العهد المكي المبكر) : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا).
سورة الملك 67 : 3 (من العهد المكي الوسيط) : (الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور).
سورة المؤمنون 23 : 17 و 86 (من العهد المكي المتأخر) : (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين.. قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم).
سورة فصلت 41 : 12 (من العهد المكي المتأخر) : (فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها).
سورة الإسراء 17 : 44 (وتعود للسنة الأولى للهجرة) : (تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن).
سورة البقرة 2 : 29 (وتعود للسنة الثانية للهجرة) : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم).
وعندما يقرأ المرء هذه الآيات يرى فيها معناها الرمزي، ولكن د. تركى حاول أن يرى توافقها مع العلوم الفلكية الحديثة، فبدأ بالغلاف الجوى وسمكه نحو 40 كيلو مترا، وقال إنه السماء الأولى. ثم ضاعف هذا عشرة آلاف مرة، وقال إنه السماء الثانية، سماء القمر. ثم ضاعف هذا عشرة آلاف مرة، وقال إنه السماء الثالثة، سماء الشمس. وجعل يضاعف الرقم كل مرة عشرة آلاف مرة، متحدثا عن سماء النجوم الأقرب، ثم (سماء المجرة) (لأنها نحو حجم مجرتنا) ثم (سماء أقرب المجرات) وأخيراً (السماء الكونية).

وقد تبدو تقسيمات د. تركي السبعة صحيحة عدديا، ولكنها غير مقنعة. فتسمية الغلاف الجوي للأرض بالسماء الأولى قد يكون صحيحا، لكن بقية التسميات مجازية لأن الفضاء ممتد ومتشابه ، كما يقول د.تركي نفسه.

فهو يفترض أساسا إمكانية فصل سماء القمر عن سماء الشمس، ويفترض إمكانية فصل الشمس (وهى نجم) عن النجوم القريبة وعن المجرة التي تحتويها، ويفترض تسمية مجرتنا سماء والمجرات الأخرى سماء أخرى. ومضاعفة الرقم عشرة آلاف مرة أمر جزافى أيضا لا برهان علمى عليه، ولا يوحى ب (الأعداد المقدسة) 7 و 19 التي ذكرها د.تركي.

3- تناقض فى زمن أيام الخلق القرآنية

فى القرآن سبع إشارات لخلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، هى سورة الأعراف 54 وسورة يونس 3 وسورة هود 7 وسورة الفرقان 59 وسورة السجدة 4 وسورة ق 38 وسورة الحديد 4 . ونكتفى هنا باقتباس سورة يونس 10 : 3 (من العهد المكي المتأخر) لأنها تحوى كل ما أورده الآيات الأخرى من حقائق: (إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إـ ذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون؟). وهذا كلام واضح، ولكن سورة فصلت 41 : 9 - 12 (من العهد المكي المتأخر) تقول: (قل أنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض انتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقاضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم).

وواضح أن هذه الآيات تقول إن الله خلق الأرض فى يومين، وأقواتها فى أربعة. والمجموع ستة أيام. وبعد أن خلق الجبال والأقوات من نباتات وحيوانات خلق السماوات السبع فى يومين. فيكون المجموع الكلى ثمانية أيام. فإن الأرض تكونت ، وبردت ، ونمت فيها أشجارها وحيواناتها قبل خلق السماوات، وهو ما تقوله أيضا سورة البقرة 2 : 29 (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم). وواضح أن هذه العبارات القرآنية لا تتوافق مع نظريات العلم الحديث فى بدء الكون.

4 - مكان إنتاج المنى

جاء فى سورة النساء 4 : 23 (وترجع إلى عام 5 أو 6 هجرية) (حرمت عليكم (للزواج) .. حلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) (بخلاف أبنائكم بالتبني). هل هذه معرفة سابقة بعلوم الطب الحديث تنبئ عن تدلى خصية الذكر من منطقة الكلى أثناء التطور الجنينى؟ لانستطيع منطقيا أن نرفض هذه الفكرة، ولكنى أتساءل: لماذا يشير الله إلى حقيقة مبهمة كهذه فى آية لاتناقش علم التشريح كبرهان على قوة الله الخالقة!

وهناك آية قرآنية أخرى فى سورة الأعراف 7 : 172 (من العهد المكي المتأخر) تقدم استعارة أخرى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم..) والظهور فى سورة الأعراف، كالأصلاب فى سورة النساء إشارة إلى مكان القوة. ويقول علماء اللغات إن هذين تعبيرين معروفان فى الحضارات القديمة بالشرق الأوسط.

ولنن وجد المسلم فى هذه الآية دليلا على سبق القرآن العلمى، فليعلم أن الفكرة موجودة بالتوراة. قال الله ليعقوب (ملوك سيخرجون من صلبك chalats) (تكوين 35 : 11) ويقول لداود (ابنك الخارج من صلبك chalats هو يبني البيت لاسمى) (1 ملوك 8 : 19).

5- علقه وأطوار أخرى في تكوين الجنين

جاءت كلمة (علقه) (بصيغة المفرد) خمس مرات في القرآن ، وجاءت بصيغة الجمع (علق مرة واحدة، في خمس آيات قرآنية، لتصف مرحلة من مراحل نمو الجنين. ولكن سورة المؤمنون 23 : 12 - 14 تقدم أكثر الآيات معالجة للموضوع (وهي من العهد المكي المتأخر) (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين).

ويعرف كل دارس للأحياء أن لا وجود لمرحلة (العلقه) في تكوين الجنين، وهذا يخلق مشكلة علمية كبرى.

قال الراغب الأصفهاني في كتابه (معجم مفردات ألفاظ القرآن) عن علقه (الدم الجامد، ومنه العلقه التي يتكون منها الولد، وعلقت المرأة حبلت. والعلق التشبث بالشئ).

وكان أول ما أنزل على محمد من القرآن في مكة سورة العلق 96 : 1 و 2 ، وتقول فاتحتها (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق). ويقول د. بوكاي : (علق تشير إلى ما يعلق (ما يتشبث بالشئ). ذلك هو المعنى الأول. وجلطة الدم معنى مشتق من هذا المعنى) (ص 231).

وينتقد د. بوكاي مترجمي القرآن إلى الإنكليزية والفرنسية في ترجمتهم لكلمة (علقه) فيقول: (فأكثر ما يضل الباحث هنا أيضا هو مشكلة المفردات. فالواقع أن ترجمات وتفسيرات بعض الفقرات التي ما زالت منتشرة في عصرنا تعطي لرجال العلم الذين يقرؤونها فكرة مغلوبة تماما عن الآيات الخاصة بهذا الموضوع. على سبيل المثال تقول معظم هذه التفسيرات بتشكيل الإنسان ابتداء من (جلطة دم) أو ابتداء من (التحام). وهذه المقولة لا يقبلها مطلقا العالم المتخصص في هذا الميدان.. مثل هذه الملاحظة تجعلنا نتصور الأهمية الكبرى لاقتران المعارف اللغوية والمعارف العلمية للوصول إلى إدراك معنى المقولات القرآنية عن التناسل) (ص 226 و 227) .

فكيف يريد د. بوكاي أن يترجموا كلمة (علقه) للإنكليزية أو الفرنسية؟.. يريدون أن يترجموها (التحام) أو (ما يعلق) أو (ما يتشبث بالشئ). ويقول (يتحقق استقرار البويضة بالرحم بواسطة امتدادات حقيقية، كما لو كانت بذورا تضرب في الأرض.. وهذه الامتدادات هي التي تجعل البويضة تتعلق بالرحم) (ص 230).

وهذا الكلام ممكن، وهو. ولكن أين ذكر البويضة؟ إن (ما يتشبث بالشئ) لا يتكون من السائل المنوي وحده ، بل من اندماج نواة المنى ونواة البويضة. وبالطبع فإن إغفال ذكر أمر ليس بالضبط ارتكاب خطأ، ولكنه ينتقص من الحقيقة.

وثانيا: إن (ما يتشبث بالشئ) لا يتوقف عن التعلق حتى يصبح (مضغة)، ولكنه يستمر (عالقا) مدة ثمانية أشهر ونصف حتى يولد.

وثالثا: تقول تلك الآيات إن (المضغة) تصبح عظما، ثم يغطيها اللحم (العضلات). وهذا ما يتكرر في سورة البقرة 2 : 259 (وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما). ويتضح من هذا أن الهيكل العظمي يتكون أولا، ثم يكسوه اللحم، والحقيقة أن العظام واللحم يأخذان في التكون في وقت واحد، وفي نهاية الأسبوع الثامن يكون الجنين قادرا على الإتيان ببعض الحركات العضلية، لأن الضلوع تصبح غضروفية، وتتواجد العضلات، ويبدأ تكوين العظام عند أطراف الضلوع وتنتشر في العمود إلى أن تصل إلى أطراف الغضروف في الشهر الرابع. وتكون العضلات قادرة على الحركة ببداية الأسبوع الثامن، ولي أنها منذ الأسبوع العاشر إلى الثاني عشر تتطور وتنمو.

فلو قلنا إن العلقة تصبح مضغة في الأسبوع الرابع، فإن العضلات تكون موجودة مع العظام، ولا تكسو عظما كانت موجودة من قبل، كما يقول القرآن. وتبقى المشكلة بغير حل.

حديثان يذكران العلقة

الحديث الأول: عن أنس بن مالك أن جبريل أتى رسول الله وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني مرضعته حليلة) فقالوا: إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره (السيرة الحلبية 1 : 231). ويظهر من هذا الحديث استعمال مبكر لكلمة (علقة) استخدمت لتعني كتلة دم سوداء، ولكنها لا تثبت المعاني المقترحة من د. تركي ولا د. بوكاي.

أما الحديث الثاني فعن زيد بن وهب، قال عبد الله: حدثنا رسول الله، وهو الصادق المصدوق، قال (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفه، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ووزقه وأجله وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح. فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما تكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة) (البخاري، كتاب بدء الخلق ج 4 ص 135 دار الشعب بالقاهرة - ومشكاة المصابيح حديث رقم 82 - متفق عليه).

هذا الحديث عن محمد، وقد رواه البخاري ومسلم، وأخطأه واضحة في القول إن المنى يبقى 40 يوما، ثم العلقة 40 يوما (ومجموعهما 80 يوما). ثم المضغة 40 يوما (ومجموعهم 120 يوما). وقد أثبت العلم الحديث أن الجرثومة المنوية تبقى حية لمدة أقل من أسبوع داخل المرأة، وأن في مدة 70 يوما تكون أعضاء الجنين قد نمت وتطورت، ماعدا المخ والعظام. ولكن هذا الحديث يقول إن الجنين لا يصير مضغة إلا بعد 80 يوما، وهو خطأ علمي. ويذكر د. بوكاي هذا الحديث ويقول (وصف تطور الجنين في هذا الحديث لا يتفق مع المعلومات العلمية الحديثة) (ص 281).

نترك هنا كتاب الدكتور كامبل لكي نقتبس ما كتبه الدكتور الصادق النيهوم في كتابه "إسلام ضد الإسلام" بخصوص نفس الموضوع:

"أكثر من هذا، أن الاعتقاد بأن معرفة أطوار الجنين كشف علمي صاعق يستحيل صدوره عن معارف القرن الميلادي السابع، لأن أحدا في الأرض

بأسرها، لم يكن يعلم شيئا عن مراحل تطور الجنين، هو زعم خاطئ جملة وتفصيلا. لأن علم الأجنة كان قد تطور إلى درجة عالية على يد خبراء التحنيط في مصر القديمة، فيما نشر أبيقور دراسات متخصصة في هذا الموضوع بالذات منها كتابان، أحدهما بعنوان "طفل السبعة أشهر"، والآخر بعنوان "طفل التسعة أشهر" بالإضافة إلى مرشد للجراحين، عن "تفكيك الجنين في الرحم". وقد شاعت هذه الأعمال بين أطباء الشرق الأوسط، منذ احتلال الإغريق للمنطقة خلال القرن الرابع قبل الميلاد. وكانت مكتبة الإسكندرية، التي ضمت نصف مليون مجلد، تحتوي على فرع خاص بعلم الأجنة وأمراض الحمل والولادة. والواقع أن النص القرآني لا يورد أية معلومات جديدة، بل يردد المعلومات المتوافرة في عصره، ومنها أن الجنين يوجد كاملا في نطفة الرجل. وهي نظرية وردت في سفر أيوب على النحو التالي:

" ألم تصبنى كاللبن وخرتني كألجين ، كسوتني جلدا ولحما ففسجتني بعظام وعصب " .
(أيوب : 10 : 12)

نعود الآن لكتاب الدكتور كامبل .

الوراثة، والصفات المكتسبة:

(أ) علم الوراثة ولبن الأم:

يبدو أن القرآن يحوى أحد الأفكار القديمة، ففي سورة النساء 4 : 23 (وتعود إلى عام 5 أو 6 هجرية) نقرأ قائمة بالنساء التي يحرم على الرجل الزواج بهن، ومنهن (حرمت عليكم... أمهاتكم اللاتي أرضعنكم... وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) بخلاف زوجات الأبناء بالتبني المسموح بالزواج منهن في سورة الأحزاب (37).

ويؤكد د. بوكاي حقيقة علمية هي أن ما نرثه من صفات تحكمه الجينات فقط التي يأخذها من أبائنا وأمهاتنا. ولا تصلنا أية صفة وراثية من الرضاعة أو من المرضعات. ولا علاقة مطلقا بين ولد رضع من مرضعة والابنة الجسدية لتلك المرضعة، وعليه فلا يوجد سبب علمي يمنع زواج الولد الذي رضع من مرضعة أن يتزوج بابنة مرضعته.

يمكن أن يقال إن في هذا المنع تكريم للمرضعة، ولكن لم يكن هذا هو السبب الذي جعل القرآن يحرم هذا الزواج، فالسبب الواضح أن الرضاعة تجعل الذي رضع قريبا للمرضعة. جاء في البخاري (كتاب النكاح، ج 7 ص 12) أن النبي قال لعائشة (الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة) ولكنها تسمح بزيارة الأخت في الرضاعة وهي غير محجبة. والله الحرية في التشريع، ولكن هذا لا يتوافق مع معرفتنا العلمية في الوراثة!

مشاكل أخرى:

ويمكن أن نتحدث عن مشاكل أخرى جاءت في سورة النحل 16 : 66 (من العهد المكي المتأخر) حيث نقرأ (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين). فهل يجئ اللبن من بين الفرث والدم؟

وتأمل سورة الأنعام 6 : 38 (وهي من العهد المكي المتأخر) (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم..). فما معنى (أمم أمثالكم)؟ يقول د. بوكاي إن المقصود هو النحل، ولاشك أن النحل أمة، ولكن ماذا عن العنكبوت الذي تاكل أنثاه الذكر بعد التلقيح، فهل هذه أمة مثلى ومثلك؟

المسلمون في المنطقة القطبية الشمالية، وصلاة رجال الفضاء:

المشكلة الأخيرة التي أذكرها هي الحقائق التي أغفلها القرآن، مع أنه يقول إن فيه الهدى والنور للعالمين، ولكن لا يوجد إنسان في المنطقة القطبية الشمالية يمكن أن يكون مسلما! وقد يعترضني معترض بأن كل من يشهد الشهادتين يصبح مسلما، ولكني أجيبه إنه إلى جوار هذا يجب أن يصوم رمضان. والمسلم المقيم في المنطقة القطبية الشمالية سيموت جوعا لو جاء رمضان صيفا، لأن الشمس لا تغرب أبدا. فسيظل ينتظر غروب الشمس ليفطر فيموت قبل أن تغرب! وسيقول المعترض: إذا فليصم ويفطر بحسب التوقيت في مكة أو استكهولم. ومع أن هذا منطقي إلا أن معظم المسلمين سيعترضون عليه لأنه فكر غير أصولي. ولازال المسلمون يعتمدون على رؤية الهلال بالعين المجردة لبدء شهر الصوم أو نهايته. ومع أن الحساب الفلكي لظهور القمر صحيح تماما، إلا أن القرآن يقول (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (سورة البقرة 2: 185).

وهناك مشكلة حديثة، فإن أحد رواد الفضاء السعوديين طار بارتفاع 200 كيلو مترا، بسرعة 29 ألف كيلو متر في الساعة، وكان يدور حول الأرض مرة كل 90 دقيقة. فكيف يؤدي صلواته

اليومية الخمس والشمس تشرق وتغرب عليه 18 مرة كل 24 ساعة؟ وكيف يجعل مكة قبلته ،
والقبة تتغير كل ثانية؟!

الباب السابع

مشاكل علمية اخرى فى القرآن

من كتاب: هل القرآن معصوم؟ لعبدالله عبد الفادى

1 - مغيب الشمس في بئر
جاء في سورة الكهف : 18 : 83 - 86 ,, ويسألونك عن ذي القرنين قال : سأتلو عليكم منه
ذكرا إنا مكننا له في الأرض وأتيناه من كل شئ سبيبا فأتبع سبيبا حتى إذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما ،، .
إذا كانت الشمس أكبر من الأرض مليوناً وثلاثين ألف مرة ، فكيف تغرب في بئر رآها ذو
القرنين ورأى ماءها وطينها ورأى الناس الذين عندها ؟؟

2 - الأرض ثابتة لا تتحرك
جاء في سورة لقمان 31 : 10 ,, خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض
رواسي أن تميد بكم ،، .
وجاء في سورة الرعد 13 : 3 ,, وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي ،، . وجاء في سورة
الحجر 15 : 19 ,, والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ،، .
وجاء في سورة النحل ,, وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون
،، . وجاء في سورة الأنبياء 21 : 31 ,, وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها
فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ،، .
إذا كان واضحاً أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة وينشأ عن تلك
الحركة الليل والنهار . وتدور حول الشمس مرة كل سنة ، وينشأ عن ذلك الدوران الفصول
الأربعة . فكيف تكون الأرض ممدودة مبسوفة ثابتة لا تتحرك ، وأن الجبال تمنعها عن أن تميد
؟

3 - النجوم رجوم للشياطين
جاء في سورة الملك 67 : 5 ,, ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين اعتدنا لهم عذاب السعير ،، .
إذا كان كل كوكب هو عالم ضخم ، والكواكب هي ملايين العوالم الضخمة تسبح علي أبعاد
شاسعة في فضاء لا نهائي ، فكيف نتصور الكواكب كالحجارة يمسك بها ملاك في حجم الإنسان
ليضرب بها الشيطان منعا له من استماع أصوات سكان السماء؟ هل كل هذه الأجرام السماوية
خلقت لتكون ذخيرة أو عتادا حربيا كالحجارة لرجم الشيطان حتى اشتهر اسمه بالشيطان
الرجيم؟! وكيف يطرح الملائكة الكواكب؟ وكيف يحفظ توازن الكون إذا سارت في غير فلكها؟

4 - السموات السبع والأرضي السبع
جاء في سورة الطلاق 65 : 12 ,, الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ،، .
وجاء في سورة البقرة 2 : 29 ,, هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء

فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم،، وجاء في سورة فصلت 41 : 12 ،، فقضا هن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ،، وجاء في سورة الأنبياء 21 : 32 ،، وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ،، وجاء في سورة الحج 22 : 65 " ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم". وجاء في سورة ق 50 : 6 ،، أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ،، كيف يقول عن الفضاء المتسامي سمو لا متناهي فوقنا إنه سقف أملس قابل للسقوط ، وإنه يوجد سبعة سقوف من هذا النوع؟ وإن ملايين الكواكب التي تسبح في الفضاء غير المحدود مصابيح مركزة في هذا السقف الموهوم؟ وكيف يقول إن أرضنا ، وهي واحدة من ملايين الكواكب والسيارات والأقمار والشموس يوجد سبعة مثلها؟

5 - جريان الشمس

جاء في سورة يس 36 : 38 ،، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ،،... الشمس ثابتة تدور حول نفسها ولا تنتقل من مكانها ، والأرض هي التي تدور حولها . فكيف يقول القرآن إن الشمس تجري ، وإن لها مستقرا تسير إليه ؟ وأما القول بوجود قراءة في القرآن أن الشمس تجري ولا مستقر لها ، فيدل علي اختلاف قراءات القرآن اختلافا يغير المعنى ، مما يطعن في سلامة القرآن وصحته .

6 - العجل الذهبي من صنع السامري!!

جاء في سورة طه 20 : 85 - 88 ،، قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلي قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعد لكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم مواعيدي قالوا ما أخلفنا مواعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم ففقدناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ،، السامرة مدينة في فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر وسافروا في سينا ، فعمل لهم هارون العجل الذهبي كطلبهم . فكيف نتخيل سامريا يصنع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود ؟

7 - روح الإنسان في الحيوان!

جاء في سورة الأعراف 7 : 166 ،، فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ،، هل من المعقول أن نقابل إنسانا مسخ قردا أو خنزيرا ؟ ألا تعلمنا الطبيعة أن كل شئ يبذر بذرا كجنسه؟ أليس من يقول إن القمح صار شعيرا وإن العنب صار تينا كمن يقول إن الإنسان صار قردا أو خنزيرا؟

8 - ميت يتوكأ على عصا مدة سنة !

جاء في سورة سبأ 34 : 14 ،، فلما قضينا عليه (سليمان) الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته (العصا) فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ،،

كيف يموت سليمان الملك ويستمر سنة دون أن يعلم به أحد ؟ أين نساؤه ؟ وأين أولاده ؟ وأين حاشيته؟ وأين شعبه ؟ ألا يوجد أحد من كل هؤلاء يسأل عنه ؟ وهل يتصورونه قائما يصلي علي عصاه سنة كاملة بدون نوم ولا أكل ولا شرب ولا استحمام ؟ وكيف لما مات ملكنا علي العصا لم يسقط ؟ ألم يتحلل جسده ويصبه النتن والتعفن . ولما أكلت الأرضة جزءا من العصا

ألم يختل توازنه ويسقط ؟ أليس تأكل العصا في يوم يكفي لسقوط جسد الميت كتأكلها ألي آخرها لمدة سنة ؟ وإذا كان سليمان قد بني علي نفسه صرحا من قوارير ليعمي عين الإنس والجن عن موته ، فلماذا لم يعلم مقدما الدور الذي ستلعبه الأرضة ؟

9 - الطير تحارب بالحجارة!

جاء في سورة الفيل 105 : 1 - 5 ,, ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل وترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ,, . قال البيضاوي : ,, روي أن واقعة الفيل وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله (صلعم) . وقصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك علي اليمن من قبل أصحاب النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج إليها . فخرج رجل من كنانة ففقد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدم الكعبة . فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيله أخري . فلما تهيأ للدخول وعبا جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه إلي الحرم برك ولم يبرح . وإذا وجهوه إلي اليمن أو إلي جهة أخري هرول . فأرسل الله تعالي طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حبران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره ! فهلكوا جميعا .

ونحن نسأل : كيف أثر الفيل أن يعاون الوثنيين ويهرب من معاونة المسيحيين ، فكما وجهوه لكعبة الأوثان رفض السير وكما وجهوه إلي اليمن هرول ؟ وكيف أدركت الطير ذلك فاشتركت في الحرب مع الوثنيين ضد المسيحيين ؟ وكيف تفاهمت جماعات الطير وعرفت مكان الموقعة وأحضرت الحجارة وملأت أفواهاها وأرجلها ورمت بها جيش المسيحيين دون الوثنيين ؟ وكيف انحاز الرب للفيل وللطير ولأصحاب الكعبة الوثنيين ضد المسيحيين ؟ وكيف ينزل الحجر الذي هو أصغر من الحمصة من فم الطير إلي رأس الرجل فيحترق رأسه وعنقه وصدرة وبطنه ويخرج من دبره؟

10 - نومه ثلاثمائة وتسع سنين !

جاء في سورة الكهف 18 : 9 - 26 ,, أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا إذا أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلي الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وتري الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلي المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعركم بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مرآة ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب

من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا،، كيف يتسنى لسبعة غلمان وكلبهم أن يعيشوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين بدون أكل ولا شرب ولا مشي ولا تبول ولا تبرز ، تحسبهم أيقاظا وهم رقود ، يتقلبون ذات الشمال وذات اليمين وكلبهم باسط ذراعية بفناء المغارة ؟ وما هو الدرس المستفاد من هذه القصة لنا اليوم؟!

مزيد من المشاكل العلمية في القرآن

علم الفلك

1. (ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا باذنه) الحج 65.
ونفهم من السماء هنا كافة الأجرام السماوية وليس البعض منها فقط.. ولو كانت الآية جاءت بكلمة القمر مثلا بدلا من السماء لكانت متوافقة مع علم الفلك .. ويقدر علم الفلك الأجرام السماوية ب2000 بليون بليون منها نجوم اكبر حجما من الشمس بالالف الأضعاف.. وذلك بالإضافة إلى بلايين البلايين من الأجرام الأخرى التابعة للنجوم .. ومجموع حجم هذه النجوم لا يمكن لعقل بشرى ان يتخيله ... فكيف يكون هناك مجرد احتمال ان تقع هذه الأجسام المتناهية الضخامة على سطح الأرض؟؟؟ وتقول الآية(الا باذن الله) أي انه يمكن ان تقع فعلا على الأرض الا ان الله يمسكها ان تقع ..
لكن طبقا لعلم الفلك هناك استحالة مطلقة في إمكانية ان تقع هذه الأجسام على الأرض .. وتصديق وقوعها على الأرض هو ضربا من الهذيان والقاء علم الفلك وقوانينه واكتشافات علمانه في سلة المهملات ... فلو تصورنا عملية وقوع النجوم على الأرض لتبين لنا ان وقوع نجمين اثنين فقط في حجم الشمس الهائل (علما بأنها نجم متوسط الحجم) يكفى لحصر جسم الأرض بينهما حصرا تاما ليمنعا بذلك 2000 بليون بليون نجم اخر بالسماء بالإضافة إلى بلايين البلايين من الأجرام التابعة للنجوم من مجرد الاقتراب من سطح الأرض التي ما هي الا نقطة ضئيلة محصورة بين نجمين مما يدل على ان كاتب القرآن لا يعلم أي شى عن علم الفلك واثباته العلمي الذي لا يدع اى مجال لاي شك... ويجعل قوانين وحقائق الله التي وضعها في فلكه لا أهمية لها... تخيل مثلا ان قطر الأرض 1 سم لكانت الشمس بالمقارنة كرة قطرها 109 سم ونخلص من هذا ان هناك استحالة مادية مطلقة لان تقع السماء على الأرض (وان الذي يمنعها هو الله الذي لم ياذن لها بذلك) (تقول الآية ويمسك السماء ان تقع) بينما ان وقوعها لا ينفع أصلا.

2. ال عمران (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {133} والحديد {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ {21} والبقرة {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ {255} ..
في كل هذه الآيات يضاف الى حجم السماوات حجم الأرض .. ومعلوم ان علم الفلك يصور لنا حجم الكون طبقا لما اكتشف حتى الآن فقط بما يقدر قطرة ب 32 بليون سنة ضوئية اى بمسافة 300 الف بليون بليون كيلو متر .. بينما قطر الأرض = 12742 كيلو متر .. فبالنسبة بين حجم الأرض وحجم السماوات المعروفة حتى الآن = النسبة بين الرقم 1 الى الرقم 13 وامامة 57 صفر (كل 9 اصفار منها = بليون) ... (حجم الأرض : حجم السماوات = 1 : 13 وأمامها 57 صفرا) فحتى لو افترضنا جدلا ان هذه النسبة هي 1:130 فقط لما جاز لشخص غير هازل ان يعتبر ان إضافة واحد إلى 130 تضغى على ال130 أية زيادة محسوسة.. فلا يعقل إضافة حجم الأرض الهزيل الذي لاشى ليكون مضافا الى حجم السماوات .. وفي اضعف الأحوال يثبت هذا

ان القرآن ليس معجز من جميع الوجوه كما يتخيل البعض بل نرى هنا عجز وضعف شديدين في المعنى بعد معرفة أسرار العلم ..
كما ان الآية بها تلميح واضح بان السماوات حجمها متقارب مع حجم الأرض او على الأقل نقدر ان نقارن بينهما بحيث ان مجموعهما مع بعض يزيد كثيرا جدا عن حجم كل منهما على حدة ... أين الأعجاز القرآني هنا ؟؟؟؟ ان من يجمع السماء مع الأرض في الآيات القرآنية السابقة انما هو لا يعلم الفرق الذي يوصف بينهم ثانيا يدل على ضعف القرآن وعجزه في المعنى وليس أعجازه.

3- الانعام (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {97} تقول الآية ان الله خلق النجوم لنا نحن البشر) وليس للجن او لخلقة أخرى بل مخصصة للبشر) والسبب الوحيد لخلق النجوم هو وصول ضوئها الخافت لنا للاهتداء به في البر والبحر .. فهل يعقل هذا الكلام؟؟ هل يعقل ان الله يخلق بما يقدره علم الفلك حتى الان ب 2000 بليون بليون نجم كل نجم منها اكبر حجما من الأرض بملايين الأضعاف ويجعل موضعها عن الأرض بملايين السنين الضوئية .. وكل ذلك لتكون النتيجة النهائية و الوحيدة لخلقها ان يصل لنا منها ضوء خافت اشد الخفوت يقدر بأقل من الضوء الصادر من شمعة واحدة؟؟؟؟ (وايضا الطاقة الضوئية والحرارية المنبعثة من الشمس التي يصل لنا منها جزء يقارب الصفر) ؟؟؟؟ الم يكفي ربع هذا الكم المهول لينير لنا؟؟؟؟ وماذا عن النجوم التي لا يصل ضوئها للأرض؟؟ كيف يفسر القرآن خلقها؟؟؟؟ كيف يحل القرآن هذه المشكلة في ضوء العلم؟؟ ان القرآن يقول في الإسراء (إِنَّ الْمُبَدَّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ {27}) فهل يعقل ان الله يضرب للناس مثلا في التبذير والإسراف اللانهائي في خلقه للطاقة الضائعة هباء؟؟ الم يقل في القرآن في الفرقان 2 (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) والرعد 8 (كل شيء عندة بمقدار) وهنا نقف عاجزين لا نعرف لماذا حقا صنع الله السماء الهائلة هكذا؟؟ ولا يسعنا الا ان نذهب إلى التوراة التي تظن انها محرقة ففيها الإجابة الوحيدة المعقولة المقنعة لذلك والتي تثبت جهل القرآن بحقائق وخبايا علم الفلك وما تخبئة السماوات من أشياء يعجز البشر عن التعبير عنها تقول التوراة (السماوات تحدث بمجد الله و الفلك يخبر بعمل يديه (مزمو 19 : 1) اي ان الهدف من كل العظمة التي بها السماوات والفلك الباهر المذهل ليس ان تضئ للأرض لكن الهدف منها هي ان تتكلم عن عظمة الله وقدرته الغير محدودة .. عندما نرى تمثال جميل فهنا نمدح ونمجد صانعة وبمقدار جمال التمثال بمقدار تمجيدنا لصانعة .. ولهذا خلق الله السماوات حتى ما ان يكشف علم الفلك عن هذه الأشياء الرهيبة من النجوم نمجد الله ونعظمه فتحدث هنا السماوات وتخبر عن عظمة الخالق وتشهد عن الله فمجده .. ما اعظم هذا التفسير الذي يتفوق بما لا يقاس على رأى القرآن عن بلايين بلايين النجوم في السماوات انها فقط لتضيء لنا في الليل.

الباب الثامن

الشاطبي ورفض التفسير العلمي

من كتاب "اعجاز القرآن" للدكتور شوقي ضيف

لم يفكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ولا التابعون أن القرآن يحمل علوما ، إنما الذي فكر في ذلك علماء الأمة منذ القرن الخامس الهجري ، مما فتح الأبواب للتفسير العلمي الواسع. وقد حمل الشاطبي أبو إسحاق بن موسى الأندلسي (ت ٩٧٠ هـ) حملة عنيفة في كتابه الموافقات على هذا الاتجاه في تفسير القرآن مقدما لذلك بأن العرب في عصر الرسول كانوا أمة أمية وأن كثيرا من الناس تجاوزوا الحد في الدعوى على القرآن ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وعلم حساب الجمل وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها . وكان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ممن يليهم أعرف بالقرآن وبعلمه وما أودع فيه ولم يبلغنا أن أحدا منهم تكلم في شيء من هذا المدعى (يريد التفسير العلمي) سوى ما ثبت فيه من أحكام التكليف (يريد فروض الصوم والصلاة والحج والزكاة) وأحكام الآخرة (من البعث والحساب) وما يتصل بذلك ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا إلا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وهو دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا . وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى : "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" (١) وقوله : "مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" (٢) ونحو ذلك وبفواتح السور (علم الجمل الذي سموه علم الحروف وهي مما لم يعهد عند العرب) وما نقل عن الناس فيها ، فأما الآياتان فالمراد بهما عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد (أي أن المراد بشيء من أمور الدين كما أسلفنا في غير هذا الموضع) . قال الشاطبي : أو المراد بالكتاب اللوح المحفوظ في قوله تعالى : "مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" وأما فواتح السور (وهي الحروف المقطعة في أوائلها مثل ألم) فقد تكلم الناس فيها بحساب الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب ، وهي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله . ولم يدع ذلك أحد من الصحابة والتابعين فلا دليل فيه على ما ادعوا من حساب الجمل . ويجب الاقتصار على ما أودع في القرآن من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو فيه تقول على الله ورسوله .

والشاطبي محق في معارضة التفسير العلمي عند الأسلاف واحتججه في ذلك واضح ، لأن القرآن نزل على الرسول والعرب ، وهم أمة أمية لم تدرس العلوم ولا عرفت قوانينها ، وأيضا لم تدرس علم الفلك ونظرياته القائمة على الفرض والتخمين . فحمل الآيات القرآنية عليها لا يستقيم .

وهذا الإنكار الواضح للشاطبي للتفسير العلمي لم يقفه ، فقد ظل قائما عند أمثال الطبيب الإسكندراني الذي ذكرناه فيما أسلفنا من الحديث وتوسع فيه الشيخ طنطاوي جوهرى ، حتى ليبلغ تفسيره خمسة وعشرين مجلدا . وقلت إن تفسيره يحجب عنا القرآن ويجعلنا ننسى أنه كتاب هداية لعقيدة صحيحة بما تحمله من عبادات الله والأخلاق الحميدة والمعاملات العادلة ،

وهو يحمل معها غيبات كثيرة عن الملائكة والجن والشياطين والبعث والحساب ونعيم الجنة وعذاب النار ، ولا يملك المسلم إزاءها إلا الإيمان بها .

وكثيرون يقولون : إن الله حشد في القرآن عشرات الآيات الكونية بل منات ، ومن واجب المسلم أن يفهمها فهما دقيقا حسب معطيات العلم في كل عصر ، لا على طريقة الرازي والجوهري في حشد المواد العلمية في التفسير دون حاجة ، بل على بيان الصلات الدقيقة بين الآيات الكونية وما جد في العلم من نظريات في خلق الكون ، ويقولون : إن الله أمرنا بتحصيل المعرفة وقال إن حواس الإنسان مسنولة عن كشفها : "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُولا" (١) ودعا إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض وفي بدء الخلق للإنسان مع تدبر آياته الكونية وما أبدع فيها من نظم ، وحقا أنها تصور قدرة الله العظمى ، وحقا أيضا أنه من الممكن توجيهها مع معطيات العلوم الحديثة عن حقائق الكون ، مع عدم التطرف في هذا التوجيه والتسليم المطلق بأن القرآن ليس كتاب علم وأنه لم ينزل على الرسول لتبليغ حقائق علمية .

وإنما أقول ذلك حتى لا تتحول الملازمة بين آيات الله الكونية ومعطيات العلم الحديثة عن حقائقها الكونية إلى بحوث في نظريات مطولة في أصل الكون ونشأته وفي أصل خلق الإنسان وقد أشار الله في سورة الأنبياء إلى أن السماوات والأرض كانتا جسما متلاصقا واحدا ثم انفصلتا في قوله تعالى : "أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا" (٢) أو جسما واحدا متلاصقا في نشأة الكون ، ثم يقول الله "ففتقنهما" أي فصلناهما بالأمر الإلهي "كن" . ونكتفي بهذا الفهم الواضح للآية ، ولا داعي لإضافة حدوث انفجار في الكون ترتب عليه هذا الانفصال . وفي سورة فصلت بعد قول الله إنه خلق الأرض في يومين وقدر لها أقواتها في أربعة أيام "ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين" (٣) ، أي أنهما استجابا إلى مشيئة الله في تكوينهما عن طاعة . والدخان : ما يتصاعد من الوقود عند اشتعال النار فيه . وهو تصوير إلهي لما كانت عليه السماء في بدء الخلق للكون وأنها كانت مثل الدخان ، وفي الحديث النبوي أن الكون كان عماء أي ظلما واستحال جزء من هذا الظلام أو هذا الدخان سماء ، وجزء ثان استحال أرضا .

وفي رأيي أن هذا الفهم الظاهر للآية القرآنية وسابقتها يكفي دون حاجة إلى جلب نظريات الفلكيين في أصل الكون ونشأته إلى تفسير القرآن ، لأن هذه النظريات تقوم على فروض وظنون غير مؤكدة ، وصدق الله إذ يقول عن البشر : "ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم" (٤) . ففيم إذن الاتساع في تفسير الآيات الكونية في القرآن بنقل ما يردده الفلكيون من فروض واحتمالات عقلية إلى التفسير وإثقاله بمباحث غير يقينية متناسين أن القرآن كلام الله ، وأن الآيات

الكونية مهما كثرت فيه لإيراد بها نقل الحقائق العلمية الموثقة في الكون إلى الناس إنما يراد بها التأمل في ملكوت السماوات والأرض ، وأن للكون إليها خلقه ، بحيث أصبح كل ما فيه معدا لأداء وظيفته في نظام مطرد ، يطرد فيه الأفلاك والكواكب ومسيرة الشمس نهارا والقمر ليلا . وقدّر للإنسان ولكن كانن في الأرض أحوال وجوده وبقائه ، وسخر للناس كل ما في السماء والأرض من أفلاك وبحار وأنهار وجبال ووديان ودواب لينتفعوا بها أكبر نفع دون أي حاجة إلى علوم الفلكيين ونظرياتهم ، فقد ترك الله اكتشاف قوانينها الفلكية للإنسان الذي حضه على الاجتهاد العقلي فمثلها في ذلك مثل قوانين جميع العلوم .

وحرى بي أن أشير إلى أن التفسير العلمي للآيات القرآنية ينقضه نقضا أن أصحابه يفسرون كلام الله الثابت الراسخ بحقائق العلم المتطورة والمتغيرة من عصر إلى عصر ، والقرآن ليس

كتاب علم وحقائق علمية ، إنما هو كتاب للهداية الربانية والدعوة إلى عقيدة إلهية ، قوامها الصلاة والصوم والزكاة والحج والإيمان بغيبات كثيرة من مثل الملائكة والجن والبعث ويوم القيامة وكل ما فيه من الحساب والجزاء والنعيم والعذاب . وكل ذلك هو جوهر عقيدتنا ، ونحن نؤمن به دون حاجة إلى الوقوف على نظريات علم الهيئة وقوانين غيره من العلوم ، وهو ما يجعلنا نذهب إلى أن ما ذكره الغزالي في حمل القرآن للعلوم ، مما عرضنا له في الحديث عن الإعجاز العلمي محل نظر إلى أبعد حد ، إذ نراه يقول في كتابه "جواهر القرآن" إن القرآن البحر المحيط الذي يتشعب منه علم الأولين والآخرين ، ثم يذكر ما يتشعب منه من العلوم اللغوية والدينية ، ويقول إن وراءها علومًا كثيرة تتشعب منه ، ويريد بها علوم الأوائل ، مثل علم الطب وعلم الفلك ، وعلم هيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه ، وعلم السحر والطلسمات . ثم يذكر أن وراءها علومًا لا يخلو العالم ممن يعرفها ، ولعله يريد العلوم الطبيعية والرياضية ، ثم يقول إنه توجد أصناف من العلوم لم تخرج إلى الوجود في مقدرة الإنسان الوصول إليها ، وعلوم أخرى حظيت بها الملائكة ، وينتهي إلى أن في القرآن مجامع علوم الأولين والآخرين .

وعلى هذا النحو بالغ الغزالي في تصور ما ذهب إليه من الإعجاز العلمي للقرآن وحمله لجميع العلوم ، وبالغ مثله جميع أصحاب التفسير العلمي للآيات القرآنية ممن جاءوا بعده من الأسلاف والقرآن لم ينزل على الرسول لنشر العلوم أو نشر علم بعينه مثل علم الهيئة ، إنما نزل لنشر عقيدة إلهية تركز على الإيمان بوحداية الله وبملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، كما تركز على الدعوة لعبادة الله وأداء فروضه والتمسك بمعاملات عادلة رشيدة وأخلاق حميدة كريمة .

ومعنى ما تقدم أنه من الصعب قبول الإعجاز العلمي للقرآن بالوجه الذي فسره به الغزالي ، وما تفرغ عنه من التفسير العلمي ، وأولى من ذلك أن يوجه الإعجاز العلمي للقرآن توجيهها آخر أكثر قبولاً وهو نقله الأمة العربية من أمة بدوية إلى أمة ذات علم عظيم . والله يشيد بالعلم في أول آيات نزلت منه قائلاً لرسوله : "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (١) ويشيد الله في القرآن بالعلم والعلماء مراراً وتكراراً بمثل قوله : "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (٢) وقوله لمحمد وأمه : "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (٣) ويقرن الله العلماء إليه وإلى الملائكة في الشهادة بوحدايته في قوله : "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ" (٤) وهو تشريف عظيم للعلماء والعلم . ويشيد الرسول بالعلم ويدعو إلى طلبه في أحاديث كثيرة من مثل قوله "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع : وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب" .

ونرى الله في سورة التوبة يحرض المسلمين على الجهاد في سبيله وسبيل دينه الحنيف ، ويقرن ذلك بالحض على جهاد فريق منهم في التفقه بالدين الحنيف وشريعته وتعاليمها ليكونوا هداة لقومهم الذين اعتنقوا الإسلام . يقول تقديس اسمه "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً" (٥) أي ليخرجوا للغزو والجهاد في سبيل الله "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" وبذلك جعل التفقه في الدين وتعليم المسلمين مساوياً للجهاد الحربي في سبيل الله ، ولا يقل عنه ثواباً وشرفاً . ويقول الرسول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين والتفقه : فهم ما يخفى من أمور الدين عن طريق مدارس أحكامه الشرعية ، مما جعل المدينة في عهد الرسول وبعده تتحول إلى دار تعليم كبرى لأوامر الشريعة الإسلامية ونواحيها . وكان الرسول المعلم الأول والأكبر للمسلمين ، وكان يبعث ببعض تلاميذه من الصحابة إلى مدن الجزيرة العربية

وقبائلها يعلمون المسلمين الجدد شريعة دينهم في العبادات وأداء فروضها الدينية والمعاملات القويمة والسلوك المستقيم الخلقي والاجتماعي في الأسرة والأمة .

وفتح المسلمون – في عهد أبي بكر وعمر – العراق وإيران والشام ومصر وتونس وكان كل بلد يفتح في هذا العالم الواسع يبني فيه مسجد ، ويتجرد فيه بعض العرب الفاتحين لدعوة أهل البلاد المفتوحة للدخول في الإسلام وتعليمهم لغته وشريعة دينهم وما يحملها من القرآن . وبذلك انبثقت حركة تعليمية واسعة في البلدان المفتوحة لتعلم العربية حتى تنطق نطقاً سليماً آيات القرآن الكريم في أداء فروضها الدينية ، ولتتعلم علوم الشريعة من الفقه وتفسير القرآن والحديث النبوي .. وطلب العرب – بما غرس القرآن فيهم من الشغف بالعلم – ما عند الأمم المفتوحة من ضروب العلم والمعرفة ، وأخذت تنشأ حركة ترجمة لها ، وسرعان ما تمثلوها وأسهموا فيها ، وقادوا العالم علمياً من القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

والقرآن هو الذي نقل العرب هذا الانتقال الكبير من أمة بدوية أمية لا تقرأ كتاباً إلى أمة قارئة ، بل إلى أمة عالمة تتقن العلوم الشرعية ، وتضع العلوم اللغوية ، وتسهم إسهامات كبرى في علوم الأوانل الرياضية وغير الرياضية من مثل الكيمياء والطب ، وهو إعجاز أو إنجاز عظيم للقرآن الكريم : أن ينقل أمة بدوية أمية لا يعرف الكتابة منها إلا فئة قليلة بمكة بسبب التجارة ووراءهم جموع في المدينة ومدن الحجاز واليمن والخليج العربي وقبائل نجد والشمال الشرقي والغربي كل هذه الجماهير الغفيرة كانت أمية ، ويصور أميتها عمل الرسول في المدينة بعد غزوة بدر وأسر سبعين من صناديدها .

فإن الرسول تعهد لمن يعرفون الكتابة منهم أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة فترد حرية إليه ويصبح طليقاً ، وكان ممن علموهم الكتابة زيد بن ثابت الصحابي العالم الجليل . وأكب العرب في مدنهم وقبائلهم يتعلمون الكتابة ، ليتلقوا بها القرآن ، واستحالوا أمة كاتبة بعد أن كانوا أمة أمية ، ولم يكن لهم كتاب فأصبحوا أهل كتاب ديني عظيم يكتبون آياته ويحفظونها ويتدارسونها في كل مكان .

أليس ما أحدثه القرآن للعرب من هذا التحول العظيم إلى الكتابة والعلم وأن يصبحوا أمة عظيمة ذات كتاب ديني باهر ، هو القرآن ، تعكف على مدارسته ويهديها إلى علومها الشرعية من الفقه وتفسير الآيات القرآنية . أليس ذلك يعد إعجازاً علمياً للقرآن لا يماثله إعجاز . وليس ذلك فقط ، فقد غرس القرآن في نفوس العرب وقلوبهم شغفاً بالعلم ومدارسته ، فإذا هم يضعون علومهم الشرعية واللغوية ، وإذا هذا الشغف بالعلم يدفعهم إلى محاولة التعرف على ما كان لدى الأمم القديمة المفتوحة وغيرها من العلوم ويتمثلونها ويشاركون فيها مشاركات كبرى ، ويقودون العالم علمياً ستة قرون متوالية . أليس ذلك كله بفضل القرآن وبفضل ما نفث في قلوب العرب وعقولهم من الشغف الشديد بالعلم مما يستحق أن يسمى إعجازاً علمياً . وهو إعجاز علمي لا نظير له . إذ حول أمة بدوية لم تخط كتاباً إلى أمة ذات تاريخ مجيد في العلم وحقائقه العلمية .

أَلَوْثَهَا وَغَرَّابِيبُ سُوْدُ وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَمُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ" .

والآيتان تصوّران قدرة الله في إنزاله من السماء ماء المطر مخرجاً به من الأشجار ثمرات مختلفة الألوان من بيضاء وحمراء وصفراء وخضراء وسوداء كماختلف ألوان الفاكهة ، بل اختلاف ألوان الصنف الواحد مثل العنب والبلح والله يقول في الآيتين إنه بث جمال التلوين في

كل شئ على بساط الأرض : في الثمار وطرق الجبال وفي الناس والدواب والأنعام ، وقد جعل ذلك كله ما في الأرض جميلا : البحار بمشاهدها وما فيها من لؤلؤ ومرجان ، والحيوانات بمناظرها وألوانها المتنوعة .

وفي مقابلة الجمال الذي بثه في الأرض وثمارها وطرقها وجميع مخلوقات جمال بثه في السماء مكرراً في سورة الأنبياء وغيرها أنها سَفَقُف في الكون العظيم مرفوع بيد الله يعمه في كل مكان .

ويكرر الله في القرآن أنه قسم اليوم للإنسان بين نهار مضى يعمل فيه لمعاشه وليل يستجم فيه للراحة والنوم ، وبذلك أتم نعمته على الإنسان إذ جعل له النهار لمعاشه والليل لسكنه وراحته . ولو كانت الحياة نهارا خالصا لتعبت قوى الإنسان ، ولو كانت ليلا خالصا لبطلت حركته .

إن مداومة التفكير في خلق السموات وما يلعب فيها من كواكب والأرض وما يجري فيها من البحار والأنهار والإنسان وغير الإنسان ، كل ذلك يملأ قلوب الناس إيمانا بالله وتمجيذا لصنعة الربانية وما بث فيها من نظم .

وأنعم الله على الإنسان بنعمة الماء ، وهي نعمة تعم جميع الكائنات ، إذ لا يستطيع أي كائن أن يعيش بدونه ، ومن آثار فتق الأرض أن جعلنا فيها جبالا رواسي راسخة بها حتى لا تميد ولا تضطرب ، ويقول تقدس اسمه " وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجْجًا سُبُلًا " أي طرقا واسعة يهتدون بها في سيرهم ليلا ونهارا . ومن النعم العظيمة نعمة الرياح التي يصرفها الله بقدرته التي تدفع الفلك في البحار حاملة ما ينفع الناس من القوت والتجارة . وحاملة لهم إلى الحج والجهاد في سبيل الله ، وحاملة السحب بأطوارها إلى الأرض المجدية .

وهذه الأمثلة ونظائرها في القرآن الكريم التي تصوّر صنعة الله الكونية وما أودعه في الكون بسمانه وأرضه من نظم – في رأينا – مدار إعجازه العلمي الرباني . ويندرج في ذلك أنه نقل العرب من أمة بدوية لا تعرف القراءة والكتابة إلى أمة متحضرة لها علومها المتنوعة .

وهذا التحويل الواسع للأمة بإخراجها من عالم الجهالة إلى عالم العلم يفضل عرض القرآن خلق الله للكون وتديبره لكل شئ في سمانه وأرضه ، وبفضل حث الإنسان على العلم وجعله واجبا عليه بل فريضة يؤديها كما يؤدي عبادة ربه . هذا التحويل العظيم هو – في رأينا – الإعجاز العلمي الذي أراد الله لعباده المسلمين وبثه في عقيدتهم ، واستحال به الرسول إلى معلم كبير ، يعلم الصحابة علوم وتفسير القرآن والحديث والفقه ، واستحالت المدينة في عهد الرسول إلى دار علم كبيرة ، يعلم فيها الرسول معاني آيات القرآن وفروض الشريعة الإسلامية .

ونرى الله في سورة التوبة يدعو المسلمين ليتجمع نفر منهم حول الرسول ليأخذوا عنه أوامر الدين ونواهيه قائلا: " قُلُوا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ " وهو استنفار إلهي عظيم لتعلم شريعة الإسلام وقرآنها الرباني والتفقه في الدين والعلم بالأحكام الشرعية عن طريق الاجتهاد ، وكان الله جعله أصلا من أصول العلم الإسلامي ، وأخذ به الرسول وصحابته على نحو ما يروى عن معاذ بن جبل حين بعثه الرسول إلى اليمن إذ قال له : بم تقضي بين الناس ، قال بكتاب الله . قال : فإن لم تجد قال أقضى بما قضى به رسول الله . قال فإن لم تجد . قال أجتهد في رأيي لا ألو أي لا أقصر . قال الرسول : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله .

وهذا – في رأينا – هو الإعجاز العلمي للقرآن أنه عرض خلق الله للكون وما فيها من السماء والأرض وكل ما فيهما من الكواكب والكائنات. وتدبير الله لهما تدبيراً محكماً ليحاول المسلمون معرفة نظام هذا الخلق العجيب الدال على قدرة الله ، وقرن الله ذلك بحث العرب الذين كانوا لا يزالون في طور الأمية إلى التحول إلى طور حضاري أساسه العلم ، وتم لله ذلك في عهد الرسول إذ صارت بين الصحابة طائفة من الفقهاء تحسن الفتوى والاستنباط عن طريق الاجتهاد .

وهذا هو الإعجاز العلمي الواضح للقرآن ، أما ما ذكره بعض السابقين والمعاصرين من أن إعجاز القرآن العلمي يرجع إلى حمله للعلوم الدينية وغير الدينية ، وما زالوا يتوسعون في عد العلوم حتى جعلها أبو بكر بن العربي في كتابه قانون التاويل سبعة وسبعين ألفاً وأربعمائة وخمسين بعدد ألفاظ القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل لفظ ظهر وبطن وحد ومطلع ، وهي مبالغة واضحة .

الباب التاسع

الاعجاز العددي في القرآن

هذا الجزء مأخوذ بإيجاز من كتاب "القرآن والكتاب المقدس في ضوء التاريخ والعلم" (للدكتور وليم كامبل) وكتاب "إسلام ضد الإسلام (للاستاذ الصادق النيهوم) .

جرت محاولات حديثة لإثبات الإعجاز القرآني في الأرقام. وقد حاول الدكتور رشاد خليفة في كتابه (معجزات أظهرها الكمبيوتر في القرآن الكريم) أن يثبت ذلك. يقول الدكتور خليفة في كتابه:

المفتاح لمعجزة محمد الدائمة موجود في أول آيات القرآن الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم) . فعدد حروفها 19 حرفاً. وهذه حقيقة ملموسة. وقد وردت كل كلمة من هذه في القرآن في عدد يقبل القسمة على 19 . فالكلمة الأولى (اسم) وردت 19 مرة. وكلمة (الله) وردت 2698 مرة (19 في 142) . وكلمة (الرحمن) وردت 57 مرة (19 في 3) . وكلمة (الرحيم) وردت 114 مرة (19 في 6) .

ألم يكن ممكناً أن تكتب آية القرآن الأولى " باسم " (بدلاً من بسم) و " الرحمن " (بدلاً من الرحمن) فيكون عدد حروفها 21 حرفاً، لا 19 حرفاً. فإذا اعتبرنا الحرف المشدد (اللام في الله) حرفين تغير الرقم مرة أخرى! ثم أننا نجد أن كلمة (بسم) وردت في القرآن ثلاث مرات فقط ، في سورة الفاتحة 1 وسورة هود 41 وسورة النمل 30 . أما كلمة (اسم) دون إضافتها إلى ضمائر فقد جاءت 19 مرة ، وكلمة (اسمه) جاءت خمس مرات. وواضح أن 5 ، 9 ، 1 ، 3 = 27 وهو رقم لا يقبل القسمة على 19 !

ولا يفسر لنا د. خليفة لماذا أغفل المرات الثلاث التي جاءت فيها كلمة (بسم) . ولماذا أحصى كلمة (اسم) وترك كلمة (اسمه) . ولماذا أغفل كلمة (أسماء) التي جاءت 12 مرة ، ومنها (والله الأسماء الحسنى) (سورة الأعراف 180) . أما في إحصاء اسم الجلالة (الله) فقد أحصى د. خليفة (3) كلمة (الله) ليصل إلى العدد 2698 . فإن كان قد أحصى (الله) (ليكون المجموع قابلاً للقسمة على 19) وجب أن يحصى (بسم) وفي هذه الحالة لا يقبل المجموع القسمة على 19 !

وقد صدق د. خليفة في إحصاء كلمة (الرحمن) فهي 19 x 3 . أما كلمة (الرحيم) التي قال إنها ظهرت 114 مرة فقد ظهرت 34 مرة ، و (رحيم) (بدون آل التعريف) 81 مرة ، ومرة واحدة بصيغة الجمع. فالمجموع 116 مرة ، وهو رقم لا يقبل القسمة على 19 .

لقد قرر د. خليفة ألا يحصى اللام المشددة في اسم الجلالة (الله) . وقرر أن يغفل من إحصاءاته (بسم) مع أنه أحصى (الله) .

وقرر ألا يحصى كلمة (اسمه) .

وقرر ألا يحصى صيغة الجمع لكلمتي اسم والرحيم.

وجاء إحصاؤه لكلمة (الرحيم) خاطئاً.

نماذج أخرى لما يسميه د. خليفة معجزات عديدة:

- كلمة (الشهر) تكررت في القرآن الكريم 12 مرة ، أي بقدر شهور السنة.
- كلمة (اليوم) تكررت 365 مرة ، أي بقدر عدد أيام السنة.
- كلمة (الرحمن) تكررت 57 مرة . وتكرر لفظ (الرحيم) 114 مرة ، أي بمقدار الضعف، وهو عدد سور القرآن.
- ذكرت (المغفرة) 234 مرة ، بينما ذكر (الجزاء) 117 مرة فقط ، لأن المغفرة ضعف الجزاء.
- حروف البسملة تساوى 19 حرفا. وهو الرقم الذى ورد فى قوله تعالى :
(عليها تسعة عشر) . سورة المدثر آية 30 .
- الرقم 19 له هوية سرية فى القرآن. فهو يساوى عدد كلمات سورة العلق. أول ما نزل من القرآن . ويساوى أيضا عدد كلمات آخر آية. كما أن عدد الحروف فى قوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) يساوى 19 حرفا. وكذلك فى قوله : (اهدنا الصراط المستقيم) .

البحث المتأنى والدقيق للآيات المذكورة لايأتى على الإطلاق بنفس النتيجة التى وصل إليها الدكتور خليفة.

فمثلا: كلمة (الشهر) لم ترد بهذه الصيغة 12 مرة ، بل 6 مرات فقط. لكن الباحث أضاف إليها كلمة (شهر) من دون أداة التعريف، وأهمل بقية الصيغ الأخرى مثال (أشهر، وشهور، وشهرين) ، متعمدا أن يحصل على الرقم 12 ، بغض النظر عن الالتواء الواضح فى منهجه الانتقائى . وهو منهج لا يخلو من روح العلم فحسب، بل يخلو أساسا من روح الأمانة.

ومثلا: كلمة (اليوم) لم ترد 365 مرة ، بل وردت 480 مرة على الأقل، فى صيغ منها: (يوم ويومكم ويومهم و يومين وأيام وأياما ويومئذ) . لكن السيد الباحث اختار منها صيغة (اليوم) فقط وعندما اكتشف أن العدد المتوافر من هذه الصيغة ، لا يفي بالمطلوب، أضاف إليها كلمة (يوم) من دون أداة التعريف، متعمدا أن يهمل كلمة (يومئذ) التى تتكون فى الواقع من كلمتي (يوم ذاك) . والطريف فى الأمر أن الباحث نسي فى غمرة حماسته أن السنة ذات الثلاثمائة وخمسة وستين يوما، هى سنة التقويم الشمسى الذى لا يستخدمه القرآن أساسا.

ومثلا: لفظ (الرحيم) لم يتكرر بعدد سور القرآن ، كما زعم الباحث ، أي 114 مرة. بل تكرر 115 مرة. لكن السيد الباحث رأى أن يحذف الرقم الزائد ، لمجرد أنه أفسد عليه لعبته الحسابية. إما الزعم بأن الرقم 19 له هوية سرية فى القرآن ، منها أن البسملة تتكون من 19 حرفا، وكذلك قوله : (اهدنا الصراط المستقيم) .. إلخ. فهو خطأ تورط فيه الباحث ربما بسبب عدم معرفته بتاريخ الخطوط السامية. فالخط العربى المستمد من الخط النبطى ، لم يستخدم الألف لكتابة الصائت الطويل فى وسط الكلمة إلا فى مرحلة متأخرة نسبيا، مما نجم عنه اختلاف ظاهر فى رسم كثير من كلمات القرآن بالذات، مثل كتابة كلمة [السموات] بدل [السماوات] ، [والله] بدل [واللاه]

، [والرحمن] بدل [الرحمان] ، [والشيطان] بدل [الشيطان] . ولو عاد الباحث إلى أي مصحف ، لوجد أن جملة (اهدنا الصراط المستقيم) مثلا ، تضم 18 حرفا وليس 19 ، بسبب حذف الألف من وسط كلمة [الصراط].

الخلاصة : لا يوجد دليل منطقى على أن هناك إعجازا علميا فى القرآن.

الباب التاسع

الإعجاز التاريخي

إرم ذات العماد

يقول د. زغلول النجار انه قد اكتشفت في مكان بجنوب الجزيرة العربية مدينة بها انهار ومبان بأعمدة وقام معهد بعد ذلك بعمليات تنقيب .. وفعلا تم إكتشاف المدينة بأعمدتها وانهارها ! ثم توقف العمل دون سبب ولم يتابعه أحد بعد ذلك. وتبين ان هذه المدينة هي مدينة "إرم ذات العماد" التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة الفجر " ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد".

رغم ان الدكتور النجار مغرم بالتفاصيل , فهو لم يقل لنا بصدد هذا الحدث الخطير أى مركبة فضاء انجزت هذا الإكتشاف ومتى وفي أى حوليات علمية موثوقة بها تم تسجيل الموضوع؟ ولماذا توقف العمل؟ إلخ. وما هي الهيئة العلمية ذات المصادقية الدينية والفنية والتقنية التي حكمت بان الحفريات هي مدينة إرم ذات العماد؟

إنه من المسلم به علميا ان مركبات الفضاء قادرة باستخدام بعض انواع الأشعة أن تخترق سطح الأرض في المناطق الجافة و أن ترصد اماكن انهار قديمة كانت موجودة قبل العصر الجاف منذ حوالي 6 آلاف عام.

وهذا مثبت في بعض الأماكن بالصحراء الغربية في مصر بمنطقة العوينات وبالفعل تحددت اماكن بعض الأنهار القديمة التي كانت موجودة في هذه المناطق.

ولكن اين التوثيق العلمى لما يسمى "إكتشاف إرم ذات العماد" !؟

لقد حذر العلامة ابن خلدون من إغراق الناس في الوهم بإستنطاق الآيات القرآنية ما لا تمت له بأدنى صلة .. إذ يقول في مقدمته : " وأبعد من ذلك وأغرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله تعالى " ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد" فيجعلون لفظة "إرم" اسما لمدينة وصفت بانها ذات عماد أى اساطين وينقلون انه كان لعاد بن عوص بن إرم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده. وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لأبنين مثلها فبنى مدينة إرم في صحارى عدن في مدة ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من ذهب واساطينها من الزبرد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم. ذكر ذلك الطبرى والثعلبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبدالله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب إبل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره معاوية فأحضره وقص عليه فبحث عن كعب الأحبار وسأله عن ذلك فقال: " هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين أحمر , أشقر قصير على حاجبيه جال , وعلى عنقه خال , يخرج في طلب إبل له ثم إلتفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل".

ثم يستطرد ابن خلدون قانلا :

" وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شئ من بقاع الأرض , وصحارى عدن لتى زعموا أنها بنيت فيها هي في وسط اليمن , ومازال عمرانها متعاقبا و الأدلاء تقص طرفة من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر , ولا ذكرها أحد من الإخباريين, ولا من الأمم, ولو قالوا إنها

درست فيما درس من الآثار لكان أثبت إلا ظاهر كلامهم أنها موجودة, وبعضهم يقول أنها دمشق بناء على أن قوم عاد ملكوها, وقد ينتهي الهذيان ببعضهم إلى أنها غابرة, وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر, مزاعم كلها أشبه بالخرافات".

هذا الجدال في التفاسير والتأويلات ظل موجودا كما نرى ومطروحا على الساحة منذ قرون ومليئا بالتناقضات مع المنطق والتاريخ والعلم, فهل من المعقول أن تتوصل بعثة إلى هذه المدينة كما ادعى د. زغلول النجار وهي مدينة جاء ذكرها في القرآن الكريم كما فسره المفسرون ومبانيها من الذهب الخالص وأعمدها من الزبرجد والياقوت, ثم يتم تجاهل هذا الكشف التاريخي من العالم الإسلامي بأسره؟ أم هي محاولة لجذب الإستثمارات أو الوفود السياحية حتى لا نقول انها محاولات لإلهاء شعوبنا عن مواجهة الواقع بقضاياها وتحدياته؟

قوم عاد وثمود: زغلول والقرآن والبتراء

عند قراءة القرآن وترتيب الانبياء وقومهم حسب زمنهم التاريخي نستنتج التالي: اولا كان هناك نوح وقومه الذين أغرقهم الله بالطوفان .. ثم جاء من بعدهم قوم عاد ونبهيم هو هود, وهم نفسهم أصحاب إرم ذات العماد حيث جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ولكن الله أهلهم بريح صرصرا عاتيه. ثم بعد عاد جاء قوم ثمود حيث جعلهم الله خلانف من بعد عاد كما ذكر القرآن وثمود هم قوم صالح وهم أصحاب الناقة وهم الذين جابوا الصخر بالواد ثم جاء من بعدهم زمن إبراهيم وزميلة لوط ثم من بعدهم إسحاق ويعقوب وإبنة يوسف الذي عاش في مصر ثم جاء زمن موسى وفرعون (والقصة معروفة)

ثم بعد ذلك جاء زمن أنبياء بني إسرائيل من داود وسليمان ويونس وأيوب ويحيى ثم إنتهت سلسلة أنبياء بني إسرائيل بعيسى الذي بشر برسول يأتي من بعده اسمه احمد (محمد) ... ثم جاء زمن محمد أعظم كائن حي على الإطلاق وبدون منازع .. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كما يقول المسلمون.

عند محاولة المقارنة بين التسلسل الزمني والتاريخي للأحداث الزمنية كما صورها القرآن والحديث النبوي مع ما توفر لدينا من معطيات تاريخية فالنتيجة أننا سوف نصاب بنوع من الاستغراب ...

وهنا سأعطي مثالا على هذا التناقض الصارخ بين التاريخ وبين التصور القرآني للأحداث في أسطورة قوم ثمود كمثال على ذلك...

أين تقع ثمود وفي أي زمن بنيت ومن هم قوم ثمود وكيف عرف محمد عن قوم ثمود وهل كانت تعرف العرب ثمود قبل محمد؟؟

سوف نحاول الإجابة على هذه الأسئلة ..

ثمود كانت معروفة للعرب قبل الإسلام حتى أن القرآن دائما يذكر العرب بما حدث لقوم ثمود (ولكم في مساكنهم آية) (قل سيروا في الأرض فنظروا كيف كانت عاقبة المتكبرين) ..

أين هي ثمود التي تحكي حولها الأساطير؟؟

إنها بيوت وقصور الأنباط في البتراء وفي مدائن صالح تلك البيوت التي نحتت في الصخور بطراز معماري جميل..

وذكر القرآن تلك البيوت بوصف غزلي رائع ودقيق ". ومن الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فارهين" .. وقال عنهم ... "الذين جابوا الصخر بالواد" ... وطبعا كان النبي العربي "صالح" في الجزيرة العربية حيث تتوفر النوق (هذه ناقة الله لكم آية) .. واما نهايتهم القرآنية فقد كانت مؤسفة (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين)

أين ذهب قوم ثمود وماذا حدث لحضارة الانباط أين ذهب شعب الانباط هل يعقل أن تكون الارض إنشقت وبلغتهم

هل جانت اطباق طائرة واختطفت الانباط!؟

إن إختفاء الأنباط يذكرني بإختفاء الأزديك والماي من بيوتهم التي أصبحت خاوية على عروشها فبعد ان قتلهم الرجل الأبيض عن بكرة أبيهم جاء أحفاد الرجل الأبيض يبحثون عن تفسير منطقي لسر إختفاء شعوب الماي والازديك الغامض والى الآن لم يعرفوا ما هو سر إختفاءهم... وربما لن يعرفوا أبدا .. وربما هي اطباق طائرة سقطت عليهم فماتوا عن بكرة أبيهم.

المهم نعود الى الموضوع ...

تغيّر الطريق التجاري العالمي وتحوله عن بلاد العرب دمر القوة الإقتصادية للأنباط فهجروا بيوتهم وقصورهم المنحوتة في الجبال الصحراوية وذهبوا الى بقاع أخرى حيث يتوفر لهم الرزق... كما ذهب أهل حضارة دلما والبحرين بعد تغير الطريق التجاري الذي كانوا يعيشون عليه ..

ومرت القرون والعقود وتغيرت الأجيال وبدأت تكثر التخامين والتحاليل والتفاسير حول اختفاء شعب الماي العربي (الانباط) لماذا تركوا تلك البيوت والقصور الجميلة وكيف إختفوا .. وطبعا أنتشرت أساطير كثيرة تفسر سبب إختفائهم الغامض منها ما يقترح العقاب الرباني كسبب لإختفائهم ومنهم من يعتقد أن الجن هم من قام بقتلهم .. وهناك من ظن أن الجن هم من بنوا تلك الحضارة كما بنوا لسليمان قصوره .. ولذلك كانوا يخافون الإقتراب من تلك الاماكن وطبعا هذه الأساطير كانت متداوله زمن محمد ...

وكما ذكرت كتب الصحاح ..

فإن محمد ذات مرة ذهب هو وأصحابه في إحدى الغزوات ومروا بقصور الإنباط المهجورة وأراد أصحاب محمد أن يطبخوا ويشربوا من بئر الكفار فنهاهم النبي عن ذلك وأمرهم بأن يشربوا و يستخدموا ماء البئر الأخرى وهي البئر التي كانت تشرب منها الناقة (بئر الناقة وبئر الكفار لا تزال موجودة هناك في البتراء الى اليوم..).

كما أن النبي نهاهم عن التواجد أو الإقتراب من الخرائب والأماكن التي أنزل الله عليها سخطه وغضبه. وأمرهم بالإسراع عند المرور بتلك المناطق وأمتثل العرب لأوامر محمد الى هذه اللحظة والحمد لله أمتنا أمة مطيعة تخاف الله ..

كما ان المؤرخين العرب (بعد الإسلام) ذكروا ثمود في كتبهم ومكانها الذي هو في البتراء كما أنه كان لهم بعض المباني المنحوتة في (الحجر) أو مدائن صالح بالسعودية .. وهي لا تختلف عن تلك التي في البتراء بالأردن ... وكلها من بقايا حضارة الانباط ... واما محمد فلم يسمع عن الانباط بل كان يسميهم قوم ثمود ... والإسم ثمود يمكن المجادلة حوله فالاسم قد يكون له علاقة بالانباط ولا غبار على ذلك ...

الخطأ الذي وقع فيه محمد بالنسبة لثمود وحضارة الانباط هو الترتيب الزمني الذي وضعهم فيه فقد جعلهم محمد بعد نوح وعاد وقبل ابراهيم ولوط ويوسف وفرعون وموسى وداود وعيسى وهذا خطأ واضح

فحضارة الانباط بقصورهم الفاراهه التي وصفها محمد بُنيت في القرن الاول الميلادي يعنى بعد المسيح والمفترض أن تكون قبل ابراهيم وقبل موسى وقبل فرعون وقبل أنبياء بني إسرائيل وقبل عيسى بمئات السنين فكيف أصبحت بعد عيسى!؟

اخطأ محمد في الترتيب الزمني للأحداث فهو لم يكن خبير آثار حتى يحدد زمن تلك التي شاهدها في جزيرة العرب كما أنه لم يذهب الى روما ليقارن مبانيهم وطرازهم المعماري بطراز الأنباط .. الذي يختلف قليلا عنه ..

من الواضح انه محمد كان يصف البتراء .
 فهم المفسرين الأوئل والأواخر أن مباني الانباط هي المذكورة في القرآن باسم ثمود...
 المؤرخين يذكرون مباني الانباط على انها قصور ثمود
 بنر الكفار وبنر الناقة لا تزال موجودة في البتراء ..
 مقابر الانباط في السعودية تسمى "الحجر" او مدائن صالح ...
 ربما يصاب مطاوعة السعودية بالصدمة عندما يعرفون أن قصور وبيوت مدائن صالح بنيت
 بعد عيسى وليس بعد نوح و قبل ابراهيم ..كما هو مفترض
 ولكن ثمود اصحاب صالح يعودون الى ما قبا ابراهيم وموسى وفرعون حسب القرآن.. فماذا
 حدث ..؟

ويأتى جواب د. زغلول النجار ان حضارة وآثار الانباط موجودة في الاردن وبالتحديد في
 البتراء واما ثمود فهي معروفة في السعودية وليست في الاردن .. ورجعنا الى نفس المشكلة
 فالمعالم الأثرية والقبور أو القصور المنحوتة في صخور مدائن صالح بسعودية هي الأخرى
 ترجع الى حضارة الانباط وبنيت في القرن الميلادي الأول ويبقى نفس التناقض موجود ..
 طبعاً مأزق تاريخي المخرج الوحيد منه هو إنكار أن صالح و ثمود والناقة كانوا في جزيرة
 العرب وبالإضافة الى ذلك يحتاجون الى إنكار الأحاديث التي تدل على أنهم كانوا في جزيرة
 العرب ومع ذلك سوف يبقى الأمر نوع من المكابرة فصالح إسم العربي والجمال هو رمز العرب
 والوصف القرآني ينطبق على آثار الانباط كما أن العرب كانوا يعرفون ثمود قبل محمد ...
 فالمأزق سوف يظل موجوداً.

والحل بسيط جداً أخطأ محمد فمحمد لم يكن خبير آثار حتى يحدد عمر حضارة الانباط أخطأ في
 الترتيب الزمني ولذلك إتهمه خصومه بأن ما كان يقول هو مجرد اساطير الأولين وقد صدقوا..

يقول الاستاذ محمد عمر دروزة (سيرة الرسول: 1: 204)

"القصص القرآني، منه ما كان عربياً غير توراتي كقصص هود و عاد، و صالح و ثمود و مدين،
 ومنه ما كان توراتياً كقصص نوح و لوط و موسى و فرعون مع بني إسرائيل، و داود و سليمان
 و يوسف الخ...وما ورد خصوصاً في القرآن و لم يرد في التوراة من قصص إبراهيم ص. مع
 ابيه و قومه و أقوله و مواقفه و دعائه. و عدم ورودها في التوراة، مما يسوغ القول أنها كانت
 متداولة و معروفة في اوساط العرب كمرويات و منقولات عربية عن الأباء الى الأبناء".
 اجل، كانت متداولة معروفة في اوساط العرب، لكن ليس " كمرويات و منقولات عربية عن
 الأباء الى الأبناء " – بل عن أهل الكتاب من يهود و نصارى الذين كانوا يروونها على حرف
 التلمود أكثر منه على حرف الكتاب. فما انفرد به قصص إبراهيم " مع ابيه و قومه و أقواله
 و مواقفه و دعائه" عن التوراة، قد ورد مثله في التلمود. لذلك جاء القصص القرآني ابن بيئته
 الكتابية العربية، أقرب الى التلمود منه الى الكتاب.

صلة القصص القرآني بيئته العربية و الكتابية:-

لم يكن القصص القرآني فكرة جديدة في بيئته العربية و الكتابية. فالعربي مفطور على حب
 القصص و الاساطير، و على حب الغزوات و الرحلات و حديث السمر الدائم عليها. و الشعر
 الجاهلي شاهد على تلك الميل؛ و قد وردت فيه اشارات الى قصص أحمر عاد، أو أحمر ثمود،
 و قصص الجن مع سليمان " بينون تدمر بالصفاح و العمد".

ولقد نقلت لنا الروايات كيف كان النضر بن الحارث يجلس الى الناس في فناء الكعبة، مثل
 محمد، و يقص عليهم اخبار فارس و قصص رستم و اسفنديار، فيستحلون حديثه و ينصرفون عن
 النبي.

وما جدال النبي والمسلمين والكتابين والمشركين في قصة أهل الكهف سوى دليل على ولع اهل مكة بالقصص والاساطير. واستفتاح بعض القصص بقوله: " ألم تر " إشارة الى علم السامعين بالقصة المنقولة.

قال دروزة (القرآن المجيد): " إن ما ورد من قصص وأخبار متصلة بالامم السابقة وأحداثها:- " لم يكن غريبا عن السامعين اجمالا، سماعا أو مشاهدة آثار، أو اقتباسا، أو نقلا، سواء منه ما هو موجود في الكتب المنزلة المتداولة، مماثلا أو زائدا أو ناقصا أو مباينا لما جاءه القرآن وما لم يكن موجودا فيه".

ويقول دروزة (نفس المرجع ص: 166 و170) " ولقد يرد سؤال عما اذا كان النبي يعرف ايضا القصص القرآنية قبل بعثته أو عن طريق الوحي . والذي نعتده أن النبي، خلافا لما قاله بعضهم، كان يعرف كثيرا مما يدور في بينته من قصص الامم والانبياء السابقين، وأخبارهم ومساكنهم واثارهم، سواء منها المذكور في أسفار التوراة والانجيل أو غيره....بالإضافة الى ما كان يعرفه من أحوال سكان الجزيرة ايضا وتقاليدهم وافكارهم وعاداتهم واخبار اسلافهم. وان هذا هو المتسق مع طبيعة الاشياء".

" وان النبي قد اتصل قبل بعثته بالكتابين الموجودين في مكة وتحدث معهم حول كثير من الشؤون الدينية، وحول ما ورد في الكتب المنزلة، واستمع الى كثير مما احتوته....وحدث بدء الوحي في البخارى صريح بان النبي اجتمع بورقة بين نوفل الذى تنصر وقرأ العبرانية وكان يقرأ الانجيل ويكتبه".

فالقصاص القرآني متداول في بيئة النبي العربية الكتابية، وقول المشركين المتواتر أنه " أساطير الاولين شاهد على ذلك.

وهذا المصدر الشعبي للقصص القرآني يحمل معه مشكلة أخرى: فمثلا، بعد قصة نوح الشهيرة يقول القرآن: " تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين " (هود 49). وبعد قصة يوسف الشهيرة يقول: " ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك. وما كنت لديهم اذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون " (يوسف 102). وبعد قصة مريم في آل عمران، وقد طبقت آفاق الجزيرة، من الوف النصارى والمسيحين ، يقول: " ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك. وما كنت لديهم اذ يقولون ايهم يكفل مريم، وما كنت لديهم اذ يختصمون " (44). فكيف يقول انه من الغيب نوحيه اليك؟؟ وقد كانت متداولة بينهم من التوراة والانجيل، ومن التلمود والانجيل المنحولة. وكيف يقول: " ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا " القرآن؟؟؟؟

انه اشكال ضخم كما يقول دروزة (القرآن المجيد ص 170): " إن في الايات الثلاث اشكالا ضخما يدعو الى الحيرة ولا يستطيع النفاذ الى الحكمة الربانية فيه نفوذا تاما".

وفي سورة الشعراء الايات 192، 196 و 197 عن مصدر القرآن يقول: إنه تنزيل رب العالمين بلسان عربي مبين، وأنه لفي زبر الاولين (الجلالان: كتب الاوليين كالتوراة والانجيل) ويعلمه علماء بني اسرائيل: فكيف هو تنزيل جديد وكيف هو في الوقت ذاته في زبر الاوليين؟؟؟ وما دخل علماء بني اسرائيل في القرآن، وكيف يعلمون ان القرآن في زبر الاوليين؟؟؟؟

المسيح كان يعلم الغيب من تلقاء نفسه، كما هو واضح في آيات كثيرة بالانجيل (وبشهادة القرآن ايضا). . والغيب الذي نتكلم عنه هو غيب المستقبل او غيب الماضي المحجوب الذي

يحتاج الى الهام الهي او وحي لمعرفته. فالنبوات الغيبية معجزة الهية من دلائل النبوة. ونحن بهذا الغيب لا نقصد " تنزيل " القرآن، بل ما يفرض ان يخبر به محمد من غيوب.

فالقول ان الغيب يتطلب الهام الهي للانبياء هذا متفق عليه ولكن هذا الغيب الالهي لا دخل له بالقصص القرآني لانه لا يعتبر من علم الغيب لاسباب اوضحناها اعلاه.

الباب الحادی عشر الإعجاز فی الحديث

عجب الذنب

في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة جاء ذكر عجب الذنب على أنه الجزء من الجنين الذي يخلق منه جسده، والذي يبقى بعد وفاته وفناء جسده؛ ليبعث منه من جديد، فقد أشار المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إلى أن جسد الإنسان يبلى كله فيما عدا عجب الذنب، فإذا أراد الله تعالى بعث الناس أنزل مطراً من السماء فینبت كل فرد من عجب ذنبه كما تنبت البقلة من بذرتها. ومن هذه الأحاديث العديدة روى أبو هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب" (أبو داود، النسائي، أحمد، ابن ماجه، ابن حبان، مالك)، وفي رواية لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل: وما عجب ذنبه يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه نشأ"، وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة نصاً مثله جاء فيه: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة".

وفي حديث آخر لمسلم جاء: "إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة. قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب"، وايضاً لمسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما بين النفختين أربعون" قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فینبتون، كما ينبت البقل" قال: "وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة".

ومعنى أبيت في كلام أبي هريرة هو أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوماً أو شهراً أو سنة، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت أربعون سنة مفصلة في قول للنووي. يقول الإعجازيون ان هذه الأحاديث النبوية الشريفة تحتوي على حقيقة علمية لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفتها إلا منذ سنوات قليلة، حين أثبت المتخصصون في علم الأجنة أن جسد الإنسان ينشأ من شريط دقيق للغاية يسمى باسم "الشريط الأولي" الذي يتخلق بقدرة الخالق (سبحانه وتعالى) في اليوم الخامس عشر من تلقيح البويضة وانغراسها في جدار الرحم، وإثر ظهوره يتشكل الجنين بكل طبقاته وخاصة الجهاز العصبي وبدايات تكون كل من العمود الفقري، وبقية أعضاء الجسم؛ لأن هذا الشريط الدقيق قد أعطاه الله تعالى القدرة على تحفيز الخلايا على الانقسام، والتخصص، والتمايز والتجمع في أنسجة متخصصة، وأعضاء متكاملة في تعاونها على القيام بكافة وظائف الجسد.

وثبت أن هذا الشريط الأولي يندثر فيما عدا جزءاً يسيراً منه، يبقى في نهاية العمود الفقري (العصعص)، وهو المقصود بعجب الذنب في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإذا مات الإنسان، يبلى جسده كله إلا عجب الذنب الذي تذكر أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أن الإنسان يعاد خلقه منه بنزول مطر خاص من السماء، ينزله ربنا (تبارك وتعالى) وقت أن يشاء فینبت كل مخلوق من عجب ذنبه، كما تنبت النبت من بذرتها.

ويقول الإعجازيون أيضاً انه قد أثبتت مجموعة من علماء الصين في عدد من التجارب المختبرية استحالة إفناء عجب الذنب (نهاية العصعص) كيميائياً بالإذابة في أقوى الأحماض،

أو فيزيائيا بالحرق، أو بالسحق، أو بالتعريض للأشعة المختلفة، وهو ما يؤكد صدق حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذي يعتبر سابقة لكافة العلوم المكتسبة بألف وأربعمائة سنة على الأقل.

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام موداه: لماذا تعرض المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، لقضية علمية غيبية كهذه في زمن لم يكن لمخلوق علم بها؟ ومن أين جاء هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم بهذا العلم لو لم يكن موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض؟ للإجابة على ذلك نقول بأن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل في يوم من الأيام إلى معرفة مراحل الجنين، وسوف يستبين دور الشريط الأولي الذي من بقاياه، عجب الذنب، في تخليق جسد الجنين فألهم خاتم أنبيائه ورسله النطق بهذه الحقيقة ليبقى فيها من الشهادات على صدق نبوته، وصدق رسالته، وصدق تلقية عن الخالق سبحانه وتعالى ما يبقى موانما لكل زمان ولكل عصر، ولما كان زماننا قد تميز بقدر من الكشوف العلمية، والتطورات التقنية التي لم تتوفر - فيما نعلم - لزمن من الأزمنة السابقة، فإن مثل هذه الإشارات العلمية في كل من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) تبقى لغة العصر وخطابه، وأسلوب الدعوة إلى دين الله الخاتم الذي لا يرتضي من عباده دينا سواه، فلا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لهذه الحقيقة العلمية من قبل ألف وأربعمائة سنة غير وحي صادق من الله الخالق!!؟؟ فسبحان الذي خلق فأبدع، وعلم فعلم، وأوحى على خاتم أنبيائه ورسله بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

ملاحظات

أمر صحيح أن كل خلية بالجسم تحتوي على كامل الخريطة أو الشفرة الوراثية ... أقول وأكرر .. كل خلية بالجسم و ليس فقط خلايا عجب الذنب .

عندما يأتي بين أيدى الطبيب وليد ميت ، يحاول تحديد صيغته الصبغية لمعرفة ما أن كان الموت ناجم عن تشوهات كروموزومية . و لهذه الغاية يأخذ عينة من دم الوليد و عينة من وتر أشيل بالقدم لأحتمال وجود خلايا لم تتفسخ كروموزوماتها و تنحل بعد . و بأغلب الحالات يفشل الزرع و لا يتوصل الطبيب لنتيجة نظرا للفناء السريع الذي يلم بالكروموزومات والخلايا. لو فعلا كانت الأحاديث صحيحة لكان هذا قد سهل على الأطباء أمورا كثيرة و لتحولوا لأخذ العينة من عظم عجز الذنب.

ولكن كيف تفنى العظام . كلمة الفناء لمادة لموسسة ، من الناحية العلمية لا تعني أختفاء هذه المادة و إنما تفكك مركباتها الى مركبات أولية .. لنوضح الأمر العناصر الأساسية لمن يذكر مبادئ الكيمياء تتركب من الذرات . ذرة الأوكسيجين و ذرة الهيدروجين و الكالسيوم و الكربون و الحديد وهكذا. الذرة لا تفنى لأنها لا تتجزأ إلا بالتفاعل النووي .

تتجمع بعض هذه الذرات فيما بينها أو مع بعضها لتشكل المركبات الأساسية . لا يخفى على أحد أن الماء يتركب من الأوكسيجين والهيدروجين و أن غاز الأوكسيجن يجمع ذرتين من الأوكسيجين و غاز ثاني أوكسيد الكربون الى ما هنالك . المركبات الأساسية لا تتجزأ أي لا تفنى . الماء يبقى ماء . قد يتجمد و قد يتبخر أن قصف بقذيفة نووية و لكنه لا يفنى. المركبات الثانوية تتشكل أما من التفاعلات الكيميائية التي تحدث بالطبيعة مثل البترول . أو بفضل الخلايا الحية مثل البروتينات و السكريات.

الخلية و هي عنصر الحياة الأساسي تحتوي على أنزيمات يمكنها بواسطتها أن تصنع المركبات الثانوية أستنادا للشفرة الوراثية التي تحملها . الخلية النباتية يمكنها أن تصنع المركبات الثانوية التي تشكل النبتة بفضل أنزيماتها و شفرتها و تستخدم بذلك الذرات و المركبات الأولية

و الثانوية المحيطة بها و المتوفرة بالتربة و بالهواء و بالماء . دور الضوء يكون بالتحضير للتفاعلات الكيميائية داخل الخلية و بتهيأة الظروف الحرارية اللازمة لهذه التفاعلات . عندما تموت النبتة تتحلل مركباتها الثانوية الى ما أتت منه . سرعة فناء المركبات الثانوية تعتمد على صلابتها فالخشب يحتاج لفترة طويلة كي يفنى بالمقارنة مع الورق أو العشب . كذلك الأمر بما يخص الخلايا الحيوانية .

تنشأ الخلايا العظمية الأولية - الأوستيوبلاست - ضمن الغضروف الأولي عند الجنين . و تبدأ شيئاً فشيئاً بتصنيع العظام التي تتشكل من هيكل صلب أساسه الكالسيوم و من خلايا و مواد عضوية ثانوية . ينتهي التعظم بوصول الإنسان لسن البلوغ ، أي تتوقف العظام عن نموها الطولي و تأخذ شكلها النهائي . لا تتوقف رغم ذلك الخلايا العظمية الأولية عن العمل بل تصبح وظيفتها ترميم هذه العظام و المحافظة على صلابتها بتجديد محتواها من الكالسيوم . و تجبير الكسور . و قد يكون لها دور مرضي مثل تشكيل الزوائد العظمية و الأورام و غير ذلك .

تعتمد الخلايا العظمية الأولية بعملها على مركبات ثانوية مثل الهرمونات و على فيتامين "د" الذي يتركب بفضل الأشعة الضوئية . و لهذا يحدث تخلخل و هشاشة العظام عند المعمرات - لنقص الهرمون - و عند المحرومين من التعرض لأشعة الشمس - مثل النساء المحجبات . ولهذا ايضا تنصح الحوامل بأن يتعرضن للشمس لأن الجنين يحتاج لفيتامين "د" من أجل بناء عظامه طوال فترة الحمل و على الأخص الأشهر الأخيرة التي تشهد نمو زائد لظاهرة التعظم . ماذا يحدث بعد الموت ... الموت هو قبل كل شيء موت خلوي ، أي تتعطل وظيفة الخلية التي تفقد غذاءها و دفاعاتها . فتتوقف أنزيماتها عن العمل و تفقد الروابط التي تربطها فيما بينها و تفنى أي تنحل مركباتها الثانوية أما بواسطة التفاعلات الكيميائية الطبيعية - كما يحدث عند الجنين الذي يتوفى داخل بطن أمه و يتحلل قبل ولادته - يصبح مثل اللحم الممضوغ . أو تنحل بواسطة الأحياء الدقيقة - الجراثيم و الدود - التي تهاجمها و تتغذى على أشلائها . و تتحول بالنهاية المركبات الثانوية الى ذرات العناصر و مركباتها الأولية الأساسية التي كانت قد تشكلت منها . أي أنها تفنى .

سرعة هذا الفناء تعتمد على الظروف الفيزيائية المحيطة بالجثة من حرارة - التجميد يؤخر الفناء - و ضوء و رطوبة و مواد كيميائية و على الكائنات المجهرية التي ستتغذى على أشلاء الجثة .

و حين تفنى الخلايا الحية بسرعة يمكن للهيكال الصلب أن يقاوم لفترة زمنية تعتمد هي الأخرى على الظروف المحيطة . و لكن هذا الهيكال الصلب لا يمكنه أن يقاوم بشكل أبدي . حتى خلال الحياة يحتاج للخلايا العظمية الأولية لكي تقيه من الهشاشة و التخر نتيجة فقدانه لمحتواه من الكلس . فكيف الحال عندما يعود للتراب . بالتراب تحله ظروفه المحيطة به شيئاً فشيئاً فتفقد ذرات الكالسيوم و روابطها و يفرط القوام الصلب للعظم . فتتشتت هذه الذرات .

من المؤكد أن المواد الأولية و ذرات الكالسيوم و الكربون لن تفنى - سوى بقذيفة نووية - و لكن ذرة الكالسيوم هذه التي أخذتها الخلايا العظمية الأولية من الحليب الذي أنتجته البقرة التي نمت على الأعشاب ، التي أخذت هي الأخرى ذرة الكالسيوم هذه من التربة ، ستعود هذه الذرة الى التربة . الذرة نفسها لم تفنى و إنما العظمة قد فنت . و يعود بني آدم الى التراب الذي جاء منه .

الأصح أن نقول علمياً أنه عاد الى الطبيعة التي جاء منها - الطبيعة هنا تشمل التراب الذي عادت إليه ذرات الكالسيوم و الكربون و غيرها و الى الهواء الذي عادت إليه غازات الأوكسجين و ثاني أوكسيد الكربون .

أما ما أثبتته مجموعة علماء الصين فلا أدري من أين أتى هذا الأثبات . و لكنني حضرت شخصياً ماتم أشخاص - من الكفار - أختاروا أن يحرق جثمانهم بعد الموت . و رأيت بامة عيني كيف يذر رمادهم أو كيف يوضع بزجاجة دون أي تمييز لعظم العصص .

الباب الثاني عشر

الإعجاز الحقيقي للقرآن

من كتاب "اعجاز القرآن" للدكتور شوقي ضيف

التكوين الكوني

القرآن كتاب هداية ربانية يدعو إلى عقيدة دينية مثلى تقوم على عبادة الله وتوحيده والإيمان بملأنكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجن وما إلى ذلك من الأمور الغيبية مع ما يدعو إليه من روابط الأمة والأسرة والعدالة ومكارم الأخلاق .

ويضع الله صنعه العظيم للكون أما بصر الإنسان ليتأمل في خلق الله وتدبيره لنظامه ، من ذلك قوله جل شأنه في سورة آل عمران : "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" وهو يقول إن في خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والنجوم وخلق الأرض وما فيها من البحار والمحيطات والأنهار والجبال والأشجار والنباتات والحيوانات والطيور واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وتفاوتهما طولاً وقصراً بحسب فصول السنة "لآيَاتٍ" وعبرات وعظات لأصحاب العقول النيرة البصيرة .

وإن هذا التكوين العظيم للكون بسماواته السبع وما فيها من الكواكب والنجوم وبالارض وما فيها من بحار وأنهار وجبال وأشجار وثمار ونباتات وحيوانات وحشية وأنيسة وطيور شتى لأعظم دليل على عظم ملكوت الله وقدرته الهائلة . ومن ذلك قوله في سورة فاطر :

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّتَمَلِّقًا أَلْوَانَهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سَوْدٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ" .

والآيتان تصوّران قدرة الله في إنزاله من السماء ماء المطر مخرجا به من الأشجار ثمرات مختلفة الألوان من بيضاء وحمراء وصفراء وخضراء وسوداء كاختلاف ألوان الفاكهة ، بل اختلاف ألوان الصنف الواحد مثل العنب والبلح والله يقول في الآيتين إنه بث جمال التلوين في كل شئ على بساط الأرض : في الثمار وطرق الجبال وفي الناس والدواب والأنعام ، وقد جعل ذلك كله ما في الأرض جميلا : البحار بمشاهدها وما فيها من لؤلؤ ومرجان ، والحيوانات بمناظرها وألوانها المتنوعة .

وفي مقابلة الجمال الذي بثه في الأرض وثمارها وطرقها وجميع مخلوقات جمال بثه في السماء مكرراً في سورة الأنبياء وغيرها أنها سقفت في الكون العظيم مرفوع بيد الله يعمه في كل مكان .

ويكرر الله في القرآن أنه قسم اليوم للإنسان بين نهار مضى يعمل فيه لمعاشه وليل يستجم فيه للراحة والنوم ، وبذلك أتم نعمته على الإنسان إذ جعل له النهار لمعاشه والليل لسكنه وراحته . ولو كانت الحياة نهارا خالصا لتعبت قوى الإنسان ، ولو كانت ليلا خالصا لبطلت حركته .

إن مداومة التفكير في خلق السماوات وما يلعب فيها من كواكب والأرض وما يجري فيها من البحار والأنهار والإنسان وغير الإنسان ، كل ذلك يملأ قلوب الناس إيمانا بالله وتمجيذا لصنعة الربانية وما بث فيها من نظم .

وأنعم الله على الإنسان بنعمة الماء ، وهي نعمة تعم جميع الكائنات ، إذ لا يستطيع أي كائن أن يعيش بدونها ، ومن آثار فتق الأرض أن جعلنا فيها جبالا رواسي راسخة بها حتى لا تميد ولا تضطرب ، ويقول تقدس اسمه " وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجْجًا سُبُلًا " أي طرقا واسعة يهتدون بها في سيرهم ليلا ونهارا . ومن النعم العظيمة نعمة الرياح التي يصرفها الله بقدرته التي تدفع الفلك في البحار حاملة ما ينفع الناس من القوت والتجارة . وحاملة لهم إلى الحج والجهاد في سبيل الله ، وحاملة السحب بأطوارها إلى الأرض المجدبة .

وهذه الأمثلة ونظائرها في القرآن الكريم التي تصوّر صنعة الله الكونية وما أودعه في الكون بسمانه وأرضه من نظم – في رأينا – مدار إعجازه العلمي الرباني . ويندرج في ذلك أنه نقل العرب من أمة بدوية لا تعرف القراءة والكتابة إلى أمة متحضرة لها علومها المتنوعة .

وهذا التحويل الواسع للأمة بإخراجها من عالم الجهالة إلى عالم العلم يفضل عرض القرآن خلق الله للكون وتدبيره لكل شئ في سمانه وأرضه ، وبفضل حث الإنسان على العلم وجعله واجبا عليه بل فريضة يؤديها كما يؤدي عبادة ربه . هذا التحويل العظيم هو – في رأينا – الإعجاز العلمي الذي أراده الله لعباده المسلمين وبيّنه في عقيدتهم ، واستحال به الرسول إلى معلم كبير ، يعلم الصحابة علوم وتفسير القرآن والحديث والفقه ، واستحالت المدينة في عهد الرسول إلى دار علم كبيرة ، يعلم فيها الرسول معاني آيات القرآن وفروض الشريعة الإسلامية .

ونرى الله في سورة التوبة يدعو المسلمين ليتجمع نفر منهم حول الرسول ليأخذوا عنه أوامر الدين ونواهيها قائلا: "فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" وهو استنفار إلهي عظيم لتعلم شريعة الإسلام وقرآنها الرباني والتفقه في الدين والعلم بالأحكام الشرعية عن طريق الاجتهاد ، وكان الله جعله أصلا من أصول العلم الإسلامي ، وأخذ به الرسول وصحابته على نحو ما يروى عن معاذ بن جبل حين بعثه الرسول إلى اليمن إذ قال له : بم تقضي بين الناس ، قال بكتاب الله . قال : فإن لم تجد قال أقضى بما قضى به رسول الله . قال فإن لم تجد . قال أجتهد في رأبي لا ألو أي لا أقصر . قال الرسول : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله .

وهذا – في رأينا – هو الإعجاز العلمي للقرآن أنه عرض خلق الله للكون وما فيها من السماء والأرض وكل ما فيهما من الكواكب والكائنات. وتدبير الله لهما تدبيرا محكما ليحاول المسلمون معرفة نظام هذا الخلق العجيب الدال على قدرة الله ، وقرن الله ذلك بحث العرب الذين كانوا لا يزالون في طور الأمية إلى التحول إلى طور حضاري أساسه العلم ، وتم لله ذلك في عهد الرسول إذ صارت بين الصحابة طائفة من الفقهاء تحسن الفتوى والاستنباط عن طريق الاجتهاد .

وهذا هو الإعجاز العلمي الواضح للقرآن ، أما ما ذكره بعض السابقين والمعاصرين من أن إعجاز القرآن العلمي يرجع إلى حمله للعلوم الدينية وغير الدينية ، وما زالوا يتوسعون في عد العلوم حتى جعلها أبو بكر بن العربي في كتابه قانون التأويل سبعة وسبعين ألفاً وأربعمائة وخمسين بعدد ألفاظ القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل لفظ ظهر وبطن وحد ومطلع ، وهي مبالغة واضحة .